جامـــــــعة وهـــران 2

كلية العلـــــوم الاجتمـــــاعية

مذكـــــرة

للحصول على شهـــــادة ماجستير

في الأنثروبـــولوجيـــــا

ممارسة المرأة الشاوية لعادات وطقوس الزواج بين الثبات والتغير مقاربة أنثروبولوجية بمدينة باتنة

مقدمة ومناقشة علنا من طرف

الطالبة: علاوة عبلة

أمام لجنـــــــة المناقشـــــــة

اللقب والاسم	الرتبـــة	الأصلية المؤسسة	الصـــــفة
مولاي حاج مراد	أستـــاذ التعليم العالي	جامعة وهـران 2	رئيـــسا
حجيج الجنيـد	أستـــاذ التعليم العالي	جامعة وهـران 2	مشرفـــا
بلحسن مباركة	أستـــاذ التعليم العالي	جامعة وهـران 2	منـــاقشا
مالك شليح توفيق	أستـاذ محاضر– أ–	جامعة وهـران 2	منـــاقشا

السنـــة: 2018/2017

إهداء

إلى من علمني الكبرياء والشموخ...ينبوع الحب والحنان والنور الهادي...إلى رمز العطاء والوفاء معلمي الأول وأستاذي والدي العزيز

إلى من رافقتني بالدعاء... فكان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي...الغالية أمي الحبيبة

أهديكما ثمرة عملي... يا قطعة من قلبي وعنوان حياتي وسر سعادتي أمي وأبي (علي- أم هاني) أطال الله في عمركما

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة إلى رياحين حياتي (إخوتي)

عبـــلاوة عبلة

شكر وتقدير

مكان لهذه الدراسة أن ترى النور لولا فضل الله سبحانه وتعالى و مؤازرة جهود عدد من الباحثين والأساتذة وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور"حجيج الجنيد" المشرف على هذا العمل والذي تحمل أعباء هذه المهمة النبيلة رغم كثرة المشاغل والأعمال ليمدنا بنصائحه وتوجيها ته ومعلوماته القيمة. الذي أعتبره المرشد الحقيقي لسبرأغوار هذا الحقل الأنثروبولوجي، والذي زودني بكل ما من شأنه إضفاء الصبغة العلمية على هذا العمل . فلك مني جزيل الشكر وكامل العرفان .

ممتنة للأستاذ الدكتور مولاي الحاج مراد الذي لم يبخل علينا بوقته وعلمه لإتمام هذه المسيرة البحثية وإنجاز هذا العمل. فلك مني أستاذ خالص الاحترام والتقدير.

لكل الأساتذة الأفاضل الذين تفضلوا بقراءة هذا العمل. للقراء ة المعمقة والملاحظات الصائبة. أثمن بالخصوص الانتقادات والاقتراحات التي أبدوها لي والتي أضافت على البحث لمستهم.

هذا العمل وكل هذه العلاقات والصلات والوطيدة حصلت بفضل الظروف التي منحها إيانا مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية وهران CRASC.

كما لا أنسي الأفراد والأسر الذين فتحوا لنا قلوبهم قبل بيوتهم من نساء وأهالي مدينة باتنة خاصة (كيمل تكوت، آريس) الذين تقبلوا صداقتنا وأطلعونا على تفاصيل حياتهم وشاركونا أسرارهم الخاصة وسمحوا لنا بمشاركتهم أفراحهم ودخول بيوتهم وخاطبونا بكل صدق. فتكرموا بوقتهم وذكرياتهم وإرثهم، ولم يبخلوا علينا لا بالقليل ولا بالكثير من جهد ووقت ومعلومات لإتمام هذا العمل ليدونوا معنا الإرث الثقافي لمنطقة الأوراس (باتنة) وما تعلق بممارسة المرأة الشاوية لعادات وطقوس الزواج بين المحددات التقليدية والحديثة خاصة ما تعلق بممارسة طقس "التصفاح".

دون أن أنسى طلبتي بجامعة الحاج لخضر دفعة (2016/2015) الذين اعتبرهم مخبرين حقيقين سهلوا مهمتي في قراهم ومداشرهم، وكل من ساهم في إمدادي بالعون أصدقائي وأخص بالذكر(عقيلة محفوفي)

شكرا للجميع فلولا عون الله ولولا حبكم لي ما كان هذا العمل ليرى النور. فإذا ظلت في هذا العمل رغم الإرشادات أفكار مغلوطة أو وقائع يعوزها الغموض فليس لوجودها من سبب سوى عنادنا وحده ومسؤوليتها مثل سائر البحوث ترجع إلينا وحدنا .

عــلاوة عبلة

الفهـــــــــرس

- مقدمة عامة 01
- منهجية البحث..... 27

الفصل الأول: الأسرة الجزائرية ودورة الحياة جدلية الثابت والمتحول..... 36

- مقدمة..... 37

المبحث الأول: الأسرة الجزائرية التنشئة ومكانة المرأة بين الأصالة والمعاصرة..... 38

أولا: الأسرة ودورة الحياة..... 39

1. مفهوم الأسرة..... 39
2. نماط الأسر عند علماء الأنثروبولوجيا..... 41
3. وظائف الأسرة..... 42
4. التأثير المتبادل بين الأسرة والمجتمع..... 44
5. الأسرة الشاوية بين الحداثة والتقليد... 45

ثانيا: مكانة المرأة في الأسرة و دورها في الحفاظ على الإرث الثقافي..... 47

1. التنشئة الأسرية للفتاة (الأنثى) الشاوية..... 47
2. مكانة المرأة في الأسرة الوظيفة والدور..... 52
3. المرأة الشاوية بين الماضي والحاضر..... 57

المبحث الثاني: التحولات السوسيو–ثقافية والبناء الاجتماعي..... 62

أولا: التحولات السوسيو- ثقافية للمجتمع الجزائري..... 62

1. مفهوم التغير الاجتماعي..... 63

2. التغير الاجتماعي وبعض المفاهيم المقاربة..... 65
3. عوامل التغير الاجتماعي..... 67
4. مصادر التغير الاجتماعي..... 69
5. أشكال التغير الاجتماعي..... 70
6. مظاهر التغير الاجتماعي في المجتمع الشاوي..... 70
ثانيا: التغير الثقافي..... 73
1. مفهوم التغير الثقافي..... 73
2. عناصر التغير الثقافي..... 74
3. أصول التغير الثقافي..... 74
4. أنماط التغير الثقافي..... 75
5. النظريات المفسرة للتغير السوسيو – ثقافي..... 76
6. التحولات السوسيو – ثقافية في المجتمع الشاوي..... 79
- خلاصة الفصل..... 82
الفصل الثاني: عادات وطقوس الزواج بين المتوارث والوافد..... 83
مقدمة..... 84
المبحث الثاني: العادات والطقوس الأصالة والمعاصرة..... 85
أولا: العادات والطقوس بين المتوارث والوافد..... 86
1. تعريف العادات..... 86
2. علاقة العادات ببعض المفاهيم..... 87
3. خصائص ومميزات العادات..... 88

4. أهمية ووظائف العادات..... 96
5. أقسام العادات..... 97
6. دور المرأة في ترسيخ العادات والطقوس..... 100
ثانيا: الطقوس والقيم المجتمعية..... 101
1. مفهوم الطقوس..... 101
2. تصنيفات الطقوس في الحقل الأنثروبولوجي..... 103
3. طقوس العبور (المرور) شعائر المرور Rites de passage 104
4. طقوس العبور المؤثّرات والوظائف..... 105
المبحث الثاني: الزواج ونسق القرابة بين الماضي والحاضر..... 110
- مقدمة..... 111
أولا: الزواج والنسق القرابي..... 112
1. مفهوم الزواج..... 112
2. أنماط وأشكال الزواج..... 116
3. الزواج في المجتمع الجزائري التركيبة والبناء..... 117
4. سن الزواج والتغير السوسيو- ثقافي..... 127
ثانيا: مراسيم ومجريات الاحتفال بالزواج..... 135
1. المرحلة التمهيدية..... 136
2. المرحلة الانتقالية..... 151
- خلاصة الفصل..... 154
الفصل الثالث: الممارسات الطقوسية وضبط الجنسانية..... 155

- مقدمة..... 156

المبحث الأول: آليات ضبط الجسد الأنثوي..... 157

أولا: الجسد والجنس واليات ضبط الجنسانية..... 158

1. التصفاح وطقوس المرور أية علاقة؟..... 158

2. مراحل واليات ممارسة طقس التصفاح..... 160

ثانيا: الوظيفة السيكولوجية والرمزية لطقس التصفاح..... 169

1. الممارسات الأنثوية وسلطة الطقس..... 169

2. الحداثة وآليات ضبط الجنسانية الأنثوية..... 181

المبحث الثاني: خطاب الجسد التمثلات وسلطة الطقس..... 182

أولا: الجسد الأنثوي الدلالة والرمز..... 183

1. مفهوم الشرف..... 184

2. مفهوم الشرف والقيم المعيارية..... 187

ثانيا البعد الأنثربولوجي لمفهوم "الشرف"..... 187

1. تجليات العذرية..... 188

2. العذرية بين متغيرات الحداثة والقيم المجتمعية..... 194

خلاصة الفصل..... 196

الفصل الرابع : المضامين الأنثروبولوجية للممارسات الطقوسية..... 197

- مقدمة..... 198

المبحث الأول : الممارسات الطقوسية والرموز الثقافية المؤشرات الوظائف..... 199

أولا:الممارسات الطقوسية بين التسلط اللاوعي والاجتماعي..... 200

1. التويزة المفهوم الأنثروبولوجي..... 201
2. المونة (المصروف) البركة والتقرب..... 203
3. جهاز العروس "الشورة" الهيبة والمكانة..... 206
ثانيا: الممارسات الطقوسية والرموز الثقافية الثابت والمتحول..... 208
1. ليلة الحنة الجمالي والسحري..... 208
2. ربط الحنة الطقوسي والديني..... 210
3. التصديرة الأناقة والتمايز..... 219
المبحث الثاني: طقوس العبور والثوابت الاجتماعية الدلالة والرمز..... 222
أولا: طقس العبور المؤشرات والوظائف..... 223
1. مراسيم الزواج بين الثبات والتغير..... 223
2. ليلة الدخلة التكتم والإشهار..... 227
3. طقس الحزام الأنوثة والذكورة..... 228
ثانيا: الممارسات الطقوسية الثوابت الاجتماعية والثقافية..... 231
1. الجسد وسلطة الرموز السكون والرغبة..... 231
2. الرموز الثقافية الدلالة والرمز..... 236
خلاصة الفصل..... 241
خاتمة عامة 242
المراجع..... 247
الملاحق..... 259

مقدمة عامة:

لقدكانتالأسرةوما تزال ميدان بحث واهتمام الكثير من المختصين في مختلف الفروع المعرفية كونها إحدى الموضوعات في العلوم الاجتماعية التي سايرت إلى حد كبير تطور المجتمعات الإنسانية. فهي ليست أساس وجود المجتمع فحسب، بل المصدر والدعامة الأولى لضبط السلوك والإطار الذي يتلقى فيه الإنسانأول دروس الحياة. بلإعتبارها نظاما إجتماعيا ومصدرا للعادات والتقاليد والقيم السائدة في المجتمع والوصية على الطقوس وبؤرة الوعي الإجتماعي والتراث الحضاري المتوارث من جيل إلى جيل أخر . حيث تنشأ هذه الأخيرة بخطوة لها كيان تصوري في ذهن الناس يطلق عليه إسم الزواج.القاعدةالأولىالمؤسسة للوجود المادي للأسرة قبل المعنوي والآلة الضابطة التي تعترف بها كل القوانين والأعراف والتشريعات، والتي تسمح للإنسان الولوج إلى عالم الأسرة. فمنها ترسم ملامحه وبها تتحقق استمراريته، الأمر الذي يعطي أهميةللآلية التي عن طريقها تتكون هذه الأخير(الأسرة). والتي تبنى على علاقة رجل بإمرة يقرها المجتمع ويعترف بها القانون ضمن نظام الزواج المقبول إجتماعياوالذي يفضي إلى القرابة والعشيرة.[1]

والأسرة كنسقإجتماعي فرعي تتكون بنائيا من أفراد (**ذكور/ إناث**) يشكلون وحدات بنائية في حدود أدوار وعلاقات (**زوج/ زوجة**).وتؤدي وظائفها وأدوارها في إطـار عمليـة نـسقية متكاملة تبنى على الزواج من أجل استمرار الأسرة والعائلة.[2] بلإعتبارها النواة الأساسية في المجتمع الجزائري وفي كل نسيج إجتماعي. وهي تتكون من جماعة أفراد تربط بينهم صلة القرابة والرحم ويعيشون في إطار مؤسسة الزواج ، الذي يخضع لنظام الدين من جهة والعادات والأعراف الاجتماعية من جهة أخرى.لكن هذه المؤسسة مستها العديد من التحولات السوسيو - ثقافية والإقتصادية والتكنولوجيا، أدت إلى تغير ملحوظ وملموس في

1- عامر مصباح،علم الأنثربولوجيا، دار الكتاب الحديث،القاهرة، 2010،ص76.

2- معن خليل، علم إجتماع الأسرة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان, 2000، ص56.

السلوكيات المرتبطة بالزواج.غيرأن العادات والتقاليد تقف عائقا أمام هذه التغيرات في كثير من الأحيان لأنها تلعب دورًا كبيرا في تكوين عناصر الثقافة والحفاظ على الموروث الثقافي.

إن هذا النظام الإجتماعي تطور بتطور الحياة الإجتماعية واختلف ب إختلاف العصور والمجتمعات والثقافات. و أن هذه الإختلافات القائمة بين المجتمعات والراجعة إلى إختلاف الأديان والثقافات والعادات والأعراف المتداولة في كل مجتمع بل حتى في المجتمع الواحد لا تلغي الإختلاف الموجود بين مختلف مجالاته الإجتماعية المتعددة ، التي تحمل في طياتها خصوصيات سوسيو-ثقافيةمتعددة.إلاأنها تتفق على أن الزواج يعد من أقدم النظم الإجتماعية وأساس تكوين الأسرة باعتبارها النواة الأساسية في بناء المجتمع من خلال إمداده بالأفراد وتنشئتهم تحت سقف الرابطة الشرعية بالامتثال للمعايير الاجتماعية والدينية. وعلى هذا الأساس يكون الزواج أصلالأسرة وجوهر تكوينها كمؤسسة إجتماعية على تباين عاداتها وممارساتها الطقوسية وتبعا للأعراف والمعايير والقيم، وعلى إختلاف الأوساط الإجتماعية والمراحل الزمنية. كما يعتبر البداية والأساس في تكوين البناء الأسري ، كأحد أهم وأبرز المؤسسات الإجتماعية التي تعمل على نقل المورث الثقافي و إستمرار العادات والتقاليد كتراث للإنسانية.

يشكل الزواج بداية أهم مرحلة في حياة الإنسان ونهاية لأخرى ويعتبر معلما وعلامة رئيسية لبداية حياة إجتماعية جديدة. وهو نظام عالمي عرفته المجتمعات البشرية منذ أقدم العصور، كما يعد ضرورة بيولوجية وإجتماعية ضابطة للغريزة الجنسية وتأمين إستقرار الحياة والتواصل البشري. فهو بمثابة خطوة شرعية لتكوين نظام هام ضمن النظم الإجتماعية الأخرى.حيث يسمح للفرد بالدخول الى عالم الجنسانية المنظمة والى الحياة الزوجية المشروعة شرعا والمنظمة إجتماعيا ورمزيا، وتسمح له بالإندماج في وضعية جديدة تمثل إنتقالا من حالة العزوبة إلى الزواج من خلال إحتفال تسيره العادات والتقاليد على إختلافه وتنوعه من مجتمع الى آخر، وهو أحد شعائر المرور الهامة في حياة الإنسان من

خلال مروره من تبعية الطفولة إلى مسؤولية الراشد. [1]وهذا ما نميزه في المجتمع الشاوي بمنطقة باتنة حيث نقف في كل إحتفال زواج على بعض الممارسات الطقوسية للمرأة الشاوية " فتح التصفاح"التي تعتبرها طقس عبور للإباحية الجنسانية المشروعة والتي تسمح للزوج من إتيان زوجته بعد ما كانت صعبة الفتح وممنوعة " **مصفحة**" لخضوعها لطقس "**الإغلاق**" السحري المبني على الإعتقاد الشائع بين أفراد المجتمع بسلطة طقس(التصفاح /الثقاف) في إباحة المرأة خارج إطار الزواج .فبمجرد القيام بعملية الفتح يصبح في مقدور الزوج الإفتضاض الذي يصعب بفع ل طقس (الغلق/التصفاح)وفي حالة الإخلال بالقانون الجماعي (علاقة خارج إطار الزواج) بفضل سلطة الطقس.

الجزائر كغيرها من الدول العربية والإسلامية الزواج لا يتم إلا في إطاره الإجتماعي والديني فهو يشكل بداية أهم مرحلة في دورة حياة الإنسان ونهاية لأخرى. ويعتبر معلما وعلامة رئيسية لبداية حياة إجتماعية جديدة. وهو (الزواج) كممارسة إجتماعية من أقدم النظم التي عرفتها البشرية وحثت عليها الأديان السماوية كسبب لبقاء النوع البشري. وسنة الله في خلقه والقاعدةالأساسية للإنتاج الإجتماعيهوأسمى النظم الإجتماعية التي يتحقق من خلالها ا لإستقرار النفسي وا لإجتماعي والتوازن البيولوجي.هذا الحدث الإجتماعي ترافقه مجموعة من الطقوس والعادات التي تجعل منه مناسبة إحتفالية محكومة بالعديد من الشروط الثقافية والأنثروبولوجية ، بعضها مستمد من الدين الإسلامي الحنيف والبعض الآخر متصل بالعادات والتقاليد التي تجسد البعد الواقعي لإستمرار البنية البشرية. ولها أثر فعال على بنائه ا لإجتماعي الكلي وعلى اتجاهاته وأنماطه[2].كما يزخر بكمكبير منالممارساتالمرتبطةبالمعتقداتالشعبيةوالتيترافقه، ولعل إهمها (**التصفاح**)*أحدآلياتالحفاظعلىالعذريةالتيتمثلفيمدلولهاطقساسحرياتمارسه المرأة بتبرير ثقافيوإجتماعي تظهر تجلياته منخلالقيمتهالرمزيةالمتعلقةبإثباتالعذريةالمرتبطةبالعفة وشرف العائلة .ولما كانت العادات

[1]- عصام محمد منصور، المدخل الى علم الاجتماع، دار الخليج، الاردن،2010، ص95.

2 - ڤفزي محمد فوزي، العادات والتقاليد بين الرمز والممارسة، فعاليات الملتقى الوطني الثاني حول التراث الثقافي 18 ،مديرية الثقافة لولاية الوادي ماي، 2009 ، ص15.

والتقاليد وغيرها من العرف والأخلاق والعقائد تعد من مكونات الثقافة. الثابتة والمتغيرة نسبيا،المعتادة والمألوفة التي يقوم بهـا الأفـراد فـي ظروف ومناسبات معينةفهي تنتقل من جيل إلى جيل، كما تعتبر تقليد لمن سبقهم لما لها من تأثير نفسي على الأفراد أكثر منه إجتماعي لأنها تتعلق بالحياة اليومية للفرد كونها سلوكيات يتبادلها الأفراد فيما بينهم بطريقة طبيعية تستلزمها الحيـاة العاديـة للأفراد.[1]ولما كان الزواج من الآليات الإجتماعية والدينية التي تسهم إسهاما فعالا في بناء الأسرة الخلية الأولى والهامة من خلايا البناء الاجتماعي، قد أحيط بعدد كبير من الأحكام الشرعية والقوانين الوضعية والأعراف ا لإجتماعية والممارسات الطقوسية. لذلك كان موضوع الأسرة وما ينتج عنـها مـن قرابـة ونسب محل إهتمام الكثير من علماء ا لإجتمـاع وعلماء الأنثروبولوجيا مـن أمثال C .Lévi-Strauss"**كلود لفيس ستروس** " والذين اجمعوا على أن الأسرة تشكل الوحدة الأساسية والـضرورية لوجود المجتمع وأن كل أفراد المجتمع ولدوا وتربوا في أسرة تتكون على الأقل من رجل وامرأة تربطهم علاقة زواجية يقرها المجتمع، وأن كل المجتمعات رغم اختلافاتها الدينية والثقافية والعرقية تضفي على هذه العلاقة مظهرا وقداسة تفوق كل التصورات، وذلك لما له من أهمية بالغة في حياة الفرد ذكرًا أم أنثى . من خلال إجراءات وطقوس ومراسيم إحتفالية للإعلان عنه وإشهاره أمام الناس.ولعل التغيرات التي مست عادات وطقوس الزواج في الجزائر عامةومنطقة باتنة خاصة كبيرة تحتاج إلىأبحاث ودراسات معمقة خاصة على الصعيد الانثروبولوجي وما تعلق منها بممارسة المرأة لهذه الطقوس والعادات المرافقة لاحتفالية الزواج في بعديها الجمالي والسحري المرتبط بطقس"**التصفاح**"

إنهذه العادات والطقوس المتعلقة بالزواج ليست من الممارسات التي يمر عليها المرء مر الكرام أو يكتفي بتحصيل حاصل من العادات والتقاليد والطقوس،أو بجرد بسيط لبعضها بما يبعث على التأمل واستحضار الماضي، لذلك سنقف على مدى ثبات وتغير تلك العادات والطقوس. وعن سر دوامها وحضورها بيننا وتعلقنا بها رغم ما يطرأ على العالم في كل لحظة من تحولات حضارية وتكنولوجية تتوق الناس إلى كل جديد ويكاد ينفرهم من كل أصيل. ولعل التغيرات التي مست عادات وطقوس الزواج

.

في الجزائر عامة ومنطقة باتنة خاصة . كبيرة وتحتاج إلىأبحاث ودراسات معمقة خاصة على الصعيد الأنثروبولوجي وما تعلق منها بممارسة المرأة لهذه الطقوس والعادات المرافقة لإحتفالية الزواج والمرتبطة بطقس "التصفاح".وعليه فالبحث في هذه الممارسات الطقوسية المتعلقة بإحتفالية الزواج في ضل هذه التغيرات السوسيو-ثقافية أصبح يشكل حتمية وضرورة تثير مجموعة من الإستفسارات في الدراسات الإجتماعية والأنثربولوجية.

فما مدى تأثير الوسط الإجتماعي والثقافي على الممارسات الطقوسية للمرأة الشاوية من عادات وتقاليد وقيم وأعرافهي احتفالية الزواج؟

لمعرفة مدى تأثير الوسط ا لإجتماعي والثقافي من العادات والطقوس و القيم و الأعراف خاصة الممارسات الطقوسية للمرأة. كونها بتعدد أدوارها عنصر أساسي في نقل العادات والتقاليد المتوارثة خلفا عن سلف، نظرا لطبيعة الوظائف التي تؤديها داخل هذا النسق. لذلك فإن أي تغير يحدث في النسق الأسري يرتبط بشكل أو بآخر بالمرأة ولأن المجتمع كنسق مكون بنائيا من أنساق فرعية هي الأسر فإن أي تغير على مستوى الأسرة يؤدي بالضرورة إلى تغير في النسق الإجتماعي الكلي (المجتمع).

ونظرا لطبيعة الموضوع النظري وتنوع الممارسات الطقوسية وإتساع موضوع الدراسة **"عادات وطقوس الزواج"**إرتأينا ولوج باب الممارسة من منظور جنساني **"جندري"**بإنحصاره في جنس معين . **"ممارس وممارس عليه"**.وعليه إرتكز البحث على فئة إجتماعية محدودة ضمن سكان مدينة باتنة وأننا نعني بذلك المرأة الشاوية.وما يهمنا هنا هو ضرب من الممارسات الرمزية المنظمة التي تحرص عليها النساء في كل مناسبات وإحتفالاتالزواج خاصةوتكاد لا تخلو منها أفعالهم الجماعية منها والفردية ونخص منها طقس **"التصفاح** "هذه الممارسات السحرية والتقليد الطقوسي المتوغلفيالثقافة العربية عامةوالجزائريةعلىوجهالخصوص،وهو غالباما

يرتبطبالنظامالقيميوالثقافيللممارسينفيمضمونهالجنسيوعلاقتهبالثقافةيمسالجسدويمارس عليه،تمارسه المرأة علىالمرأةكإجراء احترازيللحفاظعلىالعذرية .وانخوضنافيموضوع الممارسات الطقوسية المتعلقة بالزواج والمرتكزة على مفهوم العفة والشرفلايقل تعقيداعنالممارسة المحاطة بالصمت .صمتمكشوفتعبر

عنهرمزيتهولغتهالمستعملةلكنهصمتيقابلهاعترافبالممارسةفيتجلياته ا الظاهرة" **فتح التصفاح** "*قبل ليلة الدخلة وإعتراف صريح **بالمُمَارِسة**متجاهلينفيها الإخفاقاتللجنسيةالمرتبطةبه ا، وما يرافقها منقلقوتوتر قديلغيالعذريةويدنسالشرف. وعليهسنحاولفهم دلالة ورمزية هذه الممارسة الطقوسية التي تمارسها المرأة الشاوية بمنطقة باتنة . ونقرأ تجلياتهذاالطقسالسحري المرتبطبمراسيمالزواج ونحاول الكشف عن السر الثقافي والإجتماعي الذي يجعل كل المنخرطين فيه يصرون عليه، وكيف أن هذا الطقس أداة فاعلة في يد الفاعلين الإجتماعيين من خلال الإحتفاظ بها أو التخلي عنها. نتساءل عن مدى ثباته وتغيره ومعرفة مدى تأثير الوسط الاجتماعي والثقافي من عادات وتقاليد وقيم وأعراف مراسيم الزواج من جهةوفي ممارسة المرأة لهذا الطقسمن جهة ثانية. وعليه كان بحثنا ميدانيا تمثل في منطقة باتنة.باعتبارها فضاء حضاري واسع ومتشعب تختلف وتتنوع فيه الممارسات الطقوسية. ولما كان البحث الإجتماعي يهتم بما هو ميكرو-سوسيولوجي،إتخذنا من الممارسة الطقوسية موضوع أنثروبولوجي خصب للبحث. وعلى وجه التدقيق ممارسة المرأة لعادات وطقوس الزواج في كل محطاته من "الخطبة المهر ،"الحنة،تصفاحليلة الدخلة" اقتحام المسكوت عنه وإماطة اللثام عن ه ذه الممارسات. التي تعد بمثابة مختبر تعلن الثقافة من خلاله على تجلياتها القيمية وا لإجتماعية، وتتأسس كمجال غني بالرموز التي تعلن من خلالها المرأة الشاوية على هوية المجتمع المحلي وثقافته. سواء **المُمَارِسة والمُمَارَسْعليها** من جهة ، والمتتبعة من جهة أخرى.هذه الممارسة التي تمس الجسد الأنثوي وتندرج ضمن المساعي الفردية لتعزيز ملكية الثروات الرمزية في سوق الشرف حسب **"بيار بورديو**."Pierre. Bourdieu.[1]

إن هذه الثوابت والتغيرات في الممارسات الطقوسية والمراسيم المستمدة من العادات والتقاليد الضاربة في عمق الموروث الثقافي في حراك وتغير مستمر. ما يمكن لبعض عناصرها أن تختفي أو تبقى. فهي تتسم بالقولبة والتكرار على حد تعبير " **كازنوف**" (J.Cazeneuve). تتغير باستمرار وبصورة

* سيرد شرح ممارسة **"فتح التصفاح"** في فصل الممارسات الطقوسية في الفصل الثالث بشيء من التفصيل والشرح.

1-Pierre. Bourdieu ; Esquisse d'une Théorie de la pratique précédé de trois études d'ethnologie kabyle Ed Genève .1972 ; P5

غير مدركة، وتفقد قيمتها أو حتى سبب وجودها متى طرأ عليها تغير. وان التغيرات في طقوس الإنتقال تسمح برؤية التغيرات الحاصلة في المجتمع، كما أنإستمرارية الطقس وديمومته مرتبط بالفاعلين الإجتماعيين في إختيارهم بين نموذج طقسي وآخر ، والتخلي عن ممارسة وتكييف فعل، وتجديد هذا والإستعارة من ذاك. دلالة على ما تحمله في طياتها من وظائف لا يمكن التخلي عنها[1]

صحيح أن هناك بعض العادات التي تختفي وتذبل، ولكن الكثير مستتر وحاضر ويتخذ صورًا وأشكالاً جديدة حسب كل مجتمع . فبرغم رياح التطور التي طالت كل مرافق الحياة لايزال بعض من العادات والطقوس محفور في عمق الذاكرة الشعبية والوجدان الجمعي لم يطلها التغيير، ولم تؤثر عليها العصرنة. لها دور في الضبط الإجتماعي، وتمارس سلطة رمزية على أفراد المجتمع.[2] فمع تسليمنا بأن عادات وطقوس الزواج توجد في المجتمعات نسلم أيضابأنها تختلف من بيئة إلىأخرىابتداءً من ا لإستعداد للزواج إلى غاية التهيئة " لليلة الدخلة" وما بعدها. وأن بعضها لا يستطيع الصمود بل قد يختفي أو يتخذ صورا جديدة، أو قد يتعايش فيها التقليدي مع العصري. لذلك فالعائلة في المجتمع الجزائري عامة ومنطقة باتنة بالتحديد مدفوعة إلى التعامل بين نمطين من العادات والممارسات الطقوسيةقديمة تعبر عن هويتها وجديدة معبرة عن الحداثة والعصرنة والتغيير .وأننا لن نقوم بمقارنة بين نمطين من الممارسات والمراسيم ولا جردها وإنما يتعذر علينا الحديث عن هذه الممارسات الحالية دون الرجوع إلى ما كانت عليه بالوقوف على ما تغير منها وما بقي. والمقارنة في هذا السياق هي مقارنة زمنية تعاقبية Une Approche Diachroniqueللوقوف على مظاهر التغير والثبات في هذه الممارسات من منظور أنثروبولوجي.ولما كان الفرد يتأثر بالجماعة والمجتمع الذي يعيش فيه ويحتك به فاعلا ومتفاعلا من كل النواحي الاقتصادية والاجتماعية الثقافية، كأحد عناصره ومكوناته فيشاركهم العادات والتقاليد وكل المعتقدات والممارسات التي تصل ماضيه بحاضره، فهي اليوم تسيرنحوالتغير في كل مناحي الحياة ولاسيما ما إتصل بمنظومة

1- عباس فريال، مراسيم الزواج في مدينة قسنطينة "مقاربة أنثروبولوجية" رسالة دكتوراه علوم في علم الاجتماع ، جامعة منتوري قسنطينة بالمشاركة العلمية للمركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجياالاجتماعية والثقافية CRASC،2005.

2- محمد سعيدي،العائلة عاداتها وتقاليدها بين الماضي والحاضر ظاهرة الاحتفالية بالأعياد نموذجا،مجلة إنسانيات،وهران العدد 04 جانفيأبريل،1998،ص4 .

الزواج، وبممارسات المرأة. ذلك العنصر الأساسي والفاعل والناقل لهذه العادات والطقوس . هذه الممارسات الخاضعة لقواعد إجتماعية وثقافية تختلف من مجتمع إلىأخر ومن فاعل إجتماعي إلىآخر ، ومدى تمسكهم بها ، وتقديسهم لمضامينها وشعائرها التي تصب في وعاء إعتقاداتهم وتتغذى منه بالإستمرار.ولما كان موضوع دراستنا منحصر في منطقة الشاوية فإننا نقر بالانتماء الجيو-ثقافي لمنطقة **"الاوراس"**هذه الكلمة التي تطلق غالبا على مدينة باتنة.التي شكلت ميدان خصب للبحوث الأنثروبولوجية والاجتماعية منذ الحقبة الاستعمارية. حيث خصتها الدراسات الكولونيالية بالكثيرمن البحوث التي شملت عدة مناطق منها (التوابة، أولاد عبدي، منعة أولاد عبد الرحمان، ...الخ) بباتنة عاصمة الأوراس، والتي أعدها الرحالة الذين زاروا الجزائر(و/أو) أقاموا فيها. لذلك نجد المتتبع للتكوين المورفولوجي لمنطقة باتنة أمام بناء ونسيج إجتماعي متميز وثري بالعادات والتقاليد والممارسات الطقوسية المتعددة الوظائف.فهي لا تعتبر فقط علامات بارزة على تأسيس وتكوين وحدة أسرية زواجية جديدة واستقرار علاقات في الجانبين المعنيين. ولكنها أيضا شعيرة مرور ذات دلالة هامة في نسق الفئات العمرية [1] كونها طقس إنتقالومرحلة عبورهامة في حياة الفرحسب **أرنولد فون جنيب**A.Gennep.V ".حيث ينتقل الفرد من مكانة إجتماعية إلى أخرى.

فلقد إهتمت المنظومة الكولونيا ليه مبكرًا بمظاهر الثقافة الشعبية في الجزائر فأوفدت إلى الميدان عساكرها ورجال الدين الذين اختلطوا بالمجتمع، الأمرالذي ساعدهم على تسجيل ووصف العادات والأعراف والمعتقدات والطقوس وأشكال التعبير المتنوعة. فطافوا المدنوالقرى وحظروا الحفلات والمواسم الطقوسية وشاركوا أفراد المجتمع أفراحهموأتراحهممن أمثال:

Pierre. Bourdieu - Germaine Tillion-ThérèseRivière -Mathéa Gaudry

فلقد أعدت الباحثة".T.Rivière"دراسة أنثروبولوجية أجرتها بمنطقة الأوراس بما في ذلك منطقة جبل أحمر خدوا سنة 1935-1936. حيث قامت الباحثة بوصف معمق لعادات وتقاليد مجتمع الأوراس الشاوي من خلال صور فوتوغرافية لكل مناحي الحياة اليومية لهذا المجتمع، بما في ذلك عادات

1- فاروق، أحمد مصطفى وآخرون، دراسات في التراث الشعبي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ،2008، ص. 96.

وتقاليد خاصة بالجانب الإجتماعي والثقافي والديني والإقتصادي، من زواج وختان ولباس وأكل ورقص. والطقوس الخاصة لدرء العين، والعادات الخاصة بالبذر والزراعة... وخصصت الجزء الآخر من الدراسة للتعليق على هذه الصور التيتجسد بدقة عناصر الهوية الأمازيغية (العادات والتقاليد) فصبت كل اهتمامها بالممارسات اليومية للمرأة الشاوية. [1]في حينركزت" G.Tillion" على نسب العائلات المشكلة للقبيلة والهيئات الموجودة بها "**كالجماعة**" وعنت بالأعياد الدينية والموسمية البربريةواحتفالات الولادة والختان والجنائز. حيث قامت الباحثة بتحقيقأنثروبولوجي وإجتماعي شامل عن الأوراس وسكانه خاصة قبيلة " **أولاد عبد الرحمان** " ومقارنته بالقبائل المجاورة ومعرفة العادات والمعتقدات والطقوس.أما" M. Gaudry" في دراستها La femme Chaouia de l'Aurès الذينشرتهسنة 1929خصت المرأة بالدراسة لأنها كانت بعيدة عن التأثيرات الخارجيةمحاولة تقديم المرأة الأوراسية في الوسط الذي تعيش فيه، وتحديد المكانة التي تلعبها المرأة في ممارسة وظائفها مقارنة مع الرجل، وتتبع حياة المرأة منذ ولادتها إلى مماتها. كما تعرضت إلى لباس المرأة (تاجبيبتأو الجبة واللحاف) من خلال احتكاكها بالنساء ومشاركتهم حياتهم اليومية والدينية .ولقد خلصت الباحثة إلىأن المرأة الأوراسية تلعب دورا في هذا المجتمع البربري . فالتقاليد والعادات منحتها استقلالية واسعة ليس كامرأة ذات وزن في الحياة المنزلية والعائلية، لكن أيضا كامرأة حرة أو ما أطلقت عليها (**العزرية**) واستعملت في دراستها الإثنوجرافية المنهج الوصفي.[2]

يرتبط البحث عادة بالمقاربة النظرية، التي من خلالها يعتمد الباحث على ما جاءت به هذه الأخيرة من مصطلحات وأفكار تدعم موضوعه، والموضوع الذي نحن بصدد دراسته يجعل المدخل النظري الأقرب إليههو:

[1]-Thérèse Rivière. Aurès/Algèrie.1935 ; 1936 ; Photographies. Suivi d'Elle a passé tant d'heures… par Fanny Colonna Alger/Paris (O .P.U) 1987 ; Annexe n°2 ; P195

2 -Mathèa Gaudry, La femme Chaouia de l'Aurès(Etude Sociologie Berber) ED/ Paul Geuthner1929.P129

- **نظرية شعائر المرور:**

إن مصطلح شعائر المرور تعني المؤشر لإنتقال الفرد من مرحلة محددة في حياته ودخوله إلى مرحلة أخرى . وتمثل نظرية شعائر المرور إحدى النظريات الكلاسيكية الهامة في تاريخ الفكر الأنثروبولوجي. وقد تأسست النظرية على يدي الأنثروبولوجي البلجيكي "**أرنو لد فان جنيب**" .Arnold Van Gennep. حيث تؤكد على أهمية الشعائر . وتعرف باسم شعائر ال مرور Rites de passage التي تصاحبوتؤثر في ذات الوقتلإنتقال الفرد من مرحلة أو حالة اجتماعية لحالة اجتماعية أخرى مغايرة، وتصاحب كل تغير فيالمكان والحالة والوضع ا لإجتماعي والعمر .إذأنها تؤشر ثقافيا لإنتقال الفرد عبر مراحل معينة، ومن ثمة تساعد الفرد والجماعة على التوافق مع المكانة ا لإجتماعية الجديدة ، بما تتضمنه من أفعال وعلاقات إجتماعية. كما أنها تقلل من الغموض والتوتر المرتبط بتغير تلك المكانة ، وبرسم خطوط ذات مغزى خاص ، كما قام" **تيرنر Tirner**" بتطبيق نظريته عن **"شعائر المرور** " خاصة في مرحلتها الوسطى على طقوس ختان الذكورلدى قبائل "الندمبو " في زامبيا، فهو يرى أن طقوس ختان الذكور يمثل نموذجا مثاليا لطقوس العبور، حيث يولد الأطفال من جديد كرجال بعد الموت الرمزي لطفولتهم.

وإستنادا لماطرحه كل من "R.Thérèse" و"M.Gaudry"فإن الدراسة الحالية تنطلق من فكرة أساسية وهي أن"**تصفاح**" الإناث يمثل واحدًا من طقوس العبور المهمة للفتاة في المجتمع الشاوي بمنطقة باتنة وأن هذا الطقس في حدذاته يمثل المرحلة الوسطى في طقوس البلوغ، وهي التي تؤسسلإنتقال الفتاة من مرحلة الطفولة إلى مرحلة النضج، ومن ثم الدخول إلى المجتمع الانثوي الناضج عضويا وإجتماعيا وثقافيا.

- **نظرية رأس المال الرمزي:**

حسب" **بورديو**Bourdieu.Pierre" هو كأي ملكية أوأي نوع من رأس المال الطبيعي ا لإقتصادي والثقافي والإجتماعي. يقر به الفاعلون الإجتماعيون ويمنحونه قيمة مثلا "**الشرف، السمعة**". فرأس المال هو كل طاقة إجتماعية Energie Socia[1]يستعمل كوسيلة من وسائل المنافسة، وهو مصدر الهيمنة

والصراع. كما انه هناك عدة صور لرأس المال منها "**رأس المال الثقافي، رأس المال الاجتماعي، رأس المال الرمزي**" ويمثل رأس المال الرمزي"symbolique capital" مفهوما مفصليا.

النموذج النظري الذي طرحه"**بورديو**" يعرفه بأنه تلك الموارد المتاحة للفرد نتيجة إمتلاكه سمات محددة كالشرف Honeur والهيبةPrestige والسمعة الطيبة renon والسمعة الحسنة réputationوالتي يتم إدراكها وتقييمها من جانب أفراد المجتمع . ويرتكز رأس المال الرمزي على الذيوع والانتشار Publicité واستحسانappréciatio.إنهيرتبط بالهيبة والسمعة والشرف .كما يعتبره قوة معينة تتسم بالسلطة الرمزية والسلطة غير المرئية، ولا يمكن أن تمارس من خلال تفاعل وتأييد أولئك الذين يخضعون لها ويمارسونها وأساس السلطة الرمزية الحفاظ على النظام الاجتماعي ، فحسبه و ذلك المفهوم الذي سمح للعقول أن تتفاهم فيما بينها.واستنادا لما يطرحه "**بورديو**" فإن عمليه "**التصفاح**" التي تخضع لها الأنثى في منطقة باتنة تمثل إحدىالآليات الإجتماعية والثقافية التي إبتدعتها المرأة في الحفاظ على عذرية البنت وعفتها وشرفها إلىأن تتزوج. ومن ثم صيانة رأس المال الرمزي للعائلةوالجماعة القرابية بأسرها، من ذلك صيانة شرف الزوج. و إستنادا إلى تلك الرؤية فإن رأس المال لدى "**ب ورديو** .P. Bourdieu" هو أساسي من حيث السيطرة والخضوع للسيطرة. هو كل طاقة إجتماعية تستعملكوسيلة من وسائل المنافسة وبالتالي فهو مصدر الهيمنة والصراع.[1]

موضوع العادات والتقاليد والطقوس بشكل عام مجال بحث أنثروبولوجي مبني على الوصف الاثنوغرافي لمختلف المظاهر الإجتماعية. شغل بال الباحتين والأنثروبولوجين سواء منهم العالميين(أو/و) العرب (أو/و) المحليين. ويعد "**فون جنيب**A.V.Gennep" إول من قام بذلك بوصفه لطقوس ا لإنتقال من الولادة حتى الموت في فرنسا، وبالمقابل نجد العديد من الدراسات العربية والجزائرية التي شغلها موضوع العادات والتقاليد الخاصة بمنظومة الزواجوالتي كانت في الغالب دراسات فلكلورية ولعل أهمها

1- حسني إبراهيم عبد العظيم، الأبعاد الاجتماعية والرمزية للممارسات الجسدية: تحليل سوسيولوجي لظاهرة ختان الإناث، مجلة فكرية تربوية فصلية محكمة،العدد الثالث شتاء –ديسمبر- يناير- فبراير،2015، ص60.

عمل لـ "محمد الجوهري وعلياء شكري" في دراستهم التراث الشعبي "عادات دورة الحياة " من منظور سوسيولوجي.1وسنقف على بعض الدراسات العربية التي عنت عادات وتقاليد الزواج بالبحث والدراسة:

-لقد اهتمت **"فوزية ذياب "** بعادات وتقاليد دورة الحياة "الزواج والختان والموت " في المجتمع المصري من منظور أنثر وبولوجي.[2]حيث تعرضت للعادات بين الأمس واليوم وبعض العناصرالمرتبطة بالعادات والمعتقدات والفنون في مصر القديمة وإمتدادها إلى العصر الحالي مثل الزواج المبكر. والكشف عن القيم الإجتماعية المنظمة فيها وأوضحتأنإلزام العادات وبقائها ونطاق انتشارها أمور تتوقف على القيم المتضمنة فيها، أيأن كل عادة تكون مشحونة بعنصر قيمي يمكن تسميته بالشحنة القيمية وبذلك فإن العلاقة بين القيم والعادات الإجتماعية علاقة وثيقة.

كما أن الدراسات التي أقيمت على المجتمع الجزائري عديدة ولا يسعنا البحث لذكرها كلها ولكننا نكتفي بما يخدم البحث، ومن جملة الدراسات التي تطرقت إلى موضوعنا وفي حدود ما توفر للإطلاع عليه نجد:

-دراسة **"محمد سعيدي"** العائلة عاداتها وتقاليد هابين الماضي والحاضر، الظاهرة الاحتفالية بالأعياد نموذجا بهدف الكشف عن بن يةِ التقاليد من رموز ذات علاقة بالهوية الإجتماعية للعائلة. وخلص إلىأن العائلة تعرضت لتطورات اجتماعية وثقافية و إقتصادية عميقة أكسبتها عادات وتقاليد جديدة مع الزمن، غير أن هذه التغيرات والتطورات ظلت عاجزة في أن تصيب بعض مظاهر الثقافة المحلية المتمثلة في بعض العادات والتقاليد المحلية.[3]

-وذكر مصطفى **بوتفنوشت**[4]في دراسته حول العائلة الجزائرية على دينامية التغير الذي مس الأسرة الجزائرية وكان منهج تحليله في سياق المدرسة التطورية إذ يشير إلىأن تطور المجموعة القرابية

1- محمد الجوهري،علياء شكري، الدراسة العلمية للعادات والتقاليد الشعبية (دورة الحياة)، الجزء الثالث من دليل العمل الميداني، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية، 2007.

2- فوزية ذياب،القيم والعادات الاجتماعية مع بحث ميدان لبعض العادات، دار النهضة العربية،بيروت،1998.

3- محمد سعيدي، العائلة عاداتها وتقاليدها بينالماضي والحاضر ظاهرة الاحتفالية بالأعياد نموذجا، مجلة إنسانيات،وهران العدد4جافني – أبريل 1998، ص41.

4- بتفنوشت مصطفى،ترجمةدمريأحمد،العائلةالجزائريةالتطوروالخصائصالحداثة،ديوانالمطبوعاتالجامعة،الجزائر،1998 .

يتجه من نمط العائلة الممتدة إلى نمط آخر سماه الأسرةالأبوية العربية، السلطة الأبوية المطلقة في العائلة الممتدة. فقد كانت أكثر ضعفا في الأسرة النووية الأبوية.في حين أن المرأة اكتسبت مكانة أهم من مكانتها السابقة في العائلة الممتدة ، وبالنسبة لنمط تربية الأطفال فقد تراجعت أساليب القديمة لكن التمييز بين الجنسين في المعاملة بقي قائما.

- ولقد قدمت **مليكة لبديري** [1] دراسة بعنوان "الزواج والشباب الجزائري إلىأين؟" والتي نشرت بالجزائر سنة2005، حيث تعرضت الباحثة إلىإشكالية لجوء الشباب إلى الزواج عن طريق الإعلانات. حيثرى الباحثة أنه هناك تغيرات في بناء الأسرةوتغير في نظام الزواج أثر على دور الأسرة في تسيير عملية الزواج بما تحويه من مسؤولية معنوية ومادية.وخلصت الباحثة من خلال البحث الميداني أن هناك تغير في بناء الأسرة ونظام الزواج ، وأن اللجوء إلىالإعلانات سببه التفكك الذي طال الأسرة الجزائرية المعاصرة رغم أنها لم تفقد وظائفها وتماسكها.

- أما نور **الدين طوالبي** في كتابه " الدين الطقوس والتغيرات" [2] قام بالوصف والتحليل با لإستناد على الملاحظة بالمشاركة، حيث توصل الباحث إلى أن البنى التقليدية التي يستخدمها الطقس بمثابة رمز لم يفسدها التغير، بل العكس هناك إسراف في احترامها والدليل القاطع على ذلك هو التفاخر المرافق لها. بالإضافةإلى هذه الدراسات نجد بعض الدراسات الأكاديمية في مستوى الماجستير والدكتوراه التي عالجت موضوع الأسرة والزواج منها:

- قدمت الباحثة **منكول فاطمة،** دراسة ميدانية لظاهرة الاحتفال في مدينة وهران، والمتعلقة بالزواج عبر مراحله المختلفة من "ملاك، خطبة، قراءة الفاتحة" وصولا إلى"موكب الزفاف، العرس الصباح" وركزت على إنتقال العرس من الفضاء الخاصإلى الفضاء العام (قاعة الحفلات وموظفين المكلفين داخل القاعة) وتلاشي القيم الإجتماعية. حيث توصلت الباحثة إلى انه ظهر نمط جديد من العادات التي تحمل في طياتها مبدأ الإندماج ومسايرة الغرب كنمط يريد لنفسه الحداثة والعصرنةوالذي مس كيانها

1- مليكة لبد يري، الزواج والشباب الجزائري إلى أُن؟، دار المعرفة، الجزائر،2005.

2- نور الدين طوالبي، الدين والطقوس والتغيرات، دتو: وجيه البعيني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائ ر، منشورات عويدات بيروت باريس، ط1 ،1988.

وبناها الداخلية، ولا يعني التماشي التخلي عن القيم الأصلية. وبالتالي محاولة مجارات ومقاومة التغير وان الاحتفال يمثل التباهي والتفوق والتفاخر.[1]

-أم الباحثة **عباس فريال**، ركزت على مراسيم الزواج في مدينة قسنطينة ، في كل محطاتها من خلال وصف الممارسات والتحضيرات التي تقام بين العائلة **(الملابس، الحلي، المأكولات، الحلويات)** ولقد حاولت الباحثة تبيان لماذا هذا الإنفصال في تأدية المراسيم. حيث وجدت أن العائلات القسنطينة تقوم بهذه المراسيم رغبة لإثبات المكانة والتفاخر والتباهي بين العائلات. وان تحليلها الدقيق قادها إلى أنه ما يميز الاحتفال بالزواج هو طابع التفاخر وان التغيير في مراسيم الزواج لم يطل الفاتحة، الطقس الذي حافظ على سيرورته ليبقى التفاخر بالنسبة للعائلتين مسألة جماعية تتعلق بالمحافظة على القيم. والبحث عن المكانة باعتبارها الصانع للمصير العائلي.[2]

-دراسة الباحث **زيان محمد**لعادات وتقاليد الزواج والمهر حسب عرف الولي سيدي معمر مدينة تنس دراسة سوسيو-إنتثربولوجية. فلقد أكدت الدراسة على التزام أهالي المنطقة بعدم تجاوز المهر الذي حدده سيدي معمر، وان من يخرج عن العرف تلحقه اللعنة ولن يكون الزواج مباركا.[3]

-أما البحاثة **اسعد فايزة** ، فلقد قامت بدراسة العادات والتقاليد الاجتماعية في الوسط الحضريالندروميوالوهراني بين التقليد والحداثة ، حيثتوصلت الباحثة إلى أنالعادات والتقاليد المكونات الأساسية للثقافة وجزء ولا يتجزأ من التراث الاجتماعي-الثقافي في الوسط الحضري الوهراني والوسط الحضري الند رومي، حيث عمدت الأسر على تكييف الماضي والحاضر في عادات الزواج والختان.

1- منكول فاطمة، مونوغرافيا الزواج في المدن الكبرى "دراسة ميدانية لظاهرة الاحتفال في مدينة وهران"، رسالة ماجستير علم الاجتماع جامعة وهران 2014.

2- عباس فريال، مراسيم الزواج في مدينة قسنطينة " مقاربة أنثروبولوجية" رسالة دكتوراه علوم في علم الاجتماع جامعة منتوري قسنطينة بالمشاركة العلمية للمركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجياالاجتماعية والثقافية CRASC 2005.

3- زيان محمد لعادات وتقاليد الزواج والمهر حسب عرف الولي سيدي معمر مدينة تنس دراسة سوسيو -انتثربولوجية. رسالة ماجستير علم الاجتماع جامعة وهران،2005

وإعطائها طابع العصرية وفقا لما تعيشه الأسرة، وان هذا التغير بفعل الهجرة التي غيرت منها، وبالتالي فنقل التراث من العادات والتقاليد تشارك فيه عدة مؤسسات. التي هي عنصر مهم في التجديد.[1]

-دراسة **راضية طوالبي**لإتجاهات وتصورات الزواج عند الفتاة الشابة الجزائرية . وذلك من خلال مقارنة مظامين من التصورعند هذه الفئة، حيث قامت بمقارنة التصور التقليدي للزواج عند فتاة الريف والتصور الحديث للزواج عند فتاة المدينة.والتأثر الملاحظ لفتاة المدينة بالقيم والأفكار الغربية. والتعرف على مدى تأثير التثاقف * على اتجاهات وتصورات الشابة الجزائرية للزواج وتوضيح تلك الإنعكاسات على المستوى النفس-إجتماعي وتحديد أثر التثاقف على الإختيار الزواجي للفتاة. وتحديدا في الجزائر العاصمة سنة 1984.وخلصت الباحثة إلىأن التغير الذي حدث في المجتمع الجزائري بعد ا لإستقلال أحدث نوعا من الصراع الذاتي الداخلي. وهذا الصراع يظهر بشكل متساوي بالإتصال مع النماذج الأجنبية . وأن تصورات الفتيات الشابات للزواج ذو تفرع ثنائي يتجلى بين القيم التقليدية والقيم الحديثة. لكن النتائج أظهرت أن هذا التفرع هو شكلها وليس جوهريا. وبالتالي وقوعها في صراع إجتماعي تشكل بالأخص في موضوع الزواج. [2]

-دراسة **إبتسام بن دريدي** في بحثها عن " التصفيح" في تونس باعتباره طقس لحماية العذرية الأنثويةولقد اهتمت الباحثة بدراسة طقس التصفيح (**Le Tasfih**)الذي يستعمل لحماية العذرية ، حيث إعتبرته كنشاط إجتماعي مبهم وغامض له وظيفة رمزية تظهر خصوصا في النظام الرم وز الإجتماعيةللأفراد، لذلك ارتأت الباحثة أن تبحث في كيفية فهم هذا النشاط الإجتماعي المبهم معتمدة على المقابلات الإثنوغرافية مع عينة متفاوتة في الفئات (الممارسات، الفتيات المصفحات وأخصائية أمراض النساءوعمال الطب) في منطقة قفصه في الجنوب الغربي لتونس سنة 2004.ولقد خلصت الباحثة إلىأن

1- اسعد فايزة، العادات والتقاليد الاجتماعية في الوسط الحضري بين التقليد والحداثة 'مقاربة سوسيو-انثربولوجية لعادات الزواج والختان بمدينة وهران وندرومة نموذجا'، مذكرة دكتوراه جامعة وهران،2012.

*- سبق الإشارة إلى مفهوم التثاقف ضمن مفاهيم الدراسة.

2 - Radia Toualbi، Les altitudes et les représentations du mariage chez la jeune fille Algérienne، édition ENAL، Alger1984, p76

طقس التصفيح يستعمل في حماية عذرية الفتاة التي تشغل وضعية المصفحة.حيث أن هذه الوضعية تجعلها تحس بنوع من الحرية الجنسية، كما أن هذا الأثر قد يمتد عند الفتيات حيث يعتبرن التصفيح كوسيلة لمنع الحمل عند ممارسةالعلاقات الجنسية، وبالتالي يصبح هذا الطقس كوسيلة للثنائية"عذرية/حرية" انه يعتبر بمثابة حماية اجتماعية لضعف الشباب سواء فتيات أو ذكور.[1]

-دراسة **ساو أبدولاي** Sow-Abdoulay بعنوان "إدراك العذرية في المخي ال الشعبيللموريتانيين" بنواكشط عاصمة موريتانيا سنة 2000.إرتكزت الدراسة على المُمَارِسات الـلواتي تلعبن دورا مهما في مراقبة جنسا نية المرأة في ثقافة تلعب فيها العذرية قيمة كبيرة. ذلك لإعتبار العذرية رمز شرف العائلة التي تنتمي إليها الفتاة. وبذلك ظهرت ممارسات عديدة لحماية هذه العذرية.وتوصلت الدراسة إلى أن العذرية في التصورات الاجتماعية تلعب دورًا بارزًا جدًا على مستوى المعتقدات أو الممارسات التي يتبناها الموريتانيون ، والتي تعمل كموجه سواء لأحكامهم أو سلوكياتهم إزاء العذرية التي تعتبر رمزًا للشرف في هذا المجتمع.[2]

كما عنت العديد من العلوم على إختلافها بدراسة الممارسات الطقوسية في الزواج بالبحث والتقصيوالتي ساعدتنا في تكوين إطار نظري. ورغم تعدد الدراسات التي تناولت موضوع عادات وطقوس الزواج التي خصت مدينة باتنة، إلا أننا لم نعثر على دراسات مطابقة ركزت على ممارسة المرأة لهذه العادات والطقوس خاصة ما تعلق بطقس **"التصفاح"** والتي إن وجدت تكون قد أشارتلها ضمن عادات ومراسيم الزواج فقط. وإن بحثنا في إيجاد دراسات لإنطلاقة بحثية مكننا من الإطلاع على البحوث والدراسات حول المنطقة، والتي أثرات معارفنا وقوت رصيدنا المعرفي حول عادات وطقوس الزواج

---

1 ابتسام دريدي،"التصفيح في تونس كسر جدار الصمت عن الحقيقة والمعتقدات"، مقال بجريدة الشروق.

2 غانم ابتسام، التصور الإجتماعية للعذرية عند الطالبة الاجتماعية، مذكرة ماجستيرعلم النفس الاجتماعي، جامعة20أوت 1955سكيكدة، 2009.

وفهم الممارسات الطقوسية للمرأة في مجتمع البحث. وعليه فإن مدينة باتنة ميدان فسيح مازال يحتاج إلى دراسات معمقة لاسيما الأنثربولوجيةمنها.

- وإننا نقف على دراسة"**عادلفوزي**" حيث قدم قراءة سوسيولوجية لطقس ليلة الدخلة هذا الطقس الإجتماعي يشكل موضوع من المواضيع المسكوت عنها في المجتمع الجزائري ، حسبه يجعل المرأة في موضع إختبار أخلاقي جد صارم يعكس نظرة المجتمع لمفهوم العذرية والفحولة (**يختزل ويعكس قيمه ومعاييره الأخلاقية لمفهوم الفحولة والعذرية**) كقيمتين محوريتين تؤسسان لمفهوم الزواج والذي يخضع لسلطة العادات والتقاليد. ويمثل فعلاً رمزيا يعبرعن مفهوم العفة ودليل قطعي على فحولة الزوج. ولقد إعتبره طقسا أشبه إلى طقس منح القرابين لقوة خفية، وهو طقس على طريقة المجتمعات البدائية،ويمثل فعلا رمزيا يعبر عن مفهم العفة ودليل قطعي على فحولة الزوج. فليلة الدخلة حسبه تعكس قيمة إجتماعية للزواج وهي قيمة الخصوبة، فتمتزج قيمة المرأة بوظيفة الأرض من خلال رمزية عملية "التلقيح- الإخصاب" كفعل مشابه لفلاحة الأرض.[1]

- **التعليق على الدراسات السابقة :**

من خلال الدراسات السابقة، من وصف العادات وتقاليد الزواج، أو مراسيمه وأعرافه. فإننا نقف على حقيقة واقعية. وهي أن هذه البحوث والدراسات على الرغم من وفرتها إلاأنها تصب في قالب واحد هو البحث عن عادات وتقاليد الزواج والمراسيم الإحتفالية. من خلال الوصف والتحليل وإثبات مالها من دور في حياة الفرد والجماعة، والتمسك بها رغم التغيرات الإجتماعية. إلا أن الزواج كموضوع للبحث الأنثروبولوجي يتطلب كشف المسكوت عنه في هذه العادات والممارسات الطقوسية، ودور الفعالين الإجتماعيين في بعض جوانبها القيمية والأخلاقية المبنية على العفة والشرف.

قد خلصنا إلى أن العديد من الباحثين سواء العرب أو المحليين الذين شملتهم دراستناحاولوا الوقوف على مراسيم الزواج وعاداته في كل محطاته، ومالها من قيمة بالنسبة للفرد والجماعة على تعدد

1-Adel Faouzi,La nuit de noces ou la virilité piégée , Insaniyat , n°4 ,janvier – avril CrascOran, 1998 ,p65.74

المناطق المدروسة. فان هذه العادات والتقاليد إعتبرت بالنسبة لهؤلاء الباحثين جانبا مهما في الحفاظ على الإرث الثقافي وإستمراره. حيث حاولت كل دراسة تبيان ما للمجتمع المدروس من خصوصية في العادات والتقاليد. التي وإن تشابهت فإن لها خاصيتها، وذلك ما حاول الباحث زيان محمد تبيانه من خلال دراسته لتقاليد الزواج حسب عرف الولي سيدي معمر، حيث إعتبر بقاء المهر حسب العرف أداة في يد الفاعلين الإجتماعيين لإستمرار عادات ورثت مند حقب زمنية، ولا تزال حاضرة في كل إحتفال. والتي تمثل للخارج عنها والممتنع لعنة تحل به وبأهله. وغيرها من الدراسات التي مست عادات وتقاليد الزواج المستمدة من خصوصية كل منطقة والتي تجمع على أن العادات والتقاليد أكثر استمرار رغم التغير الإجتماعي والتقدم، وعليها فإننا صنفنا هذه الدراسات ضمن طابعين:

- طابع يصف هذه العادات والمراسيم الإحتفالية منوغرافيا، مبني على أساسيات البحث الاثنوغرافي وتبيان مدى تمسك مجتمع البحث بها،وإصراره عليها في كل المحطات الإحتفالية.

- طابع تحليلي لهذه الممارسات بإعتبارها أداة فاعلة في يد الفعالين الإجتماعين ورهان نفسإجتماعي على المكانة والسمعة، وفضاء ملائم للتفاخر والتباهي المبني على ثنائية التقليدي والعصري وفق البنى الإجتماعية والثقافية. إلا أننا لم نقف على مساهمة المرأة كعنصر فاعل في الاحتفال بالزواج من حيث أنها**مُمَارِسْ ومُمَارَسْعليها** من جهة، دلالة ورمزية تلك الممارسات الطقوسية من جهة ثانيةوالمبنية على مفهوم العفة والشرف في إطارها السوسيو ثقافي. فمن المهم جدا الوقوف على الممارسات الطقوسية للمرأة في الإعداد للزواج لما لها من أهمية في استمرار عادات وطقوس الزواج، وإن خصوصية بحثنا ترتكز على ممارسة المرأة الشاوية، بالولوج إلى عمق الطقس. ومنه الوقوف على هذه الممارسات وقراءة دلالتها ورمزيتها المعلنة والخفية، وتلك هي إضافة بحثنا.

وعليه فإننا من خلال هذا العملنسعى للبحث والغوص في هذه الممارسات التي أوجدتها المرأة الشاوية وإن عملنا لن يكون من جل الحكم على هذه الممارسات، وإنما ينصب لكشف المسكوت عنه من خلال الإستماع للفاعلين ا لإجتماعيين و إستقراء ما أنتجته المرأة من طقوس وممارسات من أجل إستمرار

مؤسسة الزواج القائمة على مفهوم العذرية وإعلاء قيمة الشرف. وهذا ما سنقف عليه من خلال هذه المقاربة والانثربولوجية التي تنبش في عادات وطقوس الزواج والممارسة النسائية الدقيقة والأشد خصوصية،وإستجلاء مفاهيمها بهدف إبراز قيمها ومضامينها، وقراءة رموزها ودلالاتها وفهم كيف ساهمت التحولات التي لحقت بالبنيات ا لإجتماعية والثقافية بمنطقة باتنة في تغيرعادات وطقوس الزواجالتي كانت المرأة عنصرا فاعلا فيها.لهذا وقع إختيارنا على هذه المنطقة للتعرف علـى الممارسات الطقوسية. أما ما طرأ عليها من تغيرات فسنعتمد فيه على الملاحظة المبنية على المعايشة باعتبارناأفراد من مجتمع الدراسة.

فلقد كان نزوح نا إلى موضوع ممارسة المرأة لعادات وطقوس الزواج ناجما عن حاجة ملحة أملتها تحديات البحث الأنثروبولوجي. الذي تغذيه الرغبة في ولوج باب العادات والممارسات الطقوسية وإماطة اللثام عن هذه الطقوسو الممارسات لإ نعدام دراسات تناولت مدينة باتنة،هذه المنطقة التي تتميز بنوع من الخصوصية تعكس طبيعة الممارسات والطقوس المرتبطة بالزواج وما أحوجناإلى مثل هذه الدراسات الأنثروبولوجية.

فبحكم إنتمائنا للمنطقة **"باتنة "** ولنفس الجنس **المرأة** سواء كانت **"مُمَارِسْة / مُمَارَسْعليها "** ومعايشتنا لعادات وطقوس الزواج وللروابط الإجتماعية التي تجمعنا بمجتمع البحث، فلقد أتيحت لنافرصة المشاركة والإنخراط في الطقس الإحتفالي كفاعلينإجتماعيين وباحثينأنثروبولوجين. من خلال زواج بعض الأهلوالأصدقاء، الذين منحونا فرصة المشاركة في إحتفالاتهم و تكوين معارف وصداقات عززت قبول نا من طرف مجتمع البحث، كما سهل علينا إنتمائنا الأنثوي الولوج في عمق المجتمع النسوي بكل أريحية. هذا ما شجعن ا على إقتحام باب الممارسات الطقوسية. وإماطة اللثام عن المسكوت عنه في طقس **"التصفاح"** وطموحنا في ذلك الوقوف على مظاهر التغير والثبات في هذه الممارسات. وعليه جاء هذا العمل لمقاربة عادات وطقوس الزواج في ضل التغير الاجتماعي والثقافي الذي شهده المجتمع الجزائري عامة ومنطقة باتنة على وجه الخصوص.ويتعلق الأمر في البدء بجمع المعلومات الصحيحة من

المُمَارِسالطقس التصفاح والعارفين بالممارسات الطقوسية المصاحبة للزواج، وكل من يملك تجربة أومعرفة بالطقس (ممارسة/ ممارس عليها) أوعايش الظاهرة بكل أبعادها ورموزها المتصلة بالموضوع (ممارسة عادات وطقوس الزواج) وأخذها عن أصحابها وممارسيها الأولينإما مباشرة أو نقلت إليهم من خلال إحتفالات الزواج.

وعليه فإن مدينة باتنة تزخر بإرث ثقافي وحضاري يحتاج للعديد من الأبحاث والدراسات المعمقة لاسيما الأنثروبولوجيةوالاثنوغرافية التي تنبش في عادات وطقوس الزواج.وان البحث في هذا الموضوع سيضيء لنا جوانب غامضة تفصح عنها كل الممارسة الطقوسية، المتشابكة والمتعددة المعاني والخطابات التي تتأسس عليها كل التصورات والممارسات الثقافية التي تميز سكان باتنة.هكذا نجد أنفسنا أمام مجموعة من التساؤلات حول ممارسة المرأة الشاوية لعادات وطقوس الزواج بمنطقة باتنة، والتي تستوجب الإجابة عنها القيام بمقاربة انثربولوجية.تسعى إلى الإنصات ما أمكن إلى تجربة المرأة الشاوية في علاقتها بمحيطها، علاقة إنصات تشمل حقلا اجتماعيا مسكونا بالرمز والدلالة والمعنى،متجاوبا مع التأويل للممارسات الطقوسية في بعديها الجمالي والسحري.والمرتبطة بالذاكرة الجماعية وما تشكله من مرادف معلن في عاداتنا والخفي في تصوراتنا أحيانا.

جدير بنا قبل التطرق للتساؤلات أن نضع إطارا جغرافيا وطبيعيا لمنطقة باتنة (**الآوراس)** هذا المجال المكاني الذي شكل حقل معرفي خصب للعديد من الدراسات الكولونيالية التي عنت بالعادات والتقاليد ا لإجتماعية لمنطقة باتنة. تاريخها وثقافاتها الخاصة ، التي ترسم لوحة تتمايز فيها العادات والطقوس وتتعدد فيها الصور والدلالات.

مدينة باتنة تقع ضمن منطقة الهضاب العليا في القسم الشمالي الشرقي من الجزائر، تعد عاصمة الأوراس. حيث تقع على بعد 425 كلم جنوب شرق الجزائر العاصمة، وترتفع على سطح الأرض 980 م. يحدها من الشمال بلدية فيسديس، ومن الجنوب بلدية تازولت ، ومن الشرق بلدية عيون العصافير، ومن الغرب بلدية وادي الشعبة. فهي تقع في ملتقى طرق هامة كبوابة لكل من الشرق والغرب والشمال

والجنوب بالنسبة للولايات المجاورة (قسنطينة، سطيف، بسكرة، خنشلة، المسيلة). حيث تتربع المدينة بتنة على مساحة تقدر ب 12011,21كلم^2 وهو ما يعادل 0,86 %من المسحة الإجمالية للوطن كما تحتوي على (61) بلدية مجتمعة في (21)دائرة، وتشترك مع ستة ولايات في حدودها الجغرافية فمن الشرق خنشلة وأم البواقيمن الشمال الشرقي ، وميلة من الشمال والمسيلة من جهة الغرب ، وسطيف من الشمال الغربي وبسكرة من الجنوب الغربي. ويعد (الأمازيغ/الشاوية) هم السكان الأصليين لمدينة باتنة.

هذا التنوع الثقافي وا لإجتماعي والتاريخي لمنطقة الأوراس عامة ومنطقة باتنة على وجه الخصوص يوجه البحث للتنقيب في أشكال الممارسات الطقوسية المرتبطة بالزواج . والتي تسهر المرأة الشاوية على دوامها من خلال حضورها في كل إحتفال. ورغم تباين مظاهر الإحتفال في مناطق الجزائر إلاأن هناك قواسم مشتركة تجمعهم.وقبل كل ذلك إننا نتساءل ماهي دوافع ولوج هذا الفضاء البحثي الذي يعني بممارسة المرأة لطقوس الزواج؟

إناختيارنالمجتم ع البحث(باتنة) ولموضوع الممارسات الطقوسية ، لم يأتي من محض الصدفة والتلقائية، ولم تفرضه الظروف البحثية.وإنما مبررنا في ذلك شخصيلدراسته. ربما لأنه لم يأخذ حظه من الدراسات الأكاديمية ذات الطابع الأنثروبولوجي بالجامعة الجزائرية حسب المعلومات المتوفرة من جهة ، ومن جهة ثانية للوقوف على ظاهرة (التصفاح) في المجتمع الذي استند إليه ، والتي وقفت عليها في إحتفاليات الزواجوخضعت لها أنا شخصيا. وكوني أخصائية نفسانية تعاملت مع العديد من الحالات التي كانت تسألني عن تأثير هذا الطقس على ليلة الدخلة، وعن فاعلية هذه الممارسة في الحفاظ على العذرية.هذا ما حفزني للبحث وغذى رغبتي في إقتحام المسكوت عنه وإخضاعه للبحث الإنثروبولوجي.

منذ زمنوالرغبة تسكنني فيولوج باب الممارسات الطقوسية بالبحث بغية تقصي الضموروالصمود الذي يكون قد طرأعلى عاداتنا وتقاليدنا، وقد مسأدوارها ووظائفها. فإننا ومن خلال هذا العمل الحقلي نتتبع ممارسات المرأة الشاوية لطقوس الزواج سعيا لوصفها ،النبش عن المسكوت فيها،والإفصاح عن مدلولاتها.وإننانتساءل كباحثين منتمين إلى هذه المجتمعات عماإذامازالت المرأة الشاوية تمارس

طقس"**التصفاح**".وعليه فان ولوج باب الممارساتالطقوسية ليس بالأمرالسهلإ والهين وذلك لعدة إعتبارات، لعل أهمهاأن هذه الممارسة الطقوسية لم تكن ميدان لبحوث متخصصة في مجتمعنا،ومما لاشك فيه إن وجود بحوث رائدة في الميدان من ميادين العلوم تزيل اللبس أمام الباحث وتيسر له المضي في مهمته التي لا تخلو من الصعوبات، وان هذا الطقس كما يجمع عليه مجتمع البحث هو الخطوة الأولى للمرور إلى مؤسسة الزواج التي ترسى عليها قواعده . ولا مناص لكل فتاة من المرور على هذا الإجراء والممارسة الطقوسيةالقائمة على رغبة نفس إجتماعية، بهدف تحقيق غاية وحاجة ماسة إلى صون شرف العائلة القائم على العذرية والعفة.وإننا لم نبذل إلا الجهد اليسير في تقصى هذه الممارسة التي سبقنا إليها الزمن كونها تمارس في سن مبكرة قبل سن الزواج، فلم نجد سبيلا إليهاإلا قراءتها من خلال تجلياتها قبل يوم الزفاف من أجل تأهيل الفتاة لإنخراط في مؤسسة الزواج بكل نجاح، وفتح الطريق للممارسة الجنسانية بقبول إجتماعي ومباركة الأهلوالأقارب.

فموضوع الممارسات الطقوسية فرض نفسه على خطة العمل، بطريقة لم نكن نتوقعها بتاتا وكان إحتلاله لموضعه إقتحاما منا.لنجد أنفسنا قد ولجنا إلى تفاصيله بفضول يتغذى من الرغبة في الإفصاح عنه وللتكتم الذي يبديه مخاطبونا،وذلك با لإحتكاك **بالمُمَارِسات**بالمجتمع المحلي ومعايشتهم تفاصيل عادات ومراسيمالزواج،خاصة طقس(التصفـاح) لرصد كل صغيرة وكبيرة.وان احتكاكنا بالمجتمع وعلاقتنا بالفاعلين الإجتماعيينومعرفتنا الشخصية بالممارسة الطقوسية و**بالمُمَارِسات**المبنيةعلى القرابة والجيرة قد سهل دخولناإلى مجتمع البحثمن أجل إجراء المقابلات والحوارات بكل حرية وتقبل ،مما أكسبنا ميزة خاصة وسهل قبولنا كباحثين، وعزز العلاقات بالنساء وزاد من وثوقهم بنا، والتعامل بعفوية وتلقائية في كل المقابلات التي جمعتنا بهم كباحثينوإخباريين، كما أعفانا من كل التزامات يفرضها المجتمع على الباحث الغربيبفرض قيود في تقبل المبحوثين،والتوغل في مجتمع الدراسة . كما مكنني طلبتي الذين درستهم الأنثربولوجابجامعة الحاج لخضر باتنة (السنة أولى جذع مشترك علوم اجتماعية دفعة 2015) من رصد ممارسات المرأة الطقوسية بما يخدم البحث.

إن البحث في حيثيات هذا الموضوع ر اجع لسبب إنتشار العجز الجنسي في ا لإفتضاض ليلة الدخلة، الذي وقفت عليه في العديد من المناسبات، والذي يعزى في الغالب لطقس (التصفاح) وما يرافقه من ممارسات تشرف عليها المرأة من أجل إنجاح هذه الليلة.كما أن فضولنا معرفي للوقوف على هذه الظاهرة ذات الصلة بطقوس الزواجوالتي لا يمكن فك رموزها وقراءتها من الداخل إلا من خلال الدراسة الحقلية. واستجلاء التحولات السوسيو - ثقافية والاقتصادية لهذا الطقس.وإبراز المفاهيم الأنثربولوجية المحلية التي تسير نحو الإندثار . مما يتطلب الأمر العودة إلى الماضي ا لإجتماعي لفهم التركيبة الحالية لمجتمع الدراسة من حيث صيرورتها اللاشعورية وفهم قيم ومعايير الممارسات الحاضرة في سلوكيات المرأة الشاوية التي تظهر على مستوى تدبر الأمور الفردية والجماعية، ومن سلوك الفاعلين ا لإجتماعيين المنخرطين في ا لإحتفال. وحتى لا تغلب الذاتية على موضوع البحث وجب تحري الموضوعيةوعليه فالموضوع يحاول تطبيق منهجية وآليات البحث بمدخل أنثر وبولوجيمحاولة منا كسرالطابو**Tabou**الذي عادة ما يصادف الباحث في الدراسات الحقلية.

على ضوء الطرح السابق للإشكالية الدراسة الراهنة وأهدافها فإن هذا البحث يثير مجموعة من الإستفسارات الناتجة عن طبيعة الموضوع من ناحية والأاهداف التي تسعى الدراسة للوصول إليها من ناحية أخرى وعليه تسعى هذه الدراسة للإجابة على التساؤل التالي:

- هل تحررت المرأة الشاوية بمنطقة باتنة من سلطة العادات التقليدية والممارسات الطقوسية في احتفالية الزواج خاصة ماتعلق منها بطقس التصفاح وطابوالبكارةام أنها لازالت متمسكة بها ؟
- ما الهضام ين الرمزية لممارسة طقس التصفاح في إطارها السوسيو- ثقافي باعتبارها إحدى طقوس العبور؟

للإجابة على هذا السؤال كان لزامًا علينا ولوج باب العادات والطقوس بمجتمع البحثآخذين بعين الإعتبار خصوصية المنطقة. أي ما يحدث حاليا بالمجتمع وما حدث ذاته في وقت مضى، وبذلك فإننا نستنطق العادات والطقوس بين الحاضر والماضي لنقف على مدى الثبات والتغير. وأن كل هذه

الأسبابمجتمعة جعلت من المرأة الشاوية في مدينة باتنةومن عادات وطقوس الزواج مادة دسمة غنية المضامين دفعتنا بكل ثقة لسبر أغوارهذا المجتمع "باتنة"،وعليه نقدم لكم هذه الدراسة الانثربولوجية خلاصة مجهود بحثيرغبة منا في إضافة الجديد لهذا الحقل المعرفي الذي لايزال بكرا.

فرضيات الدراسة:

تعد فرضي ات هذه الدراسة حصيلة لجملة من القراءات النظرية الأولية والإستنتاجات الميدانية والإستكشافية التي تم الوقوف عليها أثناء الدراسة الحقلية، ومنها ينطلق البحث من فرضيتين مؤداهما:

- تتضافر عدة عوامل على استمرار ممارسة المرأة الشاوية لعادات وطقوس الزواج النابعة من الرغبة في إبقاء مميزات المجتمع المحلي والحفاظ عليه من خلال الممارسة الطقوسية للتصفاح كآليةللحفاظ على العذرية وإعلاء مفهوم الشرف باعتباره رأس مال رمزي.
- تتضمن المارسات الطقوسيةللمرأة الشويةالعديد من ال مضام ين والدلالاتالرمزيةفي إطارها السوسيو- ثقافي باعتبارها إحدى طقوس العبور.

أهداف الدراسة:

يعتبر البحث إضافة علمية إلى حصيلة المعارف في ميدان التغير والثبات الخاص بموضوع عادات وطقوس الزواج من "خطبة، مهر،تصفاح، حنة، ليلة الدخلة... ." وهو مصدر معرفي في مجال البحوث والدراسات العلمية.فلا تخلو دراسة أنثروبولوجية سواء كانت نظرية أو حقلية إلا وتتحرك نحو بلوغ مقاصدها العلمية بالدرجة الأساس، إضافة إلى ما يحكمها من أبعاد حقلية وكشفية.وإتفاقا مع هذا المبدأ يليق بنا ونحن نلج هذا الموضوع بالذات أن نعمل وعن تبصر لتحقيق مجموعة من الأهدافهي:

- التعريف بعادات وطقوس الزواج في منطقة باتنة والكشف عن التراث الحقيقي للمنطقة في الماضي والحاضرمن خلال تتبع التغيرات فيما يتعلق بممارسة المرأة لعادات وطقوس الزواج نتيجة للتحولاتالسوسيو-ثقافية والاقتصادية والسياسية والأيديولوجية ، والوقوف على الأبعاد الثقافية التي

تتضمنهاوتفصح عنها بعض الأساليب والممارسات الطقوسية في احتفالية الزواج. والتي تحدد معالم النسق الثقافي الذي يمثله المجتمع الشاوي من خلال محاول تنا الكشف عن أبعاده ومكوناته وآلياتهوالظاهر فيتمثلات الفاعلين الاجتماعيين وتصرفاتهم لمالها من أهمية في تلاحم المجتمع. ورصد إتجاهات التغير في الممارسة الطقوسية فيما إذا كان المجتمع المحلي مزال يتمسك بها أمأنها في طريق الزوال.

- ويبقى هدفنا الرئيسي المتوخى من هذه الدراسة هو طموحنا للكشف عن التغيرات التي طرأت على ممارسة المرأة الشاوية لعادات وطقوس الزواج والسعيإلى كسر **"الطابو"Tabou**الذي عادة ما يصادف الباحث في الدراسات الحقلية، ونقصد بذلك طابو**"البكارة والعذرية** " الذي يتضح من خلال طقس "التصفاح "المرتبط إرتباطا وثيقا بمفهوم العفة والشرف . كرأس مال رمزي حسب " **بيار بورديو** Pierre Bourdieu.وذلك بالتوغل في خبايا الممارساتوالتحولات المحيطة به والمتعلقة بعادات وطقوس الزواجوالمساعدة على استمراره . والتنقيب في رمزية الممارسات الطقوسية للمرأة الشاوية ودلالتها الأنثروبولوجيةباعتبارها العنصر الأساسي في الإعداد والتحضير لإحتفالية الزواج بلبحث في ديناميات هذا التغير وفهم حقيقة هذه الرواسب الثقافية ، بالوقوف على درجة الثبات (**أو/و**) الإنحراف لمالها من أهمية في تلاحم المجتمع.وا لإهتمام بالمرأة على وجه الخصوص كرمز وفاعل مهم في حقل الدراسة التي تمكننا من الخوض في عمق الممارسات والتعرف على قيم ومعايير المجتمع قيد الدراسة.
- معالجة طقس "التصفاح" كطقس أساسي ومهم في المفهوم القيمي والثقافي لمنطقة باتنة جعلنا نقف على تمفصلاته الدينية منها والجمالية(**و/أو**) السحرية المرتبطة بالمجتمع وثقافته المتوارثة خلفا عن سلفوفك رموزها ودلالاتها لإستمرار مؤسسة العائلة ضامن الشرف ،المدافع عن الفحولة والحامي للعذرية وإشهارها ما بين الثبات والتغير.

تحديد المفاهيم:

تحديد المفاهيم خطوة وضرورة هامة من ضرورات البحث الاجتماعي . فتحديدها بدقة يعد بمثابة الطريق التي يسير وفقها الباحث إنطلاقا من إعتبارها جملة رموز لفظية وبناءات منطقية تمكن

الباحث من حصر الإطار العام لموضوعه، وعلى هذا الأساس خصصنا هذا العنصر لفك تلك الرموز المحورية للدراسة:

- **العادات:** هي التي اعتاد الناس عليها وكرروا ممارستها إلى حد أصبحت تقاليد يتبعونها ويتداولونهابعفوية وتلقائية في إستسلام غير واعي من قول أو فعل. وتعتبر سلوكات معتادة ومألوفة موروثة يقوم بهـا الأفـراد فـي ظروف ومناسبات معينة، تنتقل من جيل إلى جيل.

- **الطقوس:** تعني عادات وتقاليد مجتمع معين، كما تعني كل أنواع الممارسات الطقوسية التي تقوم بها المرأة في احتفالية الزواج.

- **الزواج:**يعرف عند علماء الأنثروبولوجيا بأنه علاقة بين رجل أو أكثر مع امرأة أو أكثر يقرها القانون أو العادات، وتنطوي على حقوق وواجبات معينة تترتب على إتحاد الطرفين وعلى إنجاب الأطفال الذين يولدون نتيجة هذا الزواج.[1]

- **الأسرة:**تعرف على أنها جماعة إجتماعية مكونة من أفراد إرتبطوا بعضهم البعض برباط الزواج أو الدم أو التبني وهم غالبا يشتركون في عادات عامة ويتفاعلون مع بعضهم البعض وفقا للأدوار الإجتماعية المحددة من قبل المجتمع.[2]

- **التصفاح(**Le tasfah**) :**آلية لضبط الجسد الأنثوي وممارسة سحرية، تمارسها المرأة الشاوية على الفتاة للحفاظ على العذرية وتدخل في إطار العادات والتقاليد والمتوارثة بالمدينة باتنة. وهي طقس يتم فيه الإغلاق الرمزي بهدف جعل جسد الأنثى مغلق أمامأي محاولة فض البكارة من طرف الرجال.

- **التغير**: يعني التغير الإختلاف بين الحالة الجديدة والحالة القديمة، وهو التغير من وضعية إلى وضعية أخرى دون مراعاة الوقت.[3]

1- غريب سيد أحمد وآخرون، علم الاجتماع الأسرة، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة،2001، ص25.

2- محمد عبد الفتاح محمد الظواهر،ومشكلات الأسرة والطفولة المعاصرة من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث،مصر 2009،ص34.

3 .Raymond Boudon et autre : Dictionnaire de sociologie, Larousse édition, paris, 2005, p26

- **التغير الاجتماعي** : هو كل تغير في النظم والأنساق الاجتماعية سواء كان ذلك في البناء أو الوظيفة خلال فترة زمنية محدودة.[1]

- **الثبات** :يشير إلى بقاء القيمة كما هي عليه سواء في الحياة البدوية أو الحياة الحضرية، أي أن عملية التحضر لم تؤثر عليها وبقيت ثابتة لدى أفراد المجتمع.

- **التثاقف:**هو مجموع الظواهر الناتجة عن الإحتكاك المستمر والمباشر بين جامعات وأفراد منتمين إلى ثقافات مختلفة وإلى التغيرات التي تبدوا أثارها على النماذج الثقافية الأصلية لهذه الجماعة أو تلك.[2]

منهجية الدراسة:

إنحصر موضوع بحثنا في منطقة باتنة، دون غيرها من مناطق الجزائر لفحص وتتبع ممارسات المرأة الشاوية لعادات وطقوس الزواج من خلال ا لإنخراط والمشاركة فيها كفاعل إجتماعي يعول عليه وكباحث أنثروبولوجي مرحب به في مجتمع يزخر بالعادات والتقاليدمن جهة، ويفصح ويتكتم عن الممارسات الطقوسية من جهة ثانية. لنقر أ مضامينها ودلالاتها ونكشف عن المسكوت فيها من خلال صورها وتجلياتها با لإعتماد على منهج بحثي وأسلوب للتفكير والعمل، لتنظيم الأفكار وعرضها. لهذا سعت الأنثربولوجيا كغيرها من العلوم الإنسانية الى وضع منهج علمي يؤطر دراستها الميدانية تأطيرا مبنيا على أسس علمية خالية من الذاتية[3]، بالإستناد على مقاربة أنثربولوجية متعددة المداخل والرؤى ما بين السيكولوجي والسوسيولوجي، والتاريخي. وعليه بنيت دراستنا على عدة مناهج:

- **المنهج الوصفي**: عن طريق أكتشاف الوقائع ووصف الظواهر وصفا دقيقا مع تحديد خصائص الممارسات الطقوسية الخاصة بالزواج وما تعلق منها بطقس(التصفاح) وأهم التغيرات التي مستها.
- **المنهج التحليلي**: تحليل المقابلات والعلاقات القائمة بين مختلف المتغيرات.

1- دلال محسن استيتية، التغير الاجتماعي والثقافي، دار وائل للتربية والتوزيع، الأردن، ط 1، 2004ص19.

2- الخطابي عز الدين: سيسيولوجيا التقليد والحداثة في المجتمع الغربي، منشورات عالم التربية الدار البيضاء المغرب2001 ص24.

3عزام أبو الحمام المطور، الفلكلور الموضوعات والأساليب المنهجية، دار اسالة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1 ،2007 ص 170.

- **المنهج الوظيفي:** يعد هذا منهجا مهما في الدراسات الأنثروبولوجية، والذي نستعين به في دراسة وظائف العادات والممارسات الطقوسية ودور المرأة في استمرارها وبقائها.
- **المنهج: المقارن:** وذلك بمقارنة بين العروش والقرى (الريف، المدينة) التي وقفنا عليها ميدانينا من خلال تتبع الممارسات الطقوسيةوعاداتالزواج في مدينة باتنة وقراها، ومدى ثباتها وتغيرها.

ولقد شملت الدراسة مدينةباتنةوبعض القرى **"كيمل، تكوت،اريس"**، والتي مازالت تحرص على إعادة طقس (التصفاح) والذي يتجسد في الفتح للتحضير لليلة الدخلة، وعليه نتقصى الواقع المرهون بالممارسة. حيث إنحصرت الممارسات في بعض العروش "السرحانة، بني بوسليمان التوابة، الجبايلية " وكلها تنتمي إلى مدينة باتنة. ولقد كان الإختيار مبني على درجة الإنخراط في المشاركة والتي رسمها لنا مجتمع البحث من خلال دعوته لنا رغبة في توثيق هذا الإرث الثقافي الذي تحفظه الذاكرة الإنسانية لنقله للأجيال،وعليه عمدنا إلى دراسة ووصف عادات وطقوس وتقاليد الزواج من "أزياء، حليوأغانيوممارسات طقوسية" بمجتمع البحث وتحليلها ومعايشة الحاضر في كل هذه العادات والتقاليد والطقوس وإجراء مقارنة ما بين الماضي والحاضر للوقوف على الثبات والتغيير.

ومن أصعب ما إعترض الدراسة الميدانية على الإطلاق هو تحديد المجال البشري للدراسة والوصول للعينة. فلقد تمثل المجال البشري لهذا البحث في الإناث المقبلات على الزواج .وعددهن" **16**"*عروس ممن مورس عليهن طقس "التصفاح "، وكذا النساء الممارسات للطقس وعددهن(**03**)*واللواتي تراوحت أعمارهن ما بين (**69** و **79** سنة)ممن رافقناهم محطات الزواج المتعددة ، وغيرهم من الفاعلين الإجتماعيين من الأقارب وعددهن(**06**)•اللواتي رافقناهم طيلة مراسيم الزواج كأفراد معول عليهم في إقامة هذا الحدث بكل ما لحقه من تغيرات إجتماعية وثقافية. ونظرا لطبيعة الموضوع

*- جدول معطيات المقابلة الميدانية ، انظر ضمن الملاحق.

*- جدول الممارسات لطقس التصفاح ، انظر ضمن الملاحق.

•- جدول المبحوثات من الفاعلين الاجتماعين، انظر ضمن الملاحق.

وعدم توفر معلومات دقيقة فقد تم اللجوء إلى **العينة النمطية** **TypiquesCas**[1] المتجانسة حيث يتم التركيز على بعض الصفات النمطية "**السن، المستوى التعليمي الأصل الجغرافي، مكان الإقامة** " موزعة توزيع داخلي "**Variation Intragroupe**".والتي تم تحديدها بعد الوقوف على الدراسة الإستطلاعية ومعاينة مجتمع البحث . ومنه التوصل إلىالأسر والنساء التي تتوفر فيهم خاصية البحث "التصفاح- الزواج" والمتواجدة بمدينة باتنة وقراها "تكوت، كيمل، اريس " والتي تمثل عروش كل من"بني بوسليمان السراحنة، التوابة،الجبايلية " والتي تفي بأهداف البحث وهذا من اجل إختبار الفرضياتالمقترحة. وعليه يعتبر هذا النوع من العينات الأنسب لموضوع الدراسة.

قمنا بتحقيق ميداني إثنوغرافي إستندنا في جزء منه على الجانب التاريخي ، حيث إعتمدنا فيه على المراجع المتوفرة حول منطقة " باتنة "، كما استندنا أيضا على الرواياتالشفهية لكبارالسن (العجائز)اللواتي مارسن طقس التصفاح من أجل الإحاطة بالممارسة الطقسية وتمثلات مجتمع البحث . وبالنسبة للتحقيق الإثنوغرافي فقد بني على مشاركة السكان المحليين في المناطق التي إرتكز عليها البحث "تكوت اريس، كيمل، باتنة"بمشاركتهم حياتهم اليومية وكذا إحتفالاتهم وطقوسهم في مختلف محطات التحضير للزواج"الخطبة، الفاتحة، الجهاز،الزفاف"باعتبارنا ننتمي إلى نفس المنطقة من جهة وإلى نفس الجنس من جهة ثانية. وهذا ما سهل علينا سبر أغوار الظاهرة والتوغل في أوساط العائلات دونما أي عائق يذكر. كما كانت لدينا لقاءات ومقابلات مع أهالي المنطقة "عجائز ، ربات بيوت ممارسات"وعن طريقهم تسنى لنا جمع المعطيات المختلفة عن المنطقة "وثيقة الزواج" إضافة إلى التوثيق الفوتوغرافي كتقنية من تقنيات التحقيق الميداني.

في البداية إتصلنا بالعديد من الأسر في مدينة باتنة وبعض القرى والتي نحن على معرفة بهم بالإضافة إلى ذلك استعنا بطلبة العلوم الاجتماعية جامعة الحاج لخضر الذين درستهم حيث قدموا ل نا يد

1 -Le Compte M.D et Preissle .J, cités par Loraine Savoir-Zaje, comment peut-on construire un échantillonnage, Scientifiquement ,Recherches Qualitative Hors-série N°5 , Quèbec , Association par la recherche qualitative 2007,PP 99-111

العون في الإتصال بالحالات (**الممارس عليهن الطقس/والممارسات للطقس**) والذين هيئوا لنا الفرص لحضور إحتفاليات الزواج ، والمشاركة الفعلية في كل المحطات التحضيرية . ومعايشة المجتمع المحلي لرصد الوقائع كما هي في الواقع.ولقد سمحت لنا الدراسة الإستطلاعية من حضور بعض إحتفالات الزواج بمدينة باتنة التي أقيمت في الوسط العائلي ما مكننا من الإتصال مباشرة بالفاعلين الإجتماعيين وتتبع مراسيم الإحتفال وملاحظة الممارساتمن جهة ، ومن جهة ثانية أتيحت لنا فرصة للقاء الأسر التي تحتفل بالخطبةأو بالزواج خاصة الأسرالتي تمارسطقس التصفاح قبل ليلة الدخلة، والتي قدمت لنا دعوات للمشاركة وتتبع مراسيمها منذ الخطبة إلىإتمام الزواج. وأنإستعانتنا بالعلاقات الخاصة من معارفنا وأهلنا في حضور الإحتفالات مهد لنا الطريق لتلقي الدعوات من الحاضرين لحضور إحتفالاتهم وهي الخاصية التي سهلت عملنا بأريحية. فلقد كنا في الكثير من المرات نحضر كمرافقين للأهل في حفلات كانوا مدعوين إليها نظرا لتعدد مناطق الدراسة، بغرض الوصول إلى هدفنا البحثي (الممارس عليهن التصفاح) وان هذه الشساعة في المكان ما بين الريف والمدينة زاد من فرصة إلتقائنا بعدد كبير من الفاعلينالذين سهلوا عملنا وعززوا قبولناوهيئوا لنا فرصة لقاء الممارسات من النسوة و المصفحات. أي الممارس عليهن التصفاح من العرائس. ونظرا لتراجع هذه الممارسة الطقوسية فليس من السهل الغوص في خصوصية الجماعة المدروسة لكون الطقس محاط بسرية ومفعم بالممارسة السحرية التي تمنع الولوج إليه، وعليه فإن تواجدنا مع بعض العرائس ضمن الممارسة والمشاركة كان محل تساؤل وشك وحيرة المدعويين حول سبب ولوجنا إلى عمق الطقس ومشاركتنا فيه. غيران قبولنا من طرف الممارس عليهن(العروس) سهل عملنا، حيث عن طريقهن تعرفنا على الممارسات للطقس اللواتي إلتقينا بهن وهن بدورهن قدمن لنا دعوة مشاركتهن في ممارستهن والتنقل معهن مابين الأعراس ، كما استقبلونا في بيتهن للوقوف على تفاصيل الممارسة.

إعتمدنا طيلة مسارهذا البحث الأنثروبولوجيعلى أدواته من "الإخباريينوالملاحظة بالمشاركة، والمقابلة، ثم التصوير الفوتوغرافي والتسجيل الصوتي"، حيث لعبت دورا بارزا في إثراء البحث.فهي تعد من أهم الخطوات التي تساعد الباحث للحصول على المعلوماتلأ ن الأعمال الميدانية تفرض على الباحث

أن يتسلح بتقنيات ومناهج علمية.[1] وعليه فلقد قمنا بمقارنة الظاهرة المدروسة في الوسط الذي تتم فيه أي ملاحظة عادات ومراسيم الزواج والوقوف على الممارسات الطقوسية أثناء حدوثها، متبوعة بمعلومات تم جمعها عن طريق مقابلة الفاعلين الاجتماعييينمستعينين في ذلك بالملاحظة بالمعايشة للحدث الاجتماعي "عادات وطقوس الزواج " والاستعانة بالتسجيل الصوتي والمرئي والصور الملتقطة أثناء الإحتفال مع المحافظة على خصوصية وسرية المادة العلمية. هذه الأدوات المنهجية التي ساهمت بنصيب كبير في دفع البحث وتقدمه ، كما ساعدتنا آلة التسجيل على نقل الروايات من أفواه العارفين بالممارسة وخاصة الممارسات ونقل الخبرة كما قدموها وأخذناها من أفواههم بنبراتهم وكلماتهم. ليتم نقل بعد ذلك المادة المسموعة والمرئية إلى النص المقروء والمكتوب بعد ترجمة الألفاظ الأمازيغية(الشاوية) إلى اللغة العربية ليسهل فهمها.

يعتبرالإخباريين " Informateurs" المصدر الرئيسي للحصول على المادة الاثنوغرافية وهم أشخاص ينتمون إلى المجتمع المحلي وغالبا ما تكون معرفتهم عميقة بجوانب الثقافة مع التركز على من يتوفر لديهم الرغبة والوقت في المحادثة. وهم طلبة درستهم بقسم العلوم الاجتماعية بجامعة الحاج لخضر كانوا الوسيط بيننا وبين قراهم التي توفرت فيها معطيات البحث خاصة ما تعلق بالممارسات الطقوسية أثناء احتفالية الزواج. ولقد اشتمل البحث على الإخباريين ممن لهم الخبرة في ممارسة طقس (التصفاح) بالإضافة إلى نساء مورس عليهن الطقس منذ زمن بعيد وهن اليوم أمهات، اللواتي يدلين لنا بكل ما يخدم أغراض الدراسة، من اجل التعرف على تفاصيل الممارسة من جهة، ومن جهة ثانية الغوص في عمق الممارسة والوقوف على أدق التفاصيل الشديدة الحساسية، خاصة بما ارتبط منها بالإخفاق الزاوجي ليلة الدخلة (الافتراع/ الافتضاض) .

1. مراد مولاي الحاج، مكانة التحقيق الميداني في الدراسة والانثربولوجية، وقائع الملتقى اي مستقبل الأنثروبولوجيا في الجزائر؟ تميمون 1999. منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية، وهران ،2002، ص27.

كما شكلت **الملاحظة**الأداةالأساسية ونافذة العبور إلى مجتمع البحث، فهي تساهم في التعرف على الغرض الكامن لكل الممارسات وأسباب ودوافع بقاء العادات والطقوس، هذا ما أطلق عليه روبرت ميرتونRobert Mertonبالوظيفة الظاهرةFonction manifeste والوظيفة الكامنةLatentFonction التمييز بين نوعي الوظيفة. يساعد على تحليل الأنماط الاجتماعية وتقريبها إلى الأذهان كما يساعد على تفسير الكثير من العادات التصرفات الإجتماعية والممارسات.[1]فلقد مكنتنا الملاحظة المباشرة والملاحظة بالمشاركة من المتابعة عن كثب نشاطات الفاعلين الإجتماعيين دون شعورهم أنهم تحت الملاحظة. ممأتاح فرصة التعرف على السلوك الفعلي للأفراد في صورته الطبيعية التلقائية من خلال المشاركة في طقوس الإحتفال كمدعوين لا كباحثين. فالملاحظة بالمشاركة هي الأسلوب الذي يعايش فيه الباحث مجتمع البحث فيلاحظ ويسأل ويتحرى ويتبصر ويسجل كل الملاحظات في مخطط يتضمن أهدافا علمية محددة. وإن هذا الأسلوب مكننا من أن نكون جزء من البحث كما مكننا من الوصف والتفسير بشمولية أعمق والوصول إلىأهداف البحث دون حواجز. وعليه هذا الأسلوب هو الأقدر في الحصول على المعلومات والبيانات الصحيحة التي يميل مجتمع البحث إلىإخفائهاأحيانا عن الباحث فيما يتعلق ببعض القيم والعادات،[2]خاصة الممارسات الطقوسية المرتبطة بطقس التصفاح. ولقد قمنا بملاحظة ومشاركة الفاعلين والممارسين لطقوس الزواج (غناء رقص، إعدادالطعام، فتحالتصفاح) وغيرها من المشاركات الفعلية . ويستخدم الباحث هذه الأداة لجمع المعلومات والبيانات عن طريق تفاعل واتصال مباشر مع المبحوثين.[3]

أما الملاحظة بالمشاركةالمبنية على معايشة الباحث لمجتمع البحث فهي الأنسب، إنها تمكنه من الملاحظة والسؤال، فهو يتحرى يتبصر ويسجل كل الملاحظات في مخطط يتضمن أهدافا علمية محددة حيث مكنت لنا الدعوات التي تلقيناها من العائلات أن نشاركفي كل المراسيم الاحتفالية بدءا من التحضير

1- مرفت العشماوي، عثمان العشماوي، دورة الحياة دراسة للعادات والتقاليد الشعبية، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر،القاهرة،2011، ص16

2. عزام أبو الحمام المطوع، الفلكلور التراث الشعبي الأساليب والمناهج دار أسامة للنشر والتوزيع عمان الأردن ط1، 2008، ص23.

3. حسنين محمد حسنين،طرق وأدوات جمع المعلومات والبيانات عن المجتمع المحلي ط1،عمان،دار مجدلاوي،2003، ص124.

وانتهاء بوصول موكب العروس. طيلة إجراء هذا العمل الميداني، وبدءا من الدراسة الاستطلاعية التي كانت بدايتها في صيف .2015فلقد مكننا هذا الأسلوب من أن نكون جزء من البحث ما يسر علينا الوصف والتفسير بشمولية أعمق وأكثر ومنه الوصول إلى أهداف البحث دون حواجز. فهذا الأسلوب هو الأقدر في الحصول على المعلومات والبيانات الصحيحة التي يميل مجتمع البحث إلى إخفائها أحيانا عن الباحث خاصة فيما يتعلق ببعض القيم والعادات.

المقابلة: شكلت أهمأداة نظرا لطبيعة المواد التراثية التي يصعب الحصول عليها، لذلك تعد منأنجح الأساليب في جمع المعلومات.[1] حيث لعبت دورًا هاما إلى جانب الملاحظة المباشرة والملاحظة بالمشاركة في الدراسة الميدانية كونها الوسيلة الأكثر فعالية في جمع البيانات فهي تتيح للباحث الاقتراب من الجماعات. وفي عملنا هذا استندنا على المقابلة نصف الموجهة entretien semi directif في ضبط الأسئلة(دليل المقابلة) مع المحافظة على حرية التعبير وبذلك يصبح الباحث مستمعا وملاحظا جيدا لكل الحركات والإيماءات، وينبغي أن تظل المناقشة تحت سيطرة الباحث دون إشعارهم بذلك.

إن المقابلات التي أجريناها بلغت(**16**) مقابلة كانت أثناء المراسيم وخارجها كما كانتبعض المقابلات فردية وجماعية تجمع بين أكثر من شخصين من نفس العائلة وخارجها، إلى جانب المقابلات التي جمعتني بالممارسات الأربعة(04) لطقس "التصفاح". حيث قمنا بتسجيل تصريحات الممارسات وفق أسئلة محددة شكلت **دليل المقابلة** * وكانت الأسئلة تخص الزواج ومراسيمه ووظائفه، وكل الممارسات الطقوسية بما فيها طقس "التصفاح" ولقد استفادت دراستنا من ذاكرة كبار السن لما قدموه لنا من حقائق خاصة ما تعلق بموضوع العادات والطقوس، والتيتمت في منازلهم، وفي مناسبات الزواج. وتجدر الإشارةإلىأن هذه المقابلات أجريناها في أماكن مختلفة وعلى إمتداد فترات زمنية متباينة .

- **استند العمل أيضا على التصوير الفوتوغرافي والتسجيل الصوتي**"magnétophone" وذلك من خلال أخذ ما أمكن من الصور لممارسة المرأة الطقوسية خلال إحتفالية الزواج . وللإشارة فإننا لم

1- عاطف وصفي، الأنثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية بيروت لبنان2007، ص284.

* يمكن الاطلاع على دليل المقابلة في الملاحق.

نلقىأيصعوبة للإندماج في مجتمع البحث. وذلك لإنتمائنا لنفس الجنس والمنطقة. ولمعرفتنا الشخصية بكل الفاعلين. فبعد أخذ الإذن استعملنا آلة التسجيل مع النساءاللواتيقبلنا إجراء المقابلة معنا مع ا لتوضيح لهنأن استخدام التسجيل سيكون سري ولن يستمع له أحد وبعد استعماله يمحى . وبذلك سجلنا مقابلات فردية وجماعية متفرقة منها من كان في الأعراس ومنها ما كان في بيت الإخباريين والممارسات.

- **الوثائق والسجلات:** تشكل مصادر للمعلومات والبيانات التي يسعى الباحث إلى الحصول عليها لأنها تحفظ الأحداث، لذلك إستعنا بـوثيقة الزواج التيتنتمي لعرش " بني بوسليمان "بباتنة والتي حدد فيها كل ما يتعلق بعادات الزواج(مهر، خطبة، جهاز، وليمة) وغيرها،وهي بمثابة دستور تلتزم به كل الأسر التي تنتمي إلى هذا العرش سواء من باب القرابة او المصاهرة واو الجيرة. وأن هذه الوثيقة يصادق عليها كل سنة في إجتماع سنوي بمناسبة سوق**لخريف*** ببلدية تكوت. ولقد إستندنا على وثيقتين الأولى تعود إلى سنة 2003، وتليها الوثيقة التي أعتمدت في شهر أوت2016 والتي مكنتنا من الوقوف على أوجه التغير والثبات في عادات وطقوس الزواج من سنة 2003إلىسنة 2016*

ولقد إشتملت خطة البحث على أربعة فصول :

الفصل الأول: الأسرة الجزائرية ودورة الحياة جدلية الثابت والمتحول . حيث ضم مبحثين أساسيين .

المبحث الأول: الأسرة الجزائرية التنشئة ومكانة المرأة بين الأصالة والمعاصرة ، حيث اشتمل على مفهوم الأسرة ودور المرأة في الحفاظ على الإرث الثقافي.

المبحث الثاني: التحولات السوسيو-ثقافية والبناء الاجتماعي، لقد تطرقنا إلى ومظاهر التغير الاجتماعي والثقافي وحاولنا أن نميز بينه وبين بعض المفاهيم والنظريات المفسرة للتغير الإجتماعي

الفصل الثاني: عادات وطقوس الزواج بين المتوارث والوافد ،قدمنا تعريفا لمفهوم العادات والطقوس وعلاقتها ببعض المفاهيم كحداثة والتقدم وعلاقتها بنسق القرابة والزواج في مبحثين:

* سوق لخريف: سيرد شرحه بنوع من التفصيل في الفصل الثاني عادات وطقوس الزواج.

* اطلع على الوثيقة في الملاحق.

المبحث الأول: العادات والطقوس الأصالة والمعاصرة، تطرقنا لعادات الخطبة والزواج ومار افقها من مجريات ومراسيم والوقوف على وضائف الطقوس ومحتوياتها.

المبحث الثاني: الزواج ونسق القرابة بين الماضي والحاضرحيث حاولنا تقديم قراءة لمفهوم الزواج وأنماطه ثم الزواج بالجزائر ومجتمع البحث من حيث الإختيار للزواج و نسق القرابة.

الفصل الثالث: الممارسات الطقوسية وظبط الجنسانية من خلال طقس التصفاح، من خلالها نقرأ تجليات البكارة ومفهوم العفة من خلال مبحثين هامين:

المبحث الأول: آليات ضبط الجنسانية الأنثوية وما تتصمنه الممارسة من اليات وغايات. حيث وقفنا على الآليات التقليدية التي احتكمت لها المرأة في ضبط هذا الجسد من خلال عملية فتح التصفاح .

المبحث الثاني:خطاب الجسد التمثلات وسلطة الطقس، تتطرقنا فيه الى مفهوم الشرف ودلالة البكارة في مجتمع البحث ، كمفهوم قيمي ورأس مال رمزي يراهن عليه مجتمع البحث في مؤسسة الزواج.

الفصل الرابع :المضامين الأنثروبولوجية للممارسات الطقوسية وما تخللته من ترتيبات ومراسيم بين الثابت و المتغيربمفاهيمها القيمية والرمزية، انطلاقا من يلة الحنة وصولا الى ليلة الدخلة ووقوفا على طقس الحزام من خلال مبحثين:

المبحث الأول: اشتمل على مفاهيم محورية في مراسيم الزواج والتي يراهن عليها مجتمع البحث كثوابت ومؤشرات على بقاء العادات وصمودها بكل تجلياتها السحرية والجمالية .

المبحث الثاني :الممارسات الطقوسية المؤشرات والوضائف وفك رموز ودلالات ممارسات المرأة الطقوسية الغنية بمظامينها وحمولتها في سياقها السوسيو - ثقافي.

الفصل الأول:

الأسرة الجزائرية ودورة الحياة

جدلية الثابت والمتحول

مقدمة

يعد موضوع الأسرة من أهم الدراسات في حقل المعرفة الأنثروبولوجية لإرتباطها بكافة الأطر والتنظيمات الإجتماعية والإقتصادية والسياسية والدينية. ب إعتبارها الخلية الأساسية في بناء المجتمع والمؤسسة الأولى التي أدتإليها الطبيعة البشرية النازعة إلى الإجتماع، وان نشأتها تمت بصورة تلقائية بدافع الحفاظ على النوع البشري بصورة دائمة بين إمرأة ورجل يقرها المجتمع وتعترف بها القوانين. وبالتالي فهي تتأثر بالتغيرات الحاصلة فيه لاسيما أن التغير ميزة المجتمعات الإنسانية ودلالة وجودها الحركي. بإعتبارها منأهم النظم الإجتماعية التي يستمد منها المجتمع خصائصه ومميزاته وينفرد بها عن باقي المجتمعات الأخرى. فمنها ترسم ملامحه وبها تتحقق استمرار يته.الأمر الذي يعطي أهميةللآلية التي عن طريقها تتكون هذه الأخير(الأسرة) ضمن نظام الزواج المقبولإجتماعيا.

والجزائر على غرار باقي المجتمعات الإنسانية تسيرها العادات والطقوس. ومدينة باتنة ليست بمنأى عن هذه التوليفة الطقوسية التي تسير العرس الإحتفالي بالزواج منذ الإعدادوصولا إلى مرحلة التأسيس والبناء. وان هذه التغيرات التي أفرزها التحضر والتقدم التكنولوجي والتغير السوس يوثقافيهو منأ لنا مجالا خصبا ضمن البحث الأنثروبولوجي لمساءلة الميدان والنبش فيه، باحثين عن مظاهر التغير المصاحب لطقوس الزواج في مدينة باتنة، والوقوف على أبعاد هذه التغيرات وقراءة رمزيتهاخاصة الممارسات الطقوسية للمرأة الشاوية. محاولين ربط هذه الممارسات بالتغيرات الحاصلة في المجتمع.وسنحاول قدر المستطاع من خلال هذا الفصل الوقوف على الأسرة والتغيرات السوسيو -ثقافية حيث يتضمن المبحث الأول: دورة حياة الأسرة، من ضبط لمفهومها إلى الوقف على أشكالهاوأنماطها ووظائفها كما نوضح مكانة المرأة ودورها في الحفاظ على الإرث الثقافي. في حين نتطرق في المبحث الثاني: إلى التغير السوسيو-ثقافية مميزين فيه بينه وبين بعض المفاهيم، ولكذى بعض المظاهر والنظريات المفسرة له.وأثر هذه التحولات على البناء الاجتماعي ككل.

المبحث الأول:

الأسرة الجزائرية التنشئة ومكانة المرأة بين الأصالة والمعاصرة

أولا: الأسرة ودورة الحياة:

تعد الأسرة الخلية الأساسية للمجتمع بإجماع العلماء والمفكرين في مختلف التخصصات النفسية الاجتماعيةوالأنثروبولوجيةوغيرها من العلوم الأخر ى، رغم إختلاف وتنوع تعريفاتها حسب المكان والزمان والنظم والأعراف .إلا انه هناك إجماع على أنها اللبنة الأولى في البناء الاجتماعي، و أهم الجماعات الإنسانية وأعظمها تأثيرا في حياة الأفراد والمجتمع.والتي يعد الزواج أساس تكوينها،باعتبارها الوعاء الإجتماعي والثقافي للمعايير والقيم،وأول جماعة مرجعية تعمل على نقل الإرث الثقافي للأجيال بما يتضمنه من معارف وسلوك، وأفكار وعقائد. حيث تلعب المرأة الدور المحوري فيها بحكم قيامها بعملية التنشئة.فلقد حافظت هذه المؤسسة منذ القدم على أنماط من السلوك والعادات والتقاليد لاسيما عادات وطقوس الزواج التي انعكست بدورها على الممارسات الطقوسية فيه.[1] فعلى الرغم من أن الأسرة مؤسسة معروفة لكل إنسان إلا أن التعريف الدقيق والشامل والواضح لها يبقى يكتنفه الكثير من الصعوبة والغموض، وذلك لتنوع حجمها وبنيتها ووظائفها وعلاقاتها من مجتمع إلى آخر ومن فترة زمنية إلى أخرى ورغم ذلك فان الأسرة كما يتفق عليها اغلب العلماء تشكل حماية اجتماعية بشرية. وتبعا لذلك تعددت تعريفاتها وتباينت بحسب الاختصاص وعليه نقف على بعض المفاهيم منها:

1. مفهوم الأسرة:

تعرفالأسرة حسب **"روبرت ماكيفر"**Robert Maciver بأنها جماعة تعرف على أساس العلاقات الجنسية المستمرة -على نحو يسمح بإنجاب الأطفالوراعيتهم.[2]

-**يعرف معجم علم الإجتماع** "الأسرة" أنها عبارة عن جماعة من الأفراد يرتبطون معا بروابط الزواجوالدم والتبني ويتفاعلون معا. وقد يتم هذا التفاعل بين الزوج والزوجة وبينالأم والأب وبين الأم والأب والأبناء، ويتكون منهم جميعا وحدة إجتماعية تتميز بخصائص معينة.[3]

---

1 - عصام محمد منصور، المدخل إلى علم الاجتماع، دار الخليج، الأردن2010، ص95.

2 - السيد عبد العاطي وآخرون، علم اجتماع الأسرة، دار المعرفة الجامعية، ط1، الإسكندرية ،2000، ص24.

3 - عبدالقادر القصير،الأسرةالمتغيرةفيمجتمعالمدنيةالعربية،دارالنهضةالعربية،بيروت، 1999، ص33.

- **يعرفها "برت راند**Bertrand"بأنها جماعة إجتماعية مكونة من أفراد إرتبطوا ببعضهم البعض برباط الزواج أو الدم أوالتبني وهم غالبا يشتركون في عادات عامة ويتفاعلون مع بعضهم البعض وفقا للأدوار الإجتماعية المحددة من قبل المجتمع.[1]

-**حسب العالم الأنثروبولوجي "جورج مردوك"** G. Murdock" هي وحدة إجتماعية تتميز بمكان إقامة مشترك وتعاون إقتصادي، ووظيفة تكاثرية، ويوجد بين إثنين من أعضائها على الأقل علاقة جنسية يعترف بها المجتمع.

-**يرى "روبرت لوي" R. Lowie**الأسرة هي الوحدة الاجتماعية القائمة على الزواج ،و تتكون على الأقل من ذكر بالغ وأنثى بالغة وطفل سواء من نسلهما أو بالتبني[2]

-من المفاهيم المقربة للأسرةوالعائلة كما عرفها **بوتفنوشت"** بأنها منتوجإجتماعي يعكس صورة المجتمع الذي توجد فيه والذي تتطور من خلاله". وعليه فإنها نطام إجتماعي يقوم على علاقات القرابة(النسب/ الزواج).باعتبارها أهم وكالة إجتماعية، بل هي أول صورة للحياة وأول خلية إجتماعية يرتبط بها الإنسان. وتعد الهيئة الأولى التي تقوم بعملية التطبيع الإجتماعي. والنتيجة التلقائية للطبيعة البشرية. حيث تختلف أشكالها من ثقافة لأخرى ويؤديأفرادها أدوارا مختلفة. لكن هناك دائما شكلا من أشكال التنظيم الإجتماعيوالقرابي الذي يصبح حتميا بالنسبة للخصائص التي تميّزها، الشيء الذي يبقي على أهمية الأسرة بالنسبة للمجتمعات البشرية.أحد ملامح هذه الأهمية كونها تأتي من الناحية الكرونولوجية في المرحلة الأولى من حياة الفرد.ففيها يتلقى أولى دروس الحياة خاصة الأنثى التي تربى وفق أطر وقواعد تقرها الأسرةويتفق عليها المجتمع.كما يتم تشكيل الأساسات التي تنتظم عليها سلوكياتها فيما بعد، وهو ما يجعل منها مرجعا أساسيا بالنسبة لها على إمتداد مراحلها العمرية.[3]

---

1 - حمد عبد الفتاح محمد، الظواهر ومشكلات الأسرة والطفولة المعاصرة من منظور الخدمةالاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث مصر،2009 ص34.

2- عبد الرؤوف الضبع، علم اجتماع العائلي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2009،ص81.

3 -بوتفنوشت مرجع سبق ذكره،ص28.

2. أنماطالأسر عند علماء الأنثروبولوجيا:

الأسرة كمؤسسة اجتماعية تعد اللبنة الأولى في المجتمع، وهي أول وسـط اجتماعي ينشـأ فيه الفرد. فهي ش أنها شأن النظم الإجتماعية داخل المجتمع تخضع لقانون التغير الدائم.ونظرًا للتغيرات التاريخية والإجتماعية والإقتصادية التي عرفتها الأسرة والتي تأثرت بها بشكل خاصوالمجتمع بشكل عام تعددت أشكالها سواء من الناحية العددية والشكلية أومنالناحيةالوظيفية. ومنه فقد تعددت أنماطهاوأشكالها، حيث حدد الباحثون الأنماط الأسرية التالية:

أ. **من حيث الشكل:** قسمت إلى:

- **الأسرة متعددة الأزواج:** وهي الأسرة التي تكون فيها الزوجة متزوجة من عدة أزواج"زوجة ويشترك في معاشرتها عدة أزواج". رغم أنه قليل إلاأنه إنتشر في المجتمعات البدائية.
- **الأسرة متعددة الزوجات**: هي الأسرة التي يكون فيها الزوج متزوج من عدة زوجات وفي المجتمع الإسلامي يتزوج الزوج أربع زوجات في حدها الأعلى، لكن هناك مجتمعات أخرى يمكن أن يتزوج الزوج أكثر من أربع زوجات وهي قليلة.
- **الأسرة التوتم*:** وهي أسرة كانت قائمة على أساس انتماء الأفراد لتوتم واحد **Totem**أفراد من حيث محور القرابة والنسب ويكون التصنيف على أساس التسلسل القرابي.

ب. من حيث الحجم: تتفرع الى:

- **الأسرة النووية :**وتسمى كذلك الأسرة الزواجية conjugal family، تشكل الأسرة النووية الصورة الأكثر انتشارا في مجتمعاتنا المعاصرة وتتكون على الأغلب من الأب"الزوج"والأم"الزوجة" وأبنائهما غير المتزوجين وهذه الصورة لا تبقى مستمرة مدى الحياة، حيث أنه بزواج الأبناء تتقلص الأسرة النووية لتقتصر في كثير من الأحيان على الأب والأم فقط. ومن هنا نستنتج أن الأسرة تمر بدورات حياتية تتجه من الواسع إلى الضيق.

*__التوتم__:عبارة عن نوع من الحيوان أو النبات تتخذه العشيرة رمزا لها.

-**الأسرة الممتدة:** ويطلق عليها(العائلة) وهي أسرة يرتبط فيها الأفراد بعضهم ببعض بصلة الدم وتتكون من عدد من الأسر النووية، وهي الشكل الأكثر انتشارًا في المجتمعات التقليدية، حيث يجمع بها الزوج أكثر من زوجة وأبنائهم المتزوجين وغير المتزوجين والأحفاد، وقد تضم عددا من الأفراد الذين يرتبطون بروابط الأخوةوأبوة والعمومة والجد والجدة من ناحية الأم والأب وترتبط هذه الأسرة من ناحية الجد، ويعيش أفرادها تحت سقف واحد وهي منتشرة في المجتمعات العربية والإسلامية. فهي البيئة التي تتميز بخاصية الحفاظ على القيم والتقاليد، كما بين ذلك **"بوتفنوشت"** في مؤلفه "العائلة الجزائرية". إلاأن هذا النمط تراجع اليوم بفعل التحضر والتمدن بعدما كانت هي الشكل السائد.

ج. **من حيث محور القرابة والنسب:**

يكون التصنيف على أساس التسلسل القرابي، فهو إمأبوي أي النسبة فيه إلىالأبوإما امومي النسب في إلىالأم، وإما مزدوج فيه النسبة إلىالأبوالأم معا.

3. **وظائف الأسرة:**

رغم التغيرات الحاصلة في المجتمع وما رافقها من تبدل فيشكل ونمط الأسرة من أسرة كبيرة ممتدة تضم الأجدادوالأبناء، إلىأسرة نووية لا تضم في الغالب سوى الزوجين وأولادهما،إلاأنها لاتزال تقوم بدورها النفسي والإجتماعي وعدة وظائف أخرى منها:

أ. **إشباعالأفراد:** رغم التحولات الحاصلة في الأسرة والتطور الإقتصادي والتكنولوجي وما رافقه من خروج المرأةللعملالا تزال الأسرة تقوم بالكثير من الإشباعات النفسية والروحية، فهي تقوم بتنشئة الأبناء ورعايتهم وتوجيههم وتوفير كل الإحتياجات الضرورية لإستمرارهذا البناء الإجتماعي. كما تعمل على نقل هذه الخصائص إلىأفرادها، ومنها حفظ النسب وبذلك حفظ المجتمع.

ب. **التنشئة الاجتماعية:** هي العملية التي من خلالها تنقل ثقافة المجتمع من جيل إلى جيل آخر. من عادات وتقاليد ولغة وأعراف وقيم، وهي تعد من أبرز وأهم وظائف الأسرة من خلال إعدادأفراد فاعلين في المجتمع.

ج. **الضبط الاجتماعي:**يتعلم الفرد بطريقة مقصودة وغير مقصودةأنماط من السلوكات التي تتماشى ومعايير المجتمع، حيث تعد الأسرةأهم مؤسسات الضبط غير الرسميمن خلال إتخاذها لبعض الأساليب من عقاب وثواب وفق معايير المجتمع ووفق نسقه القيمي وثقافته التي نقلت إليه، والتي تنقلها الأم للأبناء عن طريق التنشئة الإجتماعية. حيث تمارس الأسرة على أفرادهاأساليب ضبط مجتمعية تحفظ إستمرارها وبقائهما . ولعلى أساليب ضبط جنسانية البنت في الأسرة الجزائرية أحد آليات الضبط الإجتماعي المبنية على مفهوم العذريةمن أجل الحفاظ على سمعة الأسرة داخل المجتمع.

يجذر بنا عند الحديث عن الضبط الاجتماعي أن نقف عندهذه الوظيفة التي تنم عن خصوصية مجتمع البحث (**باتنة**).فعندما نتطرق إلى مناقشة ما نسميه بوظائف الأسرةفإن ذلك يعني أن هذه الأخيرة (الأسرة)تؤدي وظائف هامة في المجتمع، أساسها الحفاظ على النوع وإنجاب الأطفال، وأنها تؤدي أيضا وظائف اقتصادية، ودينية...الخ،هذا كله صحيح حسب "**والر**Waller" لكن بشرط ألا تهدف هذه الأسر إلى الإعتقاد بأن الناس يتزوجون، وأن لديهمأطفالا، لأنهم يريدون أن يؤكدوا هذه الوظائف التي لا غنى عنها.إنما في الواقع أن الناس يتزوجون لإشباع رغبات إقامة أسرة. ومنه السعي إلىعقلنة الممارسات الموجودة أصلا بمبادئ أخلاقية واجتماعية .وقد أوضح "جورج ميردوك "**MurdockGeorg**في دراسته عن البناء الإجتماعي الكلاسيكي أن للأسرة دورا أساسيا، حيث تؤدي هذه الأخيرة وظائف عدة منها:

- تنظيم الأنشطة الجنسية.
- إنجاب الأطفال وتنشئتهم على عادات المجتمع.
- بقاء وإستمرار المجتمع.
- تعليم القيم والمعتقدات والرموز والمهارات السائدة في ثقافة المجتمع.[1]

تستمد الأسرة الجزائريةخصائصها من الأشكال الأولى للعائلة المغاربية الأمازيغية بالإضافة إلى التراكمات التاريخية، من خلال الحضارات التي تعاقبت على هذا المجتمع منها الحضارة الإسلامية .خاصة أشكال العائلة العربية وتأثيرالمجتمعالفرنسي ومختلف التغيرات الإجتماعية

1- محمد أحمد بيومي، عفاف عبد العليم ناصر، علم الاجتماع العائلي، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2003، ص43.

والإقتصادية.[1]وان أهم وظيفة تقوم بها هي وظيفة التنشئة التي تتم بطريقة مشروعة. طبقا لقواعد يقرها المجتمع ويقبلهاوتمتثل لها الأسر والأفراد في إستسلام لا واعي ضمانا لإستمرارهاوتطبعهم بطابعها الخاص.دون أن نهمل دورها في مجال الضبط الإجتماعي عن طريق التنشئة الأسريةحيث تسهر هذه الأخيرة على تعليم الفتاة خاصة أساليب الضبط الإجتماعي، و آليات ضبط الجنسانية ومعاير السلوك المقبول المبني أساسا على الحشمة والعفة والشرفمما يسمح لها بالإندماج في المجتمع الواسع ، فهي تعد نسقا جزئيا من أنساق المجتمع الكلي أي النسق الأكبر.لذلك فهي تتأثر بما يحدث في المجتمع من تغيرات وتحولات.[2]

4. التأثير المتبادل بين الأسرة والمجتمع:

تعتبر الأسرة كنسق إجتماعي [3] الأساس الذي يقدم الفرد لمؤسسات المجتمع ونظمه الإجتماعيةفالعلاقة بينها وبين باقيالنظم الإجتماعية الأخرى علاقة وثيقة ومتبادلة.على أساس أنها هي من تضع الجذور الأولى لشخصية الفرد وخبراته التي تستمر مع كامل مراحل حياته.وبذلك فإن أي تغير يحدث في النظام الأسري لا بد أني ينعكس تأثيره على باقي النظم الأخر ى، كما تستجيب الأسرة أيضا للتغيرات التي تحدث في المجتمع. وتعدّ أفرادها للتكيف معها لمواجهة متطلبات وشروطالحياة ، وهي التي تحدد درجة تقبل المؤسسات الإجتماعية لهؤلاء الأفراد ودورهم فيها ودرجة نجاحهم في أداء هذا الدور.ويظهر تأثير الأسرة في المجتمع من خلال الفرد كفاعل يتصرف بحسب مرجعتيهاالأسرية،كما تؤثر التغيرات الإجتماعية الحاصلة في المجتمع على الأسرة بشكل مباشر من حيث وظائفها وتطلعاتها ونمط العلاقات بين أفرادها.فلقد أدت الحداثةوالتقدم التكنولوجي والتغيرات الاجتماعية إلى تغيرات كثيرة في وظائف الأسرةوعلى نظامها القيميوتطلعاتأفرادها ،ويبين لنا" **دوتوكفيل**"Alexis de Taque ville في هذا الشأن كيفيظهر تأثير المجتمع على الأسرة من خلال تبني أفرادها القيم الجديدة التي تسود المجتمع.

---

1 - ناصر قاسمي، سوسيولوجيا العائلة والتغير الاجتماعي، دار الكتاب الحديث، الجزائر،2013، ص05.

2- الفضيل رتيمي، التنشئة الاجتماعية وإشكالية العقلانية داخل المنظمة الصناعية رسالة دكتوراه، قسم علم الاجتماع كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة، الجزائر ،2005، ص17.

3- محمد أحمد بيومي،مرجع سبق ذكره، ص46.

5. الأسرة الشاوية* بين الحداثة والتقليد:

أعتبر الباحثين والدارسين الغربيين أن العائلة العربية التقليدية ذات نمط ممتد وسلطةأبوية تجنح إلى تفضيل الزواج بين الأقارب، ولا تسمح بتعدد الزوجات.وتتعدد ممارسات المرأة الطقوسية فيه. إلا أننا في هذا المقام لا بد أن نشير إلى أن هذه النظرة قاصرة حيث أن هذه الأخيرة" العائلة"الشاويةبمنطقة باتنةمثلها مثل العائلة الجزائريةلها عدة خصائص تنحصرفي:

- تشكل وحدة اجتماعية ونواة ومركز للنشاطات الإقتصاديةالإجتماعية القائمة على التعاون والإلتزام المتبادل والمودة. والقرابة.
- تتشكل من أسر ذات توجه ونمط ممتد من حيث عدد أفراده ا، وأبوية من حيث تمركز السلطة والمسؤوليات.[1]
- من حيث الانتسابهرمية على أساس الجنس والعمر، أي ذات تنظيم طبقي القائم على أساسسيطرة الرجال والكبار وتبعية المرأة والأبناء للذكور.
- تعملالأسرةعلى نقل وترسيخ قيم المجتمعوالتي عن طريقها يرتبط ويتشكل كيانه وتتبلور شخصيته.

فلقد كانت الأسرة قديما تبنى على الزواج القرابي (**ابن العم/ ابن الخال**) ونادرا ما تتزوج البنت خارج الأسرة والقرابة. والذي خبرناه من ميدان البحث. ومن أفواه الفاعلين الاجتماعيين. حيث صرحت لنا السيدات اللواتي قابلناهم ان الزواج القرابي يشكل واحد من أهم أشكال الزواج وأفضله :

> " أنا واختيمديين(متزوجين) بولاد عمي يعنيمتزوجينالاخوة .... ملي زدنا وإحنا مسمين يعني" فلانة لفلان". لان العادات تفرض على الطفلة الى عندها ولد عمها تتزوج بيه يعني الطفلة تتزوج في الفامليا(العائلة) سواء كان ولد عمها أو

*الشاوية: أقوام بربرية يعتقد الكثير من المؤرخين انهم السكان الاصليون للمنطقة، ويعتقد البعض ان التسمية مشتقة من كلمة(شاة) أي رعاة الماشية. ومن التأويلات لهده التسمية ان هؤلاء الاقوام اكتسبوا التسمية من حرفتهم التي يمارسونها بصفة دائمة.

1- إحسان محمد الحسن،العائلة والقرابة والزواج، دراسة تحليلية في تغيير النظم العائليةوالقرابة والزواج في المجتمع العربي دار الطليعة بيروتص56، 1981.

ولد خالها وإذا ما كانش خلاص إلي يتزوجها من الأهل، المهم تتزوج في لافا مي وإلا العرش.والي عندها ولد عمها راجل مايخطبها، وهي ماتقدر ترفض الزواج بيه حتى لوكان ما تحبش، وإلا تحرم على رجال العايلة كامل وما يديها غير البراني... يعني يديها راجل بعيدماهو من العرش. تتعاقب لأنها رفضت الزواج من ابن عمها." (المقابلة 01)

هذا الذي خبرناه من أفواه النساء، فالبنت تكبر وفي ذهنها أنها زوجة فلان، والذكر زوجته فلانة. ومنه فلا مجال لرفض الخطبة أوإختيار الزواج خارج العائلة، وبلغة المجتمع المحلي يقال للبنت التي لها إبن عم في سنها (مسمية من الحفرة) ويعني هذا العرف اختيار زواجي لكلا الطرفين" **الذكر- الأنثى** " ومنه فلا يتقدم أي شاب لخطبة البنت التي لها ابن عم. أي أن البنت لا تتزوج إلا للقريب، وان رفضها للزواج منه يحرمها من كل رجال القرابة والعائلة، وبذلك البنت تزوج رجل غريب برفضها لابن العم الذي كانت على إسمه منذ الولادة على اعتبار انها الزوجة المستقبلية. وبهذا الرفض تستبعد البنت من عائلتها فلا يبقى لها أي انتماء لأهلها وعائلتها بالزواج من الغريب.لكن اليوم هذه العادة لم يبقى لها وجود أمام التغير والتحضر الحاصل في المجتمع، وانما يربى كلا الجنسين على تفضيل الزواج القرابي، المستبطن في اللاوعي الجمعي.ومنه فلا بد لكلا الجنسين او العائلتين الإمتثال للعرف القائم على تفضيل الزواج من العائلة. باعتباره القانون الغير مكتوب بالنسبة لكل العائلات. والذي يفرض الإلتزام به كلا الجنسين والإمتثال لبنوده. فرغم ان الزواج اليوم مبني على الإختيار الفردي لكلا الجنسين(أنثى/ذكر) ذلك التغير الذي أفرزته التغيرات الإجتماعية والثقافية بفعل التحضر والتمدن والتعليم والعمل. إلا أن الإختيار يخضع لصيرورة المفاهيم العائلية المبنية على تفضيل الزواج من داخل العائلة(عم/خال) حتى ولو أضحى اليوم الزواج فعل اختياري بين الجنسين، فهو خاضع للمفاهيم والأطر المجتمعية المبنية على تفضيل الزواج القرابي المتوارث جيلاً بعد جيل.

إن هذه الأخيرة (الأسرة) عرفت تحولا هاما في بنيتها، فبعدما كانت الأسرة موسعة وممتداليوم معازدياد وتيرة التمدين وما أفرزته الحداثةمن تحضر وتقدم فإننا نجد نموذجا جديدا من الأسر يطلق عليه المختصونالأسرةالنووية.وبالموازاة مع هذا التحول الذي طرأ على بنية الأسرة نجد أن العادات والتقاليد

الإجتماعية لم تسلم من هذا التغير والتحول السوسيو-ثقافيالذيمس الأسر بمجتمع البحث (باتنة). ولعل من مؤشراته ما ارتبط بممارسات المرأة في إحتفالية الزواج من عادات وطقوسالدالة على إعلاء قيمة الشرف.ورغم هذا التحول الذي طرأ على عادات الزواج والممارسات الطقوسية فيهفهذا لا يعني قطيعة تامة مع العادات والتقاليد والطقوسالمتوارثة التي تعد المرأة الفاعل الاجتماعي الأساسي والمهم فيها، وخصوصا ما تعلق بطقس "التصفاح" او ما يسمى أيضا **"الثقاف- الربيط"**.ففي سياق هذه التحولات التي عرفتها الأسرة الجزائرية عامة،والأسر في مدينة باتنةخاصة. نجد أن تنشئة الفتاة "الأنثى" لا تزال تحظى بالإهتمام والتقديس، وتكرس لها كل السبل والآليات المرتكزة على (**الحشمة والنيف**) مدافعة عن مكانة المرأة في مجتمع ذكوري وصي علىالمرأة ب إعتبارها التابع الملازم له فهي "الأم، الزوجة، البنت،الأخت"...الخ.

ثانيا: مكانة المرأة في الأسرة ودورها في الحفاظ على الإرث الثقافي:

1. التنشئة الأسرية للفتاة (الأنثى) الشاوية:

يعتبر المجتمع الجزائري إحدى النماذج للعائلة العربية الإسلامية الذي يخضع لسلطة الأب ويستوجب الخضوع من جميع أفراده. فالفرد يخضع لهذا النظام الصارم ويذوب في إطار الجماعة التي تسيطر عليه وتتحكم فيه بحكم الثقافة السائدة في المجتمع، والمبنية على الهيمنة الذكورية وما تستوجب من الطاعة والإحترام لهذه السلطة .، والذي يتضمن أساليب تنشئة خاصة تؤهلها مستقبلا لأداء الدور على أحسن وجه[1]ومراعاة المواضع الإجتماعية.خاصة عندما تتعلق بالإرثالثقافيوالإجتماعي الذي يكرسه المجتمع وينقاد له. ومن تلك المواضع ضرورة لزوم الحشمة (الاحتشام) كظاهرة إجتماعية تطبع سلوكها.حيث تربى الحشمة في نفس البنت من خلال التنشئة الأسرية ،ذلك الأمر الذي يشعرها تدريجيا بقيمة الشرف والعفة التي تضمنها العذرية. فتدرك أن مفهوم العذرية مرتبط بحصانة الشرف وحفظ البكارة. وهكذا يغرس في نفسها ضرورة التحرز من الرجال وضرورة الحشمة والحياء ، والحفاظ على

1- شادرريمة، المرأة الجزائرية ونموذج تنشئة الفتاة في إطار التغيّر الاجتماعي، ماجيستر في علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2001 ص64.

العذرية وستر ماء الوجه باعتباره ستار أكثر رمزية ويصعب إختراقه. ألا وهو غشاء البكارة الذي يكسب الأنثى الجاذبية ويعطيها القيمة. [1] وعليه فالأسرة المكان الأولوالأساسي الذي تتلقى فيه الفتاة الأساليب التربوية والمسماة التنشئة الأولية، فداخل إطارا لعائلة يتحدد نسق الموافقة والإمتثال، الذي يتم من خلاله غربلة وترسيخ القيم والمعايير المجتمعية، وكل الخبرات المؤهلة للحياة الإجتماعية. وتعتبر إطار التبادلات الإجتماعية والثقافية والعاطفية بين الآباءوالأبناء. والتي عن طريقها تنقل الثقافة من جيل إلى جيل وتستند إلى مختلف عمليات التقليد والمحاكاة باستمرار. [2]وان المجتمع الجزائري بمقوماته الثقافية والتاريخية جزء لا يتجزأ من الأمة العربية وان كانت له مميزات نوعية تخصه في تأسيس الأسرة وتنشئة الأبناء، حيث تلعب المرأة دورا أساسيا وجوهريا في الحياة الأسرية، فهي تعد رأس المال البشري الذي يفوق في أهميته أي شيء آخروالمنظم لحركة الأسرة. فأدوارها متعددة في إشباع حاجات الأسرة النفسية والمادية والإجتماعية، كما تحمل القسط الأكبر في تنشئة الأبناء منذ سن مبكر. وتلعب دورا بارزا في رعاية الأسرة من اجل استقرارها وثباتها.[3] حيثتنشئ الفتاة في المجتمع الجزائري عامة، والمجتمع الشاوي خاصة بمجتمع البحثعلى الحشمة والأخلاق النابعة من قيم المجتمع وتعاليم الدين والأخلاق والآداب.تلك القيم التي تغرسها الأم خاصة في البنت مند سن صغيرة بكلمضامينها القيمية والعقائدية . والتي تسهم في تكوين شخصيتها بما يتماشى مع قوانين الأسرة والمجتمع. فتطبعها بتقاليدها وعاداتها المتوارثة جيلا بعد جيل والتي تسهر في تلقينها للفتاة عن طريق التنشئةالاجتماعية ونقلكل المعارف والمهارات والقيم لاستمرار المجتمع ضمن مختلف الهويات والمعتقدات الإجتماعية والثقافية. سواء بطريقة مقصودةأ و غير مقصودة. فلا تبيح إختلاط الذكور بالإناث ابتداء من فترة النضوج الجنسي(البلوغ) ، وترسخ مفاهيم ومواقف ذهنية ونفسية في أعماق الفتاة عن الجنس، وكل ما يتعلق بالبكارة والعذرية والشرف . فتربى على" **الحشمة** والحياء . وبذلك فهي (البنت) تتعلم أدب المعاملة والسلوك وفق القيم والمنظومة

1محمد شقيق ، المرأة بين الاستعراء والتلفف في الحجاب ، مقاربة انثربولوجية ونفسية، الأكاديمية، مجلة أكاديمية المملكة المغربية العدد،21 سنة2004، مطبعة المعارف ،الرباط،2004، ص22

2- خواجة، عبدالعزيز. مبادئ في التنشئة الاجتماعية: دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران, 2005ص134.

3- مهدي محمد القصاص علم اجتماع العائلي، كلية الآداب جامعة المنصورة2008 ص174.

الأخلاقيةالتي تحرص على إعلاء قيمة الشرف. المبني على صون عفتها من خلال إحاطتها بترسانة من القوانين وجملة من المفاهيم بداية من الفصل بين الجنسين وارتداء الحجاب، والحجبة بالبيت ،...) إلى ممارسة طقس **"التصفاح"** ذلك الإجراء الحامي لبكارة البنت من كل اعتداء جنساني .

إنالأنثى تخضع منذ طفولتها لتربية خاصة تختلف عن تربية الذكر، حيث تربىعلى اللين والنعومة، وانخفاض الصوت عند الكلام والضحك... الخ، كما تتجنب اللعب العنيف والقفز حرصا على سلامة عذريتها، وهذا أخطر ما تخشاه البنت وتتحاشاه وأهلها على السواء. لذلك يفرض عليها قوانين تحدد تعاملها داخل المنزل وخارجه، بما يتناسب مع جنسها والحرص على عفتها وشرفها باعتباره رأس مال العائلة. ومن واجب الأسرة (**الام**) تأهيل البنت لأداء دورها المستقبلي، المبني على الحشمة والعرض والشرف.إنها قيم ومعايير لابد للفتاة ان تعيها منذ نشأتها، فهيمطالبة بالحياء والعفاف، وبذلك تفرض عليها أنواع من القيود. حيث تحاط علاقتها بالجنس الآخر بعدد من الموانع القوية من (عزل الجنسين) منعا للاختلاط الذي لا يكون إلا في حضورالأهل، كما تسعى الأمهات الى تحصين بناتهن حفاظا على عفتهن من خلال إجراءات تقليدية تمارس على البنت في سن صغير قبل البلوغ،وهوما يسمى **التصفاح**. حيث صرحت لنا الأمهات والجدات اللواتي قابلناهن سواء في حفلات الزواج والخطبة أو في الزيارات التي قمنا بها على فترات متقطعة .فلقد صرحت لنا احدىالممارسةالتي تنتمي إلى عرش السراحنة (**كيمل**)أنها قامت بربط بناتها لأنه حسبها التصفاح يحمي العرض ويصون الشرف:

" أنا صفحت بناتي وكل بنات العائلة تقريبا سواء بنات خاوتي الذكور اوخوتاتي لبنات، والتصفاح راح يحمي لبنات حتان يتزوجوا، خاصة البنات يقراو ويسافروا، التصفاح رايح يحميهم ويحصنهم ويطمن الوالدين عليهم.واحنا نصفحوا البنت بعد ما انحيو المنسج/السداية خاصة في فصل الصيف" (الممارسة 01)

حسب الممارسة تعتبر هذه الممارسة بمثابة حصانة للبنت من أي اعتداء جنسي، حيث تقوم المرأة **"الأمالجدة. الخالة العمة"** بتحصين البنت وهي في سن صغير، أي قبل البلوغللحيطة والحذر من أن

تغتصب أو ينتهك عرضها.[1] ومنه فـالمرأة في مجتمع البحث(باتنة) تعلب دورا بارزا في دورة حياة الأسرة، رغم أن المجتمع يبدوا في مضامين الخطاب أنه مجتمع قرابي أبوسي.حيث أن التسمية والإنحدار هو في خط الأب (ولد فلان). لكن تشكل المرأة كما تبين لنا من خلال المقابلات التي أجريناها مع الفاعلين الإجتماعيين أن المرأة هي الحامي لشرف العائلة والساهر عليها رغم أن المجتمع أبوسي والسلطة في يد الرجل إلا أن المرأة تحظى بمكانة توليها تربية الأبناء والقيام بشؤون البيت إلى جانب الخروج إلى العمل فهي تلعب دور أساسي في حفظ شرف العائلة بضبطجنسانية بناتها. في حين أننا لا يمكن إنكارالنسب والتسمية أيضا إلى الأب، وعليه فالمجتمعقيد الدراسة تحظى فيه الزوجة (**المرأة**) بمكانة قوية في الوسط الأسري وإن بدا ذلك خفي وغير معلن عنه لكننا نقر وه في الممارسات اليومية والخاصة بدايةمن سهرها على تسيير أمور البيت وتربية الأبناء وتنشئتهم وصولا إلى إقامة الزواج وممارساته الطقوسية. وذلك راجع إلى الخصوصيات الثقافية للمجتمع الجزائري. هي الحقيقة التي يؤكدها أيضا "**فرانز فانون**"**Frantz Fanon** فحسبه"أن المجتمع الجزائري هو مجتمع قائم على النظام القرابيالأبوسي إلا أن قاعدته الخفية هي أمومية". فالأم في مجتمع البحث هي التي تقوم بالتدابير والإجراءات الأولية في تزويج أبنائها بالرغم من المراقبة المصطنعة من طرف الأب.[2] وان الرجل الجزائري تبقى جميع سلوكياته إزاء زوجته سرية خاصة إذا تعلق الأمر ببعض التنازلات من طرفه لزوجتهلأنه دائما تحت مراقبة جماعية تتمثل في الجماعة القرابية (**أعمام، أبناء عمومة**) وهي التي تخضع الأب لقراراتها وتوصياتها. لذلك فهو يتعامل مع أسرته وأبنائه وزوجته وفقا لما تنص عليه تلك الجماعةفالأب يهمه رأي الجماعة القرابية فيه ومنه نستنتج أن الجماعة القرابية هي التي تعلم الأب ترسيخ الثقافة الأبوية ككلوتمكنه من جهة أخرى من تدعيم سلطته وتثمينها إزاء زوجته وأبنائه . حيث تؤكد "**نوال السعداوي** "أن دور المرأة ومركزها في

1حمداوي محمد، وضعية المرأة والعنف داخل الاسرة في المجتمع الجزائري، مجلة انسانيات، ع10، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية،2000، ص26.

2 .Na fissa Zerdoumi, Enfant d'hier : Education de l'enfant en milieu traditionnel Algérien, Alger, ENAL, 1982, p37.

المجتمع خاصة في المجتمعاتالقديمة والبدائية. على أنها مبنية على اضطهاد المرأة. [1] كما تشير مثلا إلى أنالمجتمع المصري كان مجتمعا أموميا، و أن **"إلاه"** الأرض يظهر في معظم الأساطير على أنه أنثوأن أول مظهر للعبادة كان هو عبادة الآلهة الأنثى في كثير من المجتمعات القديمة، فمثلا كانت **"ربة"** الحكمة عندااليونان هي «**أثينا Athéna**"وعند الرومان كانت **"منيرفا".**[2]وعليه فالمجتمع قيد الدراسةضارب في الانتماء الحضاري والتاريخي الامازيغي والعربي والإفريقي والإسلامي الذي اكسبه هذه الخصائص والسمات إزاء المرأة.

ولقد خلصنا من خلال المعايشة للأسر التي شاركناهم احتفالات الزواج بمجتمع البحث الذي نمثل أحد وحداته أن تربية البنت سواء في(**المدينة/الريف**) ترمي إلى تأهيل الأنثى لأن تكون زوجة متماشية مع مقاييس ومعايير المجتمع المعترف بها والمتفق عليها، المرتكزة على (**الحشمة.العفة النيف . الحرمة**) والتي ترمز إلى قيمة المرأة الكاملة والابتعاد عن الممنوعات الإجتماعية المحكومة بـ (**العيب العار،الحرام**) التي تصب في فحوى الممنوعات الإجتماعية المستمدة من تعاليم الدين الحنيف ، وثقافتنا الإسلامية.هذه الأخيرةالتي توحي عموما بفقدان الشرف وبالتالي فالمسؤولية كبيرة إذا. وعليه فالعلاقة **(أم/ بنت)** يتخللها قلق أما بالنسبة للعلاقة**(أب/ بنت)** فهي تحمل الأب مسؤولية العرض وحراسة البنت لضمان الشرف والمكانة. فالأنثى (**البنت**) تحظىبتربية نوعية.الصبغة الخاصة والنموذجية التي تقرها العائلة في مجتمع البحث (**باتنة**) وفقا للضمير الجمعي والمعايير والقيم السائدة. والتي تختبر بالزواج صبيحة ليلة الدخلة، برؤية مؤشرات فض البكارة،التي تعكس حشمة الفتاةوأخلاقها وتربية العائلة النموذجيةوالناجحة. كانعكاس على الحشمة والشرف، الذي يضم في طياته (**الفخر، العفة، الحياء**) فالغايةالتربوية من تربية الأنثىتأهيلها لان تكون زوجة مقبولة ، وعنصرا فاعل في المجتمع. والتي تقاس بمدىمح افظتها على

1- نوال السعداوي، المرأةوالجنس، ط 3،بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1974،ص22.

2 - عدلي علي أبو طاحون حقوق المرأة :دراسات دينية وسوسيولوجية، الإسكندرية، المكتبة الجامعية الإزارطية ،2000ص .156.

شرفهاعذريتها وتبقى العذرية (**البكارة**) المرادف لمفهوم الشرف، ذلك**الطابو*** الممنوع الإختراق والذي لا تكتمل المرأة إلا باختباره، بل إثباته.

2. مكانة المرأة في الأسرةالوظيفة والدور:

مكانة المرأة في المجتمع الشاوي مرهون ة بفهم الفضاء الثقافي الذي تتحرك فيه بوصفها مرسلا وحاملا لرسالة ذات مضامين ومقاصد معيارية. ومن ثم فعلاقة المرأة الشاوية بفضائها الثقافي والإجتماعي والأنثربولوجي علاقة ذات مضامين خاصة تفصح عن أصول وممارسات لا يمكن أن تتكرر في مجتمعات أخربفهي رسمت لنفسها عالما إثنوغرافيا متميزا. فرغم أنها كانت تحتل المرتبة الأخيرة في التقسيم الطبقي داخل الأسرة الواحدة التي تمنح المراتب الأولى للذكور (**الأب، الزوج ...**) إلا أنها إستطاعت أن تجد لنفسها مكانة إجتماعية ضمن العائلة والعشيرة وتجسد حكمتها وقدرتها على حمل المسؤولية. وهكذا رسمت لنفسها مكانة خاصة مكنتها الإمساك بزمام الأمور في تنظيم العائلة والأسرة بداية من الزواج.

أ. دور الزواج في تحديد مكانة المرأة:

إن المرأة التي تتزوج في تقاليد الأسرة الجزائرية عامة وبمدينة باتنة على وجه الخصوص هي الأوفر حظا للحصول على منزلة أفضل. فتنظر إليها عائلتها وجيرانهابإحترام بل تحسد من طرف قريناتها على هذا الوضع، لذلك فالمرأة العانس وصمة عار على الأسرة والمجتمع وهي عرضة لمختلف الإتهامات، ويصطلح على تسميتها بـ **"بايرة** "والمقصود بها كل فتاة تجاوزت السن المتعارف عليه اجتماعيا دون زواج، والذي خبرناه من خلال تواجدنا مع النساء ومن خلال الحديث الذي جمعنا بهم حول السن المناسب للزواج. حيث أكد ت لناالمبحوثات اللواتي أجرينا معهم المقابلة ان الفتاة التي تتجاوز 25 سنة ولم تتزوج هي بايرة .

" بكري الطفلة تتزوج صغيرة، انا مثلا تزوجت في عمري14 سنة ، لكن اليوم الطفلة الي تقراه (تدراس) ولات تفوت 25 عام، ماتتزوج حتان تكمل قرايتها

*- **الطابو**: هو كل ممنوع ومحرم اجتماعي يعتبره الافراد عيب، عار، حشومه وغالبا يرتبط بالجنس

لكن السنوات الأخيرة العايلات رجعوا يزوجوا بناتهم صغار. الطفلة ما تتعداش 20 سنة والي تفوتتها (تتجاوز)تعتبر حسبهم **بايرة***"(المبحوثة رقم:01)

حيث صرحت لنا المبحوثات أن السن يلعب دورا هاما في تزويج البنت من جهة ومن جهة ثانية فان البنت إلي تكبر في السن يقل حظها في الزواج.

" ناس باتنة يحبو الزواج من الطفلة الصغيرة من بكري، واليوم رجعوا ليه أكثر. والطفلة إلي تتأخر على الزواج تولي في عينين الناس كامل تشف(منقوصة) وأقل حظ ويشوفولها على أنها **بايرة** حتى إذا كانت خدامة وقارية ... الي تفوت 25 ما تتخطبشفاتها الحال ... علا بيها ولات العايلات اليوم تزوج بناتها بكري في سن صغير لأن الوالدين يخافو على بناتهم من البورة(بايرة) يعني اليوم تتزوج البنت صغيرة والى حبت تكمل قرايتها تكملها في دار راجلها. خير ما تكمل عمرها كامل وهي في القراية حاتان تتفر فيها وتبور. وماتتزوجش"(مقابلة رقم: 03)

حسب مجتمع البحث الذي أنا جزء منه فإن العائلة تسرعلى إختيارالزوجة المناسبة لإبنها بناء على عدة إعتبارات وأهمها السنالذي يشكل قيمة رمزية في الإختيار للزواج، وعليه فإن المرأة التي تعدى سنها 25 سنة حسب المفهوم الإجتماعي لمجتمع البحث هي منقوصة من دون مكانة، وعليه تحرص العائلة على تزويج البنت في سن صغير، والبحث لها عن فرصة زواج من المعارف والاقارب في كل مناسبة واحتفال، كما تلجأ النساء من الأمهات والجدات إلى الإحتكام لعدة طقوس طلبا للزوج أو ما يتعارف عليه المجتمع المحلي" **بالفال**" لجلب الزوجللبنت . فتقوم الأم بإعداد ما يسمى **"قرصة شالة"** *والتي توارثها المجتمع المحلي جيل بعد جيل وما تزال البنات في بعض المناطق من مدينة باتنة التي زرناها يقمن بها لما تتضمنه من مضامين قصدية معلنة وخفية لجلب الزوج الذي ترغب فيه أو لفك العنوسة وتسهيل الزواج.

---

*- **البايرة**:لفظة تقال على المرأة التي كبرت في السن ولم تتزوج حسب مجتمع البحث.

*قرصة شالة: عبارة عن سميد(دقيق) مضاف اليه الملح. حيث يؤخذ كميتين متساويتين من الدقيق والملح ويعجن بالماء حتى تصبح عجينة، ثم يشكل من العجينة سبعة قطع صغيرة (قرصة) وتطهى في النار (طاجين) ثم تؤكل قبل النوم بنية رؤية زوج المستقبل، شرط ان لا تشرب البنت الماء بعد اكل القطع السبعة(07) لأنها سوف ترى في المنام البيت الذي ستشرب فيه الماء باعتباره بيت زوج المستقبل.

على اعتبار أن الزواج يمنح للمرأة مكانة. فالمرأة العازبة أو كما يسميها المجتمع (**العزرية**)والتي اشارت اليها الباحثة M .Gaudry المجتمع المحلي يعتبرها مهمشة. وعليه تزويج البنت ضرورة لتحقيق المكانة والصيانة.حيث بينت لنا المقابلات مع النساء أن المجتمع يحترم المرأة المتزوجة ولاتهمه مكانتها العلمية وإنما المرأة بدون زوج ينظر لها بعين النقص. وذلك ما خلصنا له من خلال المقابلات التي أجريناها سواء الفردية أو الجماعية. ومن حديثنا الجانبي في بعض الأحيان في حفلات الزواج. حيث تبين لنا أن مكانة المرأة الأسرية والإجتماعية والمهنية مبنية على الزواج الذي يعطيها المكانة حسبهم:

"أنا مثلا رغم مكانتي العلمية و إمتلاكي لكل ضروريات الحياة (مسكن عمل سيارة) إلا أنني أقل مكانة من إخوتي البنات، لأنهم تزوجوا قبل إتمام دراستهم وأناأكملت دراستي، كانو ديما يقولولي تزوجي خير ليك، ويشوفوا ليأني ناقصة بلا زواج، لانهم يعتبرون الراجل هو رأس المال. حتان رجع عمري 34 تخطبت بعدما تخطبتتغير التعامل معي وحتى نظرة المحيطين ليتغيرت سواء من طرف العائلة او الزملاء في العمل والجيران ، أصبحت القب ب **"مدام وما يتبعها من احترام**."(مقابلة رقم: 05)

وعليه فمعاييروقيم المجتمع بمدينة باتنة باقية وتتضح في مواقف وفي سلوكيات الفاعلين الإجتماعيين التي تمنح المكانة للمرأة المتزوجة.وكما أن مكانة المرأة تختلف أيضا تبعا ل قيمة المهر ونسب الزوج وعائلته وكذى مكانته الإجتماعية ...الخ. حيث أن المهر يحدد قيمة العروسومكانتها فتعمد الأسر إلى التفاخروالتباهي بقيمة المهر المدفوع وحتى الهدايا. وذلك ما يجعل العروس تشعر بالفخر والجاذبية بين قريناتها خاصة من تزوجن معها في نفس العام، فهي تشعر وكأنها توجت ملكة بذلك المهر والهداياومن جهة فإن الزوج المرموق المكانة والذي من عائلة ذات حسب ونسب يشعرها بالفخرويجعلها محط أنظار قريباتهاخاصة إذا تزوجت في سن كبيرة. أي بعد أن يتأخر سن زواجها ويتقدم لها زوج ميسور الحال فإن الأهل يعتبرونها أكثر شأن وأوفر حظ ، وتضرب الأمثال في شأن البنت التي تزوجت في سن كبيرة **(الطفلة إذا بارت على زين الرجال دارت)** بمعنى ان البنت التي كبرت في السن سيأتيها زوج مرموق المكانة والمركز. وفي هذا دلالة على أن المرأة تأخذ مكانتها من سمعة زوجها، وأنها دائما تابعة لذاك

الذكر الذي يمنحها السلطة والاحترام داخل مجتمع ذكوري لا يعترف بالمرأة إلا إذا أضيفت لذلك الذكر سواء كان "زوج، أخ، ابن ....".

ب. دور الإنجاب في تحديد مكانة المرأة:

ان ثنائية الحياة الأسرية هي المرأة والرجلهذين الشوقين همـا ركيـزةالعلاقة العائلية،إن لم نقل أنها المرأة. فهي بمثابة المادة الأولية للتـاريخ،ونصفالنوع البشري الذي يتألف منه هذا الأخير ، هذه المكانة التي يعززها الإنجاب في الجزائر وفي كل المجتمعات العربية ، ويبقى وضع المرأة داخل هذا النظام هامشياولبسبإمكانهاإحراز مكانة معتبرة إلاإذا قامت بدورها البيولوجي، والمتمثل في الإنجابوإنجاب الذكر بالدرجة الأولى. وهو المبدأالأساسي الذي نشأت عليه الفتاة ، والذييؤهلها إلىإعادةإنتاج نفس الموروث الثقافي. حيث أن قيمة المرأة كزوجة أو كزوجـة إبـن يكمـن بالأخص في إنجـاب الأولاد والـذكور خاصة، فهي وبعد زواجها مباشرة تنصب إتجاهات وإهتمامات كل العائلة نحوهامنتظرين اليوم الذ يتثبت فيه أنها غيرعاقروأنها قادرة على وضع الطفل(الذكر) الـذي سيحافظ علـى اسـتمرار العائلة ويحمل إسمها. لذلك فإن المرأة العاقرغير مرغوب فيهـا ولا تتمتـع بأيـة مكانـة في الوسط العائلي. حيث يلجأ الزوج إلى إتخاذ زوجة ثانية تضمن له الإنجاب و إستمرار النسل. وغالبا ما يكون مصيرها الطلاق لتعوض بامرأة أخرى قادرة على الإنجاب كما أن المرأة التي تنجب الإناث فقط تكون أقل شأنا و إهتماما من المرأة التي تلد الذكور، لذلك فـإن عمليـة الإنجاب وإنجاب الذكورخاصة تعتبر أحد العوامل الرئيسية التي من خلالها يتم ضمان مكانة المرأة وترسيخها في الأسرة. ومن خلال المقابلات التي أجريناها أكدت لنا النسوة أن الإنجاب مهم وخاصة إنجاب الذكور:

"المراه بلا طفل كي الشجرة بلا ظل "

"ا الطفل عمارة الدار ..."

" دار لبنات ما عمرت ما خلات"

ينظر المجتمع إلى المرأة من دون أبناء بالنقص وكأنها هي المسئولة عن الإنجاب في حين يستثنى الرجل من تحمل المسؤولية. فرغم أن الرجل شريك في تحمل مسؤولية الإنجابإلا أن المرأة تحمل عبئ هذا

القصور نفسيا وإجتماعيا. حيث توجه كل الإتهامات والنعوت نحوها بقولهم (**عاقر**) ومع جهلهم للمسئول الأول إلا أنها تبقى هي المتهم الرئيسي. وعليه فرحلة البحث عن الإنجاب بدايتها البحث في إستصلاح هذه الأرض البور(**المرأة**) إما بالعلاجات التقليدية التي غالبا ما تكون الوجهة الأولى إلى جانب العلاج الطبي والروحي، ويكون الرجل المحطة الأخير التي تقضي بإشراكه في العملية التطبيبية من أجل الإنجاب. هذا الإقصاء لدور الرجل في عملية الإنجاب وتأخير إدماجه في العلاج ضمن كل المراحل يدل على ذكورية المجتمع الشاوي بإعتبار المرأة المنقوص والمتهم والمهيمن عليه. وعليه فالعائلتان (الوالدين) تصران على الإنجاب وتحريه بشتى السبل والممارسات لما يمنحه من مكانة في حفظ العائلة.

ج. دور الأسرة في تحديد مكانة المرأة:

تلعب الأسرة الدور الحاسم في عملية التنشئة الإجتماعية للأفراد، والتي بفضلها يتعلم الفرد كيف يتكيف مع ثقافته، وقبل ذلك فهي تقوم بإشباع مختلف حاجاته البيولوجية وتدريبه على أنماط السلوك المختلفة التي تساعده على التكيف ، ومن خلالها يكتسب الفرد التمثلات الإجتماعية. فهي"الاسرة" تقوم بدور الضابط الإجتماعي بما تغرسه في نفوسهم من إمتثال لقواعد الضبط المجتمعي، والذي يظهر من خلال طاعة الأولياء.[1] وتقوم الأم بالدور الفعال والأساسي في هذه العملية غير أن أهم ما يميز هذه التنشئة في العائلة الجزائرية أنها في محتواها تمييزية لصالح الذكور على حساب الإناث، والأكثر من ذلك أن المرأة تجسد هذه الفكرة رغم أنها ضحية هذا النظام التمييزي، فالأنثى منذ ولادتها وهي أقل درجة ومكانة مقارنة بالذكر. فهي تولد بعيدة عن الفرح والإحتفال مقارنة بالذكر وحسب "**فرانز فانون** "Franz Fanon يحظى الذكر بمزيد من الحماسة ع ن ولادة الأنثى . فالأب يرى في الإبن(**الذكر**) الرفيق في الأعمال والخليفة على الأرض والعائلة بعد موته، بالإضافة إلى أنه الوصي على الأم والأخوات، ليس هذا فحسبل أن البنت تحظى بتربية مختلفة عن تلك التي يحظبها أخوها الذكر.فالتنشئة مرتكزة على تكريس مفهوم تفوق الذكر عليها في مختلف المناسبات التي تقتضيها المراحل الأساسية لدورة الحياة من **(الميلاد قص**

1- بعلي محمد، رهانات الأسرة في تكوين نمط الممارسة الاتصالية الجيدة والصورة الاتصالية،العدد3-4 جامعة وهران، فبراير، 2013،ص381

الشعر لأول مرة، وحفل الختان ، تصفاح ... .الخ). وعليهفالبنت تهيأ منذ ولادتها ومن خلال التنشئة الأسرية لأن تقوم بوظيفة قانونية وإجتماعية هي الزواج، والذي لا يمثل في الحقيقة إلا عملية مرور من خضوع إلى خضوع آخر، فالشكل يتغير بينما الهيمنةتستمر . فالمرأة بعد زواجها تبقى غريبة عن عائلة زوجها فهي لا تطمع أن ترث من ملك أشخاص هي غريبة عنهم، إلا أنه بإمكانها أن تحظى بأهمية بالغة بعد الإنجاب وبالأخص إذا أنجبت الذكور.

تلعب المرأة (الأم) دورا هاما في التنشئة الإجتماعية داخل الأسرة حيث تعتبر بمثابة الحارس للقيم و التقاليد الإجتماعية ، و يتمثل دورها في عملية الإستنساخ الثقافي، حيث أن أول ما تقوم به هو فصل الذكورعن الإناث أين يحظى الذكر بأهمية بالغة مقارنة بالأنثى، وفي الوقت الذي تتم فيه التنشئة الإجتماعية تعمل البنت على إستدماج نظام الذكورة والأنوثة. وفقا للمعايير التي يحددها المجتمع حيث تصبح بمثابة القواعد والقوانين التي تحكم سلوك ها وتوجه حياتهاالمثقلة بالعادات والطقوس والممارسات والقيم الاجتماعية المتمثلة في:

- **العادات**: قاعدة السلوك الاجتماعي وتعد جزء هام وفعال في دستور الأمة وتشمل كل المعتقدات الأزياء، الأكل، اللغة، ... الخ.
- **العرف**:الأفكار والآراء والمعتقدات التي تنشا عليها الجماعة وتمثل مقدسات ومحرمات تعكس السلوك والضمير الجمعي.
- **التقاليد**: قواعد السلوك التي تنشأ عن الإتفاق الجمعي وتستمد قوتها من المجتمع يتناقلها الخلف عن السلف جيلاً بعد جيل.
- **القيم**: المعلومات والأفكار التيإتفقت عليها غالبية أفراد المجتمع أوالأسرة وتلقى قبول و إحترام لديهم وهم يحرصون على إستمرارها وبقائها.

3. المرأة الشاوية بين الماضي والحاضر:

لقد تباينت النظرة للمرأة في الجزائر وكل المجتمعات العربية والعالمية لعدة إعتبارات ولإختلاف المواقف الفكرية، إذأن موضوع المرأة يفضي بنا مباشرة إلى التصورات والتمثلات والمعتقدات والقيم

الواعيةواللاواعية منها في النظرة إلى هذا المخلوق وهذا الجسد، المتباين ما بين ممجد لمكانتها داخل الأسرة وفي الحياة الإجتماعية التي تقرها الأساطير والحاكيات والمأثورات الشعبية. وما بين معترف بعلو مكانتها (**الجازية الهلالية**) وفي تودد الجارية في قصة (**ألف ليلة وليلة**) وفي شجاعة (**الكاهنة**) وما بين المرأة التي لا بد من سترها حتى تصان (الزواج). و أن قيمة المرأة تلحق بالرجل وتابعة له سواء كانت أختأو ابنة أو زوجة. وعليه تقع مسؤولية صونها والحرص عل عفتها .هذه الهيمنة التي تولد التزام بقيم ومعايير مجتمعية تحفظ مكانتها وتعلي قدرها ومن جهة تحصنها من خطرالرجل.

تتقاسم المجتمعات العربية نفس النظرة للجنسين **"الذكر/الأنثى** " وتجعل من الرجل المركز والمهيمن مع تباينها من مجتمع إلىآخر . وحسب **"بورديو** "P.Bourdieuيعتبر القبائلي مثالا حيا للهيمنة الذكورية وخاصية متجذرة في لاوعي أفراده. فالهيمنة الذكورية حسبه تتجسد في شكلها الأقصى داخل البنيات الإجتماعية. ويرسمالتصنيفالمجنسمكانة ومركز تسمح بسيطرة الذكر، و بخضوع الأنثى لنوع من الترويض الإجتماعي. ويكسبه في مقابل ذلك قوة وسيطرة وهوية جنسانية. فالمرأة تشكل التابع الذي يتحكم فيه بشتى الوسائل، يجعلها ترسم لها حدود تابعة لجنس الذكر "أب، أخ، زوج، عم، خال جد" وعُدْت تابعة بلعتبارها (إبنة فلان، زوجة فلان، أخت فلان،...) فهي بلاإسم ولا هوية إلا من خلال الرجل، ولم تخلق إلا من أجله حسب الثقافة الفحولية. فلا تكتمل صياغة الجنس المؤنث وتمثيله ثقافيا إلا من خلال إضافتهإلى الذكورة.[1] فالثقافة العربية تضع إطار خاصا بتربية الفتا ة"الأنثى" . وفقالعادات والتقاليد التي تعزز هذه النظرة للمرأةالتي تقرها العادات والتقاليد ويقدسهاالناس وتدعمها المشاعر القوية. و أن فحوى الخطاب المهيمن ومادته وتمثلاته تتبنى الهيمنة الذكورية وتعيد إنتاجها. لكن اليوم ونظرًا للتحضر والتقدم والحداثة تغيّرت مكانة المرأة بفعل تعلمها وخروجها للعمل ،والذيأكسبها مكانةجديدةوأصبحت تحظى بحضور أكثر من ذي قبلأ عطاها مساحة أوسع داخل الأسرة والمجتمع.فمن خلال المعاينة الميدانية والمعايشة لمجتمع البحث تبين لنا إسهام المرأة الكبير والواسع في المجتمع وفي الأسرة خاصةإسهامًا يمتد

1عبد الله محمد الغذامي، ثقافة الوهم «مقاربة حول المرأة والجسد واللغة"، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء1988، ص75.

من الإختيار في الزواج وإقامة العلاقات إلى الحفاظ على الموروث الثقافي والحرص على ممارسته في كل إحتفال زواج وعلى نقله للأجيالوترسيخها عبر أساليب التنشئة الإجتماعية بإعتبارها أساسية في دورة حياة أفرادها. وأن حرصالمرأة عليها لا يعني حفظها في الذاكرة الجمعية وإنما يتطلب تداولها والتفاعل معها في الواقع من خلال إستحضارها. وبهذا تسهر المرأة الشاوية على حفظ هذه العادات والطقوس ونقلهاللأجيال والمحافظة عليها وصونها من التبدد والنسيان. وهذا الدور يأتي من قيمتها كفرد مهم في بناء الأسرة وإستمرارها لما لها من دورومكانةب إعتبارها صانعة الوعي الإجتماعي من خلال ممارساتها الطقوسية. "غناء، لباس وليمة، رقص، تصفاح ... " المستمدة من ذاكرة الجماعة الغنيةبدلالاتها ورمزيتهاالتي لا تحكمها مبررات فردية.إنها من الناحية الأنثروبولوجيةطقوستتأسس على حيلواعية بغية حفظ الشرف وصون عفة النساء.

فالمرأة تسعى من هذا السلوك الإجتماعيإلى استثمار الموروث الثقافيلإن العذرية شرف رمزي وثقافي وان طبيعة التكوين التربوي والإجتماعي للأنثى في مجتمع البحث يوضح أن التنشئة الإجتماعية للأنثى (المرأة) تسير وفق نموذج إجتماعي وثقافي محدد مسبقا. يستمد مضامينه من العادات والتقاليد والمعتقدات الشعبية والدينية والقيم المجتمعية.وعليه مكانة المرأة تتغير من مجتمع الى آخر عبر الزمان والمكان ومع تغير الأنظمة والبنى الإجتماعية والثقافية، حيث تتباين مكانتها وتتعدد أدوارها وممارساتها داخل الأسرة والمجتمع. وان هذا التتطورأثر علىممارساتها الطقوسية مما فرض عليها الإمتثال لقوانين التقدم والحداثة، حيث إختفت العديد من العادات والتقاليد التي ورثتها المرأة جيلاًعن جيل. وذلك الذي وقفنا عليه من خلال تواجدنا في المناسبات الإحتفالية التي حضرناها طيلة البحث الميدانيبالإضافة الى مظاهر التغير السوسيو-ثقافي الذي مس بعض من عادات وطقوس الزواج من جهة والممارسات الطقوسية للمرأة الشاوية من جهة أخرى خاصة ما تعلق بممارستها لطقس(التصفاح) محور عملية الزواج .فبعدما كانت النساء تحرصن على هذا الطقسالذي تخضع له البنت(**الأنثى**) في سن مبكرة، أي قبل سن البلوغكآلية من

آليات الحافظ على العذرية والتأهيل للزواج مستقبلا. لم يبقى من ممارستها إلا (**فتح التصفاح**)*.في حين عزفت المرأة الشاويةعن ممارسة طقس (**الغلق**)* على البنت قبل البلوغ. و أن هذا الإبقاء هيمنة تبحث على شرعية وعن بث الوعي والإعتقاد بش رعيتها في تسيير الحياة الإجتماعية. كما تساهم في تحديد أهداف ودوافع الفعل الفردي وكذا الإجتماعي المستمد من مفهوم اللاشعور الجمعي. كالمحافظة على الشرف والأخلاق وإعلاء للمكانة وتأكيد للفحولة.

إن المرأة لها دور في تكوين الأسرة بما تحمله من قيم وعادات وتقاليد وما تتعرض له من ضبط إجتماعي، فضلاً عن تبيان دورها في المجتمع، إذ تمثل إحدى الدعامات الأساسية التي لا يمكن التخّلي عنها لبناء أيّ مجتمع. ولا يمكن إنكار أهمية المرأة في المجتمعات البشرية أياً كانت وأينما تواجدت ليس كنصف المجتمع بلكشريك حقيقي مساهم في بناء وإغناء التجربة الإنسانية. كما أنّها ناقل للعادات والتقاليد والقيم الاجتماعية والثقافية التي تحملها في وجدانها وتنقلها للأجيال اللاحقة بكل مضامينها الثقافية والإقتصادية والإجتماعية والجمالية ، تلك العادات والأنماط الإجتماعية تتغير وقد يكون للمرأة دور في تغيرها، وأنّ هذه العوامل مجتمعة تتفاوت وتتفاعل وينتج عنها أفكار واتجاهات وعادات وقيم وممارسات جديدةإنعكست وتنعكس بدورها على ممارسات المرأة الطقوسية في الزواج.

* نعود لها في فصل الممارسات الطقوسية بالشرح المفصل (اليات ضبط الجنسانسة).

* نعود لها في فصل الممارسات الطقوسية. بنوع من الشرح المفصل (اليات ضبط الجنسانسة).

المبحث الثاني:

التحولات السوسيو-ثقافية

والبناء الإجتماعي

أولا: التحولات السوسيو-ثقافية للمجتمع الجزائري:

يعدالتغير الإجتماعي ظاهرة عامة وسمة مميزة للمجتمعات الإنسانية، تخضع لها جميع مظاهر الكون وشؤون الحياة المختلفة. وعليه فالتغير الإجتماعي من السمات التي عرفتها المجتمعات الإنسانية منذ نشأتها حتى عصرنا هذا، حتى أصبح من القوانين المرتبطة بعضوية المجتمع اللازم لبقاء النوع الإنساني. ففكرة التغير الإجتماعي قديمة قدم الفكرالإنسانيحيث ترجع جذورهإلى الصراع حول مس ألة الثبات والتغير[1]فظاهرة التغير أوضح ما تكون في كل مناحي الحياة الإجتماعية. وهذا ما أدى ببعض المفكرين إلى القول أنه ليسهناك مجتمعات ولكن الموجود تفاعلات وعمليات إجتماعية في تغير دائم وتفاعل مستمر.

إن التغير الاجتماعي هو أي تعديلات كمية وكيفية على المجتمع ومؤسساته وقيمه ومعـاييره وعاداتـهوتقاليده وأنماط السلوك فيه. بمعنى أخر هو التحول الذي يطرأ على البناء الإجتماعي خـلالفترة زمنية بل هناك تمييز بين تغير وآخر. بحيث لا يمكن أن نطلق كلمة تغيرات إجتماعية علـكل التغيرات التي تحدث في المجتمع. فحسب "جينزبيرج " Gins burg التغير الإجتماعيهو كل ما يطرأ على البناء الإجتماعي في الكل والجزء والنمط الإجتماعي.فحسب عاطف غيـثالتغيرات الإجتماعية تكون في القيم ،وفي النظـام الاجتمـاعي ومراكز الأشخاص. وعليه فـإن التغير الإجتماعي هو كل ما يطرأ على البنـاء الاجتمـاعي فـيالوظائف والقيم والأدوارالإجتماعيةخلال مدة محددة من الزمن. [2]ولقد شهد المجتمع الجزائري تغيرات في بنيته الثقافية والإجتماعية. والتي أثرت على الأسرةاللبنة الأولى في بناء المجتمع . فشملت عادات وطقوس الزواج وكل الممارسات الطقوسية التي تحرص عليها بين الموروث الثقافي والحداثة.

1. مفهوم التغير الإجتماعي:

1- الفاروق زكي، الخدمة الاجتماعية والتغير الاجتماعي، عالم الكتب القاهرة1970، ص233.

2حمود عودة،أساليب الاتصال والتغير الاجتماعي، ذات السلاسل للطباعةوالنشر، ط2، 1989، ص146.

-**مفهوم التغير إصطلاحا:** يعني التغير من وضعية إلى وضعية أخرى دون مراعاة الوقت.[1] وهو يعني كل تحول يطرأ على البناء الإجتماعي خلال فترة من الزمن، محدثا بذلك تغير في الوظائف والأدوار والقيم والعادات والأعراف، وأنماط العلاقات السائدة في المجتمع، وأن التاريخ الإجتماعي يعكس في معظمه درجات كبيرة من الثبات والإستقرار الاجتماعي. ويقتضي تغير في العلاقات الإجتماعية نتيجة للتغير في الأوضاع الاقتصادي.[2]ويشمل كل تغير يقع في التركيب السكاني للمجتمع أو في بنائه الطبقي ونظمه الإجتماعية أو في أنماط العلاقات، أو في القيم والمعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد والتي تحدد مكانتهم وأدوارهم في مختلف التنظيمات الإجتماعية التي ينتمون إليها.[3]

- **التغير الاجتماعي**:changement sociale هو كل تغير في النظم والأنساقالاجتماعية سواء كان ذلك فيالبناءأوالوظيفة خلال فترة زمنية محدودة.[4]ومادام التغير مرتبط بالأبعاد الإنسانية فإنه حتما يتأثربها ويؤثر فيها من خلال عدة عوامل متداخلة فيما بينها. وبناء على ذلك تتعدد وتختلف تحديدات مفهوم التغير الاجتماعي باختلاف مقاربات التعريف . ومن بين التعريفات المحددة للتغير الإجتماعي انه كل وضعية مستحدثة لم تكن موجودة ، بحيث أن هذه الوضعية إستحدثت بفعل عوامل مختلفة (اقتصادية،سياسية ودينية...الخ)، وذلك الذي ذهب إليه " **أحمد الزعبي"** أن التغير الإجتماعي ظاهرة عيانيةتلاحظ في كل مستويات الوجود سواء المادة الحية (**او/و**) غير الحية وتشمل الحياة الإجتماعية.[5]

- ويذهب **"جنز برج "** M. Gunz burg إلىأن التغير الاجتماعي هو كل تغير يطرأ على البناء الإجتماعي في الكل والجزءوفي شكل النظام الإجتماعي. ولهذا فـإن الأفراد يمارسون أدوارًا مختلفة عن تلك التي كانوا يمارسونها خلال حقبة من الزمن. أي أنه يجب أن ننظر إلى المجتمع من خلال لحظة معينة

1 Raymond Boudon et antre : dictionnaire de sociologie, Larousse édition, paris, 2005, p26.

2- حسين عبد الحميد، أحمد رشوان، التغير الاجتماعي والمجتمع، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية،2008 ص233.

3 - رحالي حجيلة، التغير الاجتماعي في المجتمع الجزائري المفهوم والنموذج" العدد، 7مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعةمحمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2010،ص3.

4 - دلالمحسناستيتية،مرجع سبق ذكره ، ص19.

5 - أبو بكر منصور،من العائلية إلى التعاقدية"مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر2004. ص.19.

من الزمن. أي ملاحظة الإختلاف والتفاعل الإجتماعي الذي حدث فيه.[1]ومنه فالتغير الإجتماعي هو كل تحول يحدث في النظم والأنساق والأجهزة الإجتماعية خلال فترة زمنية محددة. وذلك ما عايشناه طيلة تواجدنا في إحتفالات الزواج التي أقيمت بمدينة باتنة وقراها.فلقد لاحظنا أن مكان إقامة العرس تغير من الفضاء العائلي (**المنزل**) والأسرى إلى الفضاء العصري (**قاعة الحفلات**) وغيرها من التغيرات المادية واللامادية التي صاحبت حفلات الزواج، حيث بدت واضحة في الممارسات الطقوسية للمرأة الشاوية بمجتمع البحث (باتنة) بفعل التغيرات السوسيو-ثقافية.وأن هذا التغير المعاش لا يعني قطع الصلة بما كان سائدًا من قبل .إنماهو مظهر من مظاهر الحياة. إذ أن المجتمعات لا تبقى على حالةواحدة. حسب ابن خلدون(**إن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر ...إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال.**[2]فلابد لكل مجتمع أن ينتقل من مرحلة الى أخرى. وقد يكون التغيرجزئياأوكليا.[3] مما يعني التغير (**و/أو**) الثبات للإرث الثقافي الذي تحمله الذاكرة الجماعية للمرأة الشاوية،وممارساتها الطقوسية وتفاعلها مع العادات والطقوس و إستمراريتها.وهذا ما يرمي إليه "**هيرقليطس**" في قوله (**انه من المستحيل ان ينزل المرء النهر مرتين ويجد نفس التيار المائي الذي نزل فيه المرة الأولى يجري فيه في المرة الثانية**).فهو يرى بأن التغير هو بمثابة قانون الوجود على عكس الإستقرار الذي يعتبره بأنه موت وعدم وبالتالي فالتغير ظاهرة كونية تمس كل مستويات الوجود.[4]

1 - حسن عبد الحميد احمد رشوان، مرجع سبق ذكره، ص31.

2 - محمود عبد الفضيل، التشكيلات الاجتماعية والتكوينات الطبقية في الوطن العربي،مراز الدراسات العربية، بيروت، 2001،ص ص .62-59.

3 - ابراهيم عبد الحافظ، الفنون الادبية الشعبية، دراسات في ديناميكيات التغير ط1، مطبعة العمرانية القاهر، 2004، ص41.

4- كرام هارون الأسرة النووية والبعد الاجتماعي لتواصلها القرابي في الوسط الحضري، رسالة لنيل شهادة الماجستير فيعلم الاجتماعي الحضري كلية العلوم الإنسانية الاجتماعية، جامعة الجزائر،2007،ص65

2. التغير الاجتماعي وبعض المفاهيم المقاربة وهي:

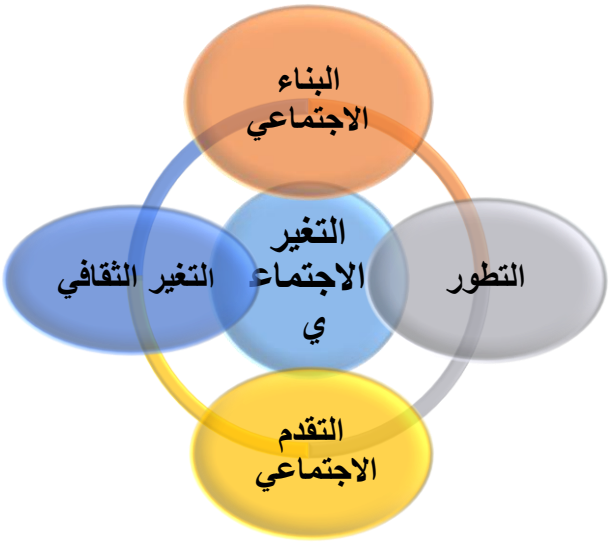

خطط رقم (01): التغير الاجتماعي وبعض المفاهيم

أ. **التغير الإجتماعي والتطور**: نقصد به التحول والتعديل في العلاقاتالإجتماعيةوفي البناء الإجتماعي بدون تحديد إتجاه هذا التحول . إنه عملية تطورية أو تغيرمستمر يتجه من التجانس أو التماثل في التركيب والوظائف إلى اللاتجانس. وهذا يظهر بصورة واضحة عند الإنتقال من مجتمعات بسيطة إلى مجتمعات مركبة ومعقدة.وهو يقوم على أساس العلاقة بين عامل الزمن ونشأة الأشياء وتنوعها وإختلافها وهذا يعني أن الأكثر تطورًا لابد أن يظهر متأخرًا عن الأقل تطورًا نتيجة للتغيرات التي تطرأ عليه[1]

ب. **التغير الإجتماعي والتقدم الإجتماعي**: التقدم مفهوم ثاني جوهري مرتبط بالتغير ومرادفا له وهو يشير إلى الصيرورة المباشرة ذات الاتجاهالإجتماعي، ويشير إلى عملية مستمرةينتقل المجتمع

1 - عادل عبد المحسن شكارة، نظريةهوبهارس في التنمية الاجتماعية، مطبعة دار السلام،1985، ص.72.

بمقتضاها من حالة إلى حالة أفضل أو يسير في إتجاه مرغوب فيـه، أيأن المجتمع لا يعتمد في هذا التقدم على مقياس لقياسها موضوعيًا . وهنا يصير المجـالمفتوحًا للاعتبارات الذاتية، أضف إلى ذلك أن هذا المفهوم يقوم عند أغلـب المفكـرينعلى إيمان عميق بقدرة الإنسان على التدخل الإرادي لتوجيه العمليـات الاجتماعيـةالموجهة التي تحقق الرفاهية للمجتمع.[1]ومن هنا فأن التغير أوسع من التقدم.

ج. **التغيرالإجتماعي والبناء الإجتماعي**: يحدث التغير في البناء الإجتماعي وله صلة بالإنسان في أي مجتمع ويرتبط به. فقد أشار كثير من علماء الإجتماع والأنثروبولوجيـا إلـى العلاقـة القائمة بين البناء الإجتماعي والتغير بين الأجزاء المكونة للكل. وعلى هـذا الأسـاس عـرف البناء الإجتماعي ب أنه شبكة العلاقات الإجتماعية الفعلية التي تقوم بين الأشخاص في المجتمـع وما يصاحب هذه العلاقات من تغير في سلوكه وقيمته. ويرى **راد كليف بروان** R.Brownأن البناء الإجتماعي يجـب أن يتـضمن جميـعالعلاقات الإجتماعية ما بين الأفراد ،إذ أن البناء الإجتماعي في أي مجتمع يتكـون مـن تلك العلاقات الديناميكية كعلاقة الأب مع الابن، أما**"ايفا نز برتـشارد"** EvensPritchardفيـرى أن البنـاء الإجتماعي هو مجموعة العلاقات التي تقوم بين الجماعات التي تتمتع بدرجة عالية من القـدرة على البقاء والإستمرار في الزمن ومواكبة التغيرات البيئية لمدة طويلة.[2]وأن عملية التغير ضرورية لأي مجتمع قائموالتي تختلف في أشـكال تغيرهـا.[3]وحسب **"ديفيز"**Divisهي مجموعة الاختلافات التي تحدث داخل التنظيم الاجتماعي، والتي تظهر في كل البناءات والنظم التي تحدث في المجتمع.[4]ويعتبرالعالم W. Ogburnاول من تطرق الى مفهوم التغير الاجتماعي منذ سنة 1922 كمفهوم عام وأشمل.

د. **التغير الإجتماعي والثقافي:** يوجد خلط بين التغير الاجتماعي والتغيـر الثقافي ، حيث لا يميز بعض النظريات بين المفهومين، وربما يرجع ذلك إلى الارتبـاط بـين مفهـومي " الثقافة والمجتمع " بوصفهما من المفاهيم الأساسية في الدراسات الاجتماعيـة.وعلـى الرغم من ذلك لا يوجد فرق بينهما ، إذ

1 - محمد الدقس، التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، دار المجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان الاردن،1982، ص21.

2- محمد الدقس نفس المرجع، ص195،180.

3 - إحسان محمد الحسن مرجع سبق ذكره ، ص274.

4- حسن عبد الحميد لحمد رشوان، مرجع سبق ذكره، ص14.

يشير "التغير الإجتماعي" إلى التحول في أشكالالتفاعلا ت الإجتماعية والإتصالات الشخصية، في حين أن"التغير الثقافي" يشير إلىالتغير في أنساق وأفكار متنوعة من المعتقدات والقيم والمعايير.هذا يعني أن التغير الثقافي يضم التغير الإجتماعي،وهو يحدث في التنظيم الإجتماعي.أي في بناء المجتمع ووظائفه وهنا يصير جزءاً من التغير الثقافيالذي يشمل جميع المتغيرات التي تحدث في أي فرع من الثقافة كالفن والعلم والتكنولوجيا. وعلى هذا يكون "التغير الاجتماعي من نتائج التغيرالثقافي. [1] ويرتبط به في كثير من الأحيان بجملة من التحولات التي تحدث في أنماط مختلفة من أنماط الحياة الإنسانية.

3. عوامل التغير الإجتماعي:

قد تختلف نظرة كل أمة للحياة عن نظرة غيرها من الأمم، ولهذا كانت قيم الحياة تختلف من مجتمع للآخر. ولما كانت القيم تتولد عن ثقافة المجتمع ونظرة أفراده لطبيعة الحياة التي يعيشونها. فلقد عدت عاملا من عوامل التغير الإجتماعي .بالإضافة إلى الإنتشار الثقافي وتقدموسائل الإتصال الفكرية إلى كثير من التغيرات في نظم المجتمع وأفكار أفرادهمما ينعكس على البناء الإجتماعي .وهذا ما دفع ببعض علماء الإجتماع إلىإستعراض دور بعض العوامل فيإحداث التغير ويعد" **جينز برج** "M. Gunz burgمن بين العلماء الذين قدموا تحليلاً علمياً منظماً لأهم العوامل المفسرة للتغيرالإجتماعي وهي:

- الرغبات والقرارات الواعية للأشخاص.
- أفعال الفرد المتأثرة بالظروف المتغيرة.
- التغيرات البنائيةوالتوترات الإجتماعية والمؤثرات الخارجية، كالإتصال والغزوالثقافي رغم

ما للعوامل السابقة من أهمية في إحداث التغير الإجتماعي، إ لاأن العلماء اختلفوا في تفسيره. فلقد عزا "**كارل ماركس** " Carl Marxعواملالتغير إلى ا لمكون المادي للمجتمع لكونهالمحرك الأساسي لكلّ عملية تغير تنبثق منها تغيرات متعاقبة في بقية نواحيالمجتمع. ونسب بعض الباحثين التغير في المجتمع إلى تغير نسق القيم، كما ذهب البعض الآخرإلى جعل العامل الديني سبباً للتغير الإجتماعي. وعليه فإن هذا الأخير يتميز بالترابط والتداخل والإتساق ، فأي تغير يصيب ظاهرة إجتماعية م ا يؤدي إلى سلسلة من

1 - خيري محمد إسماعيل، الأنثروبولوجيا العامة، منشاة المعارف، الإسكندرية، 1971 ص،298.

التحولات التي تصيب الحياة الإجتماعية والإقتصادية، والسياسيةوالثقافية بدرجاتمتباينة.وان أي تغير يمس مثلا نسق القرابة أو العائلة فهو يؤثر على نمط الزواج ومظاهره،وأي تغيراتإجتماعية وإقتصادية فهي تؤثر في عادات وطقوسالزواج. و أن هذه التغيرات لا تحدث صدفة بل هي نتاج لعدة عوامل أدت إلى بروزهاوهيتعتبر كمؤشر للتغيرالناتج عن هذه العوامل ، وغيرها من مظاهر التغير الإجتماعي والثقافي. حيث ومن خلال المقابلات الميدانية التي جمعتنا بالمبحوثين وجدنا أن الأغلبية تحدثوا عن مفهوم التغيرعن معرفة ودراية. كما عرج الكثير منهم على مختلف العوامل المسببة لتغير المجتمع عامة، ومجتمع البحث بالخصوص، سواء بكلام عفوي أو كلام قصدي. وكلهمتقريبا يعتقدون أن العامل الإقتصادي والتكنولوجيهو أساس التغيرسواء كان إجتماعي أو إقتصادي آو ثقافي وغيرها منمظاهر التغير.وذلك ما أكدته لنا النساء اللواتي قابلن هم ،حيث صرح وا لنا أثناء مقابلتهم بـالمناسبات الإحتفالية بالزواج في منطقة كيمل عرش السراحنة(باتنة).

" رغم أنى احمل شهادة الليسانس آداب، وانا اليوم معلمة لكنعرسي من الأول الى الاخر تشرف عليه امي وخالاتي واخواتي البنات، وان الجهاز تشاورنا في شراءه والباقيتعاونت أنا وعمتي الخياطة في تحضيره، من الكروشيه والطرز ...أما بالنسبة للتصديرة في عرشنا(السراحنة) ما نصدروش. لكن انا عاندت عروسة عمي(دزيرية) ودرت تصديره كيفها، بصح مادرتش بزاق قنادر كيفها خيطت (ملحفة، سطايفي، كوكتيل) لان امي اصرت على أن تكون التصديرة تقليدية ومصنوعة في الدار، برك شريت القفطان والساري." (مقابلة رقم 10)

أماالإخباريين الذين استعنت بهم في قرى مدينة باتنة "تكوت، كيمل، أريس"هم من طلبتي الذين درستهم بجامعة الحاج لخضر بباتنة 2017/2016، فقد هيئوا لي الفرصة لإختبار ممارسة طقس التصفاح "الربيط، الثقاف " وغيرها من الممارسات الطقوسية المرافقة لاحتفال الزواج. ولقد لاقيت صعوبة في البحث عن ممارسة التصفاح، حيث أننا لم نعثر إلا على حالة واحدة من **"آريس"**ولقد حضرنا معها ه ذه الممارسة الطقوسية،وصرحت لنا:

" انالست مقتنعة بالتصفاح رغم أنني مصفحة انا وأختي وكامل بـنات لافا مي لكنني مجبرةما عندي ما ندير لازم .في عرشنا، أنا نعتبرها سحر وشرك بالله

عليا نصفح بنتي أمي وصاتني أنا و أختي قبل ما تتوفى إذا جبنا بنات لازم عليناتصفحوهم لحمايتهم. ولماأمي توفيت لازم ندير وصايتها حتى يلوكان مانيش مقتنعة. راح نصفح بنتي.... أنا كيما خبرت راجلي أني راح نصفحهارفض لأنه تفكر واش صرالنا يوم عرسنا.قاليماتعاوديش لبنتك واش صرالك، وأنا ذرك ما خبرتوش (لم أخبره) ولوكان يعرف بلاك يطلقني، راح نخبي عليه وربي يستر بنتي في حياتها حتان تتزوج ونفرح بيها والله يرحم مميتي"(مبحوثةرقم :06)

من خلال هذه المقابلات وغيرها التي جمعتني بالممارسات والممارس عليهن، تتضح لنا عدة مؤشرات حـــول التغـير الحاصل في المجتمعوعوامله. كما يتضح لنا مؤشر مقاومة ورفضالتغيربتأثيرعدةعوامل،منها الاجتماعي والثقافيوالتعليميوالديني. والتيتعكس أبعاد مختلفة ذات دلالة ورمزية.ومن خلال معايشتنا لمجريات الإحتفال بالزوج. وحضورنا مع العائلات إحتفالاتهم سواء بالخطبة أو الزواجتبين لنا بعض منمؤشرات التماسك والتضامنوالتجانس . وأحيانا المقاومة داخل المجتمع . ومنطرف المرأةخاصة في وجه رياحالتغيروالحداثةالتي أفرزها التقدم والتغير-السوسيو ثقافي.حيث تصر المرأة على الممارسات الطقوسية المتوارثة جيلا عن جيل. وتعتبرها ارث ثقافي يعنى ويؤخذ به. وغيرها من التغيرات في الطقوس والممارسات والتي سنتطرق لها في وقت لاحق من هذا العمل.

4. مصادرالتغير الاجتماعي:

إن أول ما نفكر فيه إنما يتصل بمصادر التغير الإجتماعي فكرة الإكتشاف والإختراع ، وكل ما يتعلق بدورالتكنولوجيافي إحداث تغيرات تتعلقبعادات وطقوس الزواج. وهنا تجدر الإشارة إلى أن **(قاعة الحفلات والتلفزيون والفضائيات وشبكة المعلومات والانترنت)** ، وما أحدثته من تغيرات في عادات وطقوس الزواج بما فيها ممارسات المرأة الطقوسية المتصلة بهذا الحدث الإحتفالي، الذي يعتبر طقس عبور بحمولة قيمية وعقائدية. إلا أننا لا نستطيع أن نزعم أن التكنولوجيا هي المؤثر الوحيد في التغير الإجتماعي والثقافيوإنماهناك محددات إجتماعية وثقافية اخرى . بالمقابل ترجع مقاومة التغير أيضا إلى ظروف إجتماعية وثقافية.

5. أشكال التغير الإجتماعي:

أ. **التغيرالبطيء** :الذي يحدث بشكل بطيء جداً كما هو الحال في المجتمعات البدائيـة أو المتأخرة حضارياوتكون هذه المجتمعات في حالة جمود ، بحيث نجد التغير بطيئاً وعليه فلا يوجـدمجتمع ثابت ثباتاً مطلقاً.

ب. **التغير المتدرج**:هو تغير نتيجة لتراكمات جزئية ويكون تغيرا كميـا لا يؤثر فيالكيفية التي يعيشها المجتمع، ولكنه يؤثر في المدى البعيد في الكيفية أي فـي طريقة العيش والحياة.

ج. **التغير السريع**: يحدث بسرعة كبيرة والذي يمكن أن نلمسه أو نلاحظه بـدون جهدوهذا يختزل بعض مراحل التغير مثلما يحـدث فـي المجتمعـات الأوربية، ومن خصائصه أنه تغيرمستمر فـي المجتمعـات ويحدث بتسلسل وتتابع، وقد مرتالمجتمعات الإنسانية عبر التاريخ بمراحـل تغير مختلفة ويمكن أن نسميها مراحلالتغير الحضاري.

يختلف التغير الاجتماعي باختلاف المجتمعات مكانا وزمانا طبقـا لإخـتلاف الثقافـةالسائدة لأي مجتمع، وطبقا لإختلاف النظام السياسي والإجتماعي والثقافي. بـل وحتـى فـيالمجتمع الواحد تكون هناك مستويات في عملية التغير. وذلك لكون المجتمع يضم فئات مختلفـةمنها البدوي والريفي والحضري إضافةإلى اختلاف الثقافة بين الأفراد. وهذا يؤدي إلى تفاوتلتقبل التغير الذي يحدث داخل المجتمع ،والذي يلاحظ فيأي مجتمع بين الماضي والحاضر نتيجة للتقدم والتحضروما رافق ذلك مـن تأثير في الجوانب الإجتماعية والثقافية. التي بدورها أثرت في القيم والعـادات والتقاليـد والعلاقـات الإجتماعيةسواء أكـان هـذاالتغير ايجابياً أم سلبياً فان التغير يحدث وفقاً لقوانين وليس بصورة عشوائية.

6. مظاهرالتغير الاجتماعي في المجتمع الشاوي:

أ. مظاهرالتغير الاجتماعي:

يتغير المجتمع مهما كانت ضوابطه صارمة. فالتغير من طبيعة المجتمعات التي لا تستطيع الثبات على حالة واحدة، فهي تسعى للتغير والتبدل في جميع المجالات، وهذا لا يعني قطع الصلة بما كان سائدا من قبل، بل هو كل تغير في النظم والأنساق الاجتماعية سواء كان ذلك في البناء أو الوظيفة خلال

فترة زمنية محدودة.[1] ولعلى إنعكاس العوامل المختلفة على الحياة الإجتماعية أفرز مظاهر ونتائج على الصعيد الإجتماعي، وكانت الأسرةأهم وحدة تأثرا بالتغيرات الحاصلة.فكثيرا ما إصطدمت بوادر التحول بعوائق تتعلق بمقاومة التغير، الذي مس النظم الإجتماعية على رأسها منظمة الزواج. والتي لم تتحول عن ممارساتها التقليدية. حيث نجد ملامح لممارسات المرأة الشاوية التقليدية النابعة من صميم العادات التقاليد المحلية موروثة عن الأجداد، وانتقلت بالممارسة والتكرار وأصبحت عرفا موروثا أكثر منه مكتسبولذلك فالمرأة الشاوية تتجه الى مقاومة التغير بالتمسك بعادات وطقوس الزواج ، والذي يترجمه سلوكها وممارساتها النابعة من عمق الموروث الثقافي . ذلك ان الثقافة المحدد الرئيسي لنوع السلوك المقبول إجتماعيا والمرفوض . فتتغير الممارسات الطقوسية للمرأة الشاوية سواء طوعا أو كرها مما ينجرعنها تغيرات ثقافية سريعة تجبرها على التكيف مع الواقع الجديد الذي يفرض عليها تقبل الثقافة الجديدة فتتعامل معها وفق النظم السائدة كما تسهم في ترسيخ الطقوس وإستمرارها.

إن الزواج بمنطقة باتنة يقام تماشيا ومتطلبات الحياة العصرية .رغم التحولات الجزئية التي مست المراسيم والممارسات، غير أن المرأة الشاوية كفاعل إجتماعي تصرعلى بعض الممارسات الطقوسية في هذا الحدث الإجتماعي المهم في دورة الحياة، حيث تعتبره فضاء ملائم لإعادة إنتاج العادات والطقوس الزواج، ولعل أهم مظهر للتغير في هذه الممارسات هو تخلي المجتمع المحلي عن ممارسة طقس "**التصفاح** ". حيث تراجعت هذه الممارسة الطقوسية في منطقة باتنة وقراها التي زرناها "تكوت، كيملاريس"، رغم وقوفنا على حالة واحدة في شهر أوت من صيف سنة2016. وهي من عرش"**التوابة**" بدائرة "**آريس**"

إن التغير الإجتماعي والثقافي للمجتمع الجزائري عامة والمجتمع الشاوي بمنطقة باتنة خاصة. غيَر العديد من العادات التي ترتبط بالقيم والمعايير الإجتماعية، وذلك لتنامي الوعي الإجتماعي والديني. إذ تعتبر الأسرةالمرآة العاكسة لصورة التغير في المجتمع . ولأن التغير أحد الثوابت في حياة الأمم والمجتمعات والأفراد ، فليس لأي مجتمع أو نظام إجتماعي القدرة على مواجهة هذا التغير وصده

1 - دلال محسن استيتية، مرجع سبق ذدكره ، ص19.

فللمجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات الأخرى خضع لجملة من التغيرات الإقتصادية والإجتماعية والسياسية والتكنولوجية والإيديولوجية .ولعلى إنعكاس العوامل المختلفة على الحياة الإجتماعية أفرز مظاهرونتائج على الصعيد الإجتماعي، وكانت الأسرةأهم وحدة تأثر ا بالتغيرات الحاصلة .وكثيرا ما إصطدمت بوادر التحول بعوائق تتعلق بمقاومة التغير الذي مس النظم الإجتماعية على رأسها منظمة الزواج ، والتي لم تتحول عن ممارساتها التقليدية .حيث نجد ملامح لممارسات المرأة الشاوية التقليدية النابعة من صميم العادات والطقوس المحلية الموروثة عن الأجداد. وإنتقلت بالممارسة والتكرار وأصبحت عرفا موروثا أكثر منه مكتسب.

هذهالعاداتوالتقاليد وجدت لها طريق للصمود أمام رياح التغيير والحداثة. فاضحي التمسك بها والعودة إليها كآلية دفاعية إزاء تهديدات لاتبدوا على السطح في فترات السكون النفسي والإجتماعي. لكنها تبرز كوسيلة جماعية (الطقوس- عادات) في حالة العجزفي الإفتراع. ومنها اللجوء لها والاحتكام لسلطتها.[1]و تعزيزها وفرضها على الفرد والجماعة لأن المساس بها مساس بقوانين الطبيعة والجماعة. فتقبل المرأة ذلك كخاصية من خصائصها في حفظ التراث وتمريره للأجيال. ومن أجل تعزيز العرف. فالتمسك بها قانون طبيعي يحمي من المشاعر المرتبطة باللوم من خلال الذوبان والانضواء تحت قانون العادات والعرف، وتصل الوظيفة الدفاعية في كونها تتضمن إستلاب عقائدي نظرا لما تضمنه من قبول إجتماعي. وأن مراعاة المعايير الإجتماعية المرتبطة بالشرف الذاتي والمجتمعي، وأن تحقيق الذات من خلال هذه التقاليدالعادات والأعرافوإعادة إنتاج المعايير والنماذج الأكثر فعالية للحفاظ على إمتيازاتها والسيطرة على الحاضر.[2]

1- دافيد لبروتون، أنثربولوجيا الجسد والحداثة، ترجمة، ص104.

2- دافيد لبروتون، نفس المرجع ،ص107.

ثانيا: التغيرالثقافي:

عندما نتحدث عن التغير الإجتماعي إنما نعني بشكل واضح التغير الثقافي، بمعنى أن التغير الثقافي أوسع نطاقا من التغيرات في البناء، والتنظيم الإجتماعي، ونقصد بالتغيرات تلك التي تطرأ على كافة مراسيم الزواج والممارسات الطقوسية من"الخطبة، المهر، الحنة، الزفاف، التصفاح " وغيرها.

1. مفهوم التغير الثقافي:

نقصد به التغيرات التي تحدث في ثقافة المجتمع . ويرتبط أيضا بمفهوم آخر هو (التعجيل الثقافي) وهو يعني زيادة معدل التغير الثقافي. حيث يفترض أن التراكم يرجع إلى صفتين في العملية الثقافية، أحدهما ثبات الأشكال الثقافية والأخرى إضافة أشكال جديدة. .انه التغير الذي يحدق في أي فرع من فروع الثقافة سواء ماديا أوغيرمادي.

- **يعرف التغير الثقافي بأنه** : "تحول أو إنقطاع عن الإجراءات المجربة والمختبرة والمنقولة عن ثقافة الماضي مع إدخال إجراءات جديدة، ويمس الإعتقاد والأذواق الخاصة بالمأكل والمشرب والملبس والتقاليد والفن والأخلاق والتكنولوجيا، هذا بالإضافة إلى التغيرات التي تحدث في بنيان المجتمع ووظائفه .و يعد عملية إنتقائية. حيث أنه عندما يواجه أعضاء المجتمع تقاليد أو عناصر ثقافية أو إجراءات فإنما يتقبلونها و يتصورون أنها مفيدة وتتلاءم مع قيمهم ،وهي مرغوبة إجتماعياً.

- إن التغير الثقافي يتضمن مجموعة من المفاهيم التي تح يل عليه ومنها "التثاقف ، التفكك والإنحراف والتطور، والتغير التدريجي، والإبداع، والتكاملوالنقلوإعادة الإحياء وإعادة التفسير.فإذا نظرنا إلى التثاقف وجدناه يعني عملية التغير من خلال الإتصال الثقافي الكامل، أي اتصال بين ثقافتين يؤدي إلى زيادة أوجه التشابه بينهما في معظم الميادين الثقافية ويتضمن هذا المصطلح أيضاً عملية الاستعارة الثقافية، يشير مصطلح تجديد إلى العملية التي تؤدي إلى قبول عنصر ثقافي جديد وهي صورة من صور التغير الثقافي أيضاً .غير أن الغالب من هذه المصطلحات هو الإتصال والإختراع والإكتشاف والإنتشار.وتجدر الإشارة إلى أن التغير الثقافي أعم وأشمل من التغير الإجتماعي على اعتبار أن الثقافة هي "ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القدرات

والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع" [1]، وعلى ذلك يعد التغير الإجتماعي جزءاً من التغير الثقافي أو جانباً منه فحسب.

2. عناصر التغير الثقافي:

أ. **التثاقف**: Bastideميز بين ثلاث أنماط من التثاقف تقوم على أسس سياسيةثقافيةو إجتماعية دون إهمال دور الفرد بإعتباره الفاعل الإجتماعي الحقيقي . وكيفية إستجابة الأفراد في وضعية تثاقفية بين ثقافتين. وهو الذي يقطع الثقافة حسب حاجته التوافقية.[2]

ب. **التفكك الثقافي:** ويعني بها التوقف عن الأخذ بالمعتقدات والطقوس مع عدم إستبدالها بغيرها من المعتقدات وطقوس الجماعة.

ج. **الإنتشار الثقافي**: تعني التقاء ثقافة بثقافة أخرى يحدث بينهماالإنتقاء فتقبل الصور المادية أولا ثم يليها الصور الدينية وهي أكثر عناصر الثقافة مقاومة، وكلما كان العنصر الثقافي الجديد أقل تعقيد وذا فائدة كان أكثر قبولا في الثقافة الأصلية.[3]

د. الإنسلاخ الثقافي: تعبير عن تكيف قهري مع ثقافة غريبة.[4]

3. أصولالتغير الثقافي:

هناك نظرة قديمة ترى ان التغير يؤدي إلى عواقب وخيمة، ومنه فهم التغير على أساس المعتقداتوالتصوراتويمكن تحديد الشروط والتوجيهات المرتبطة بدراسة التغير الثقافي فيما يلي:

- ان التغير الثقافي ليس ظاهرة منعزلة، وإنما ظاهرة عامة وشاملة في كل مجتمع وكلثقافة مهما اتسمت بالثبات أو الجمود وعلى ذلك ينبغي أن يقترن التغير بالثبات بأن نضع التغير على طرف والمحافظة الثقافية على الطرف المناقض له.

1- دلال محسن استيتية،مرجع سابق، ص60.

2- محمد العربي ولد خليفة، المسالة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية،2003، ص61.

3- محمد السويدي، مرجع سبق ذكره، ص164ص266

4- نور الدين طوالبي، مرجع سبق ذكره، ص25.

- الموضوعية في الدراسة بأن ينتزع الباحث الأنثروبولوجي نفسه، ويجردها عن الثقافة التي يدرسها سواء في حالة الثبات أو التغير.

- ضرورة تفاعل دارس التغير مع الثقافة بنفس طريقة تفاعل الأعضاء المنتمين إليها . ال‌التزام بالنظرة الكلية للثقافة، ومنهالوقوف على الصورة الكلية للتغيروالثبات.

4. **أنماط التغيرالثقافي:**

أ. **الإختراع:**لا يقتصر على الجانب المادي من الثقافة بل يتضمن الجانب غير المادي، و أن الاختراع مفتاح التغير الثقافي، فللثقافة ككل وليدة الإختراع . وفي كل حالة من الإختراعات يتم الإستفادة من العناصر القديمة والإرتباط بينها وتجديدها بحيث تصبح صالحة لإستخدامات جديدة.

ب. **الاكتشاف** :لا يصبح الاكتشاف عاملاً محدثاً للتغير الاجتماعي إلا بعد استخدامه من قبل المجتمع.

ج. **الإنتشار** :يشير إلى العمليات التي تنتج تماثلاً ثقافياً بين مجتمعات متباينة، كما أن معظم التغيرات الثقافية التي تحدث في جميع المجتمعات الإنسانية المعروفة، تتطور من خلال الإنتشار، ولا تتم عملية الإنتشار بين مجتمع وآخر فقط، وإنما قد تحدث داخل المجتمع الواحد ب إنتشار الخصائص الثقافية من جماعة لأخرى.ويعتبر الإنتشار عملية إنتقائية، إذ تقبل جماعة إنسانية بعض الخصائص الثقافية لجماعة أخرى مجاورة لها بينما ترفض البعض الآخر. وإنعملية الإنتشارتؤدي إلى التجديد الثقافي الذي يعتمد على الإتصال بين المجتمعات .حيث يستعيرالمجتمع بعض العادات التي توجد في مجتمع آخر وقد يستعير المجتمع نمطاً ثقافيا كاملا أو جزءا من كل ثقافي .وبالرجوع إلى عملنا الحقلي فإننا نجد أن العديد من ممارسات المرأة الشاوية في مناسبات الزواج أو الخطبة تبنى على الإنتشار الثقافي الذي يتجسد في سلوكاتها بوعي منها أو بدون وعي. حيث نجد العديد من التشابك في العادات والتقاليد التي تستثمر كرأسمال رمزي.إذ تقبلها وتدافع عنها وتعتبرها جزء من أصالتها وماضي الأجداد الذي لا غنى عنه.

5. النظريات المفسرة للتغير السوسيو ثقافي:

إذا كان التغير الإجتماعي من السمات التي عرفتها المجتمعات الإنسانية منذ نشأتها حتى عصرنا هذا حتى أصبح من القوانين المرتبطة بعضوية المجتمع اللازم لبقاء النوع الإنساني . فإن الواقع أثبت أن عملية التغير مجرد إضافة بعض المعايير والأنماط والعلاقات إضافة كمية وإقصاء جانب منها . والزواج كنسق إجتماعي عرف عدة تغيرات تمثلت فعلا في إختفاء بعض السمات الثقافية والقيم الإجتماعية وظهور أخرى وغيرها من الممارسات التي مست عادات وطقوس الزواج في المجتمع قيد الدراسة في عدة جوانب متعددة تبعا لأوجه التغير السوسيو-ثقافي ، والمرتبطة بجملة من التحولات في صيرورة الحياة حيث **يرى "أحمد الزعبي"** أن التغير الإجتماعي ظاهرة عيانيه تلاحظ في كل مستويات الوجود سواء المادة الحيـة أو غير الحية، وكذا في الحياة الإجتماعية.[1] ومادام التغير مرتبط بالأبعاد الإنسانية فإنه حتما يتأثر بها ويؤثر فيها من خلال عدة عوامل متداخلة فيما بينها. والتي نوجزها في:

أ.**البنائية الوظيفية** : تشير كلمة البناء إلى مجموعة العلاقات الثنائية نسبيا والنمطية للوحدات الإجتماعية. وتشير كلمة وظيفة إلى العملية الديناميكية داخل البناء .والأبنية هي الأجزاء المختلفة من النظام وهي مؤسسات المجتمع. والبناء هو العلاقات المستمرة الثابتة بين الوحدات الإجتماعية بينما يشير مفهوم الوظيفة إلى النتائج أوالآثار المترتبة على النشاط الإجتماعي. فمن منطق وظيفي نقول بأن مجموع المؤسسات الإجتماعية لها وظيفة للإستمرار وثبات المجتمع، وأنالتغير في الوظائف أو المؤسسات القائمة على ذلك يكون هنالك تغيرًا إجتماعيًا. ومن الممكن أن تؤدي هذه المؤ سرسات الإجتماعية وظيفة دون أن يكون هناك غرض واضح منها ، أي أنالحفاظ على العادات الممارساتالإجتماعية يكون بهدف معين، وهذهالفكرة طرحها **روبرتمرتون** Robert Merton الذي حاول التوفيق بين الوظائف المستترة والوظائفالظاهرة. وذلكفي محاولة للتمييز بين بواعث السلوكالجماعيوالنتائجالمترتبة عن هذا السلوك. فالوظائف الظاهرة هي المتمثلة في الوظائف المدركة والتييمكنملاحظتها أما (**الكامنة/المستترة**) فهيتشير إلى حالة فقدان المعايير. أو أنها تتعارض في وجودها مع نسق القيم الإجتماعية المتفق عليها.) والتي

1- مصطفى الخشاب ":دراسة المجتمع"، مكتبة لأنجلو مصرية، القاهرة ،1967ص119.

نقاربها إلى وظيفة العادات والطقوس التي تقام " **ليلة الحنة"** بما تبرزه من تفاخر وتباهي وتنافس وما تخفيه من قلق وتوتر وحرص، فإنها تقف بين القبول والرفض في بعض جزئياتها بما يتوافق مع القيم المجتمعية، فمثلا وضع الحنة في يدين العروس يوحي بنشوة الفرح المفعمة بالدلالات النفسية والإجتماعية والثقافية ولكنه موقف يخفي في مضمونه توتر من ليلة الدخلة وتبعاتها النفسية والأخلاقية وما لسلطة الطقس"**التصفاح**" من اشتغال خفي ومعلن.

ب.النظر**ية السيكولوجية -الاجتماعية:**تركز على دور الفرد في المجتمع وعلى دور الأفكار التي يحملها الأفراد في نمط الحياة ومسارها، وأن التغير الذي يحدث في المجتمع يحدثهأساساالأفراد، فالأفراد هم الذين يغيرون وهم الذين يتغيرون وبهذا فإن هناك مكانا للعوامل النفسية في حركة التغير. وتتأسس هذه النظرية على فرضية أن التغير الذي يصيب المجتمع يحدث أساساً في الأفراد، فهم الذين يغيرون وهم الذين يتغيرون. ولهذا فإن هناك مكاناً للعوامل النفسية في حركة التغير الإجتماعي كما يؤكد ذلك "ماكس فيبر" على الدور الذي تلعبه نوعية خاصة من الأفكار في إحداث تغير إجتماعي معين ودور المجددين في إحداث التغير الإجتماعي، حيث أن ثمة علاقة قوية بين طبيعة البناء الإجتماعي وبين نمط الشخصيةبحيث يمكن القول إن البناء الإجتماعي لن يتغيرإلا إذا تغيرت الشخصية .فذلك التغير يرتبط بعوامل نفسية أي يخلق أنماط الشخصية القادرة على التجديد وتتسم مثل هذه الشخصي اتبالإبتكار والفضول والإنفتاح على الخبرة وان مثل هذه الشخصية تسعى إلى ا لإبتكار. وعليه فا ن التغير في البناء التقليدي للمجتمعات يبدأ عندما يظهر أفراد لهم هذه الخصائص تهدد البناء القائم وتسحب البساط من تحت أقدامه ومثل هذه الجماعات تظهر بالتدريج ومن خلال عمليات مستمرة من الإنسحاب، ويرتبط ظهورها وتكاثرها بظهور ظروف إجتماعية ترتبط بالأسرة والتنشئة الإجتماعية.

ج. النظرية الخلد ونية: يرى ابن خلدون أن المجتمع الإنساني يتميز بخصائص تختلف بإختلاف الزمان وداخل المجتمعنفسه ويرى"أن أحوال الناس لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر، إنما هو إختلاف الأياموالأزمنة وإنتقال من حال إلى حال " كما أعطى صفة الإنتقائية فيما يخص عناصر التغيرحيث يرى أن التغير يتم برفض بعض العناصر المتنقلة من الأجيال السابقة، والإبقاء على البعض

الآخروإضافةعناصر جديدة من واقع حياة الأجيال اللاحقة .وقدأعطى كذلك إعتبارا للعامل المادي في تفسيره للتغير و"ان اختلاف الأجيال في أحوالهم، إنما هو ب إختلاف نحلتهم في المعاش" و إعتبر صفة الإنتقائية فيما يخص عناصر التغير. حيث يرى أن التغير يتم برفض بعض العناصر المتنقلة من الأجيال السابقة والبقاء على البعض الآخر وإضافةعناصر جديدة من واقع حياة الأجيال اللاحقة. حيث أكد على التنوع في العادات والتقاليدوتفاوتها وينتهي إلى التركيب فيما بينهما . حيث وصفها بالاستمرارية والحتميةوأنهاتتماشى ومجموعةمن العوامل . كما تطرق إلى إختلاف العادات والقيمبإختلاف الشعوب والأمم وسماه"**الامتزاج**"[1]

د. **نظرية الصراع والتغير:**يرى كل من **ماركس ودارندورف**Marx.Wedarndriveأنالتغير الإجتماعي هو صورة شاملة تعم كل الأنساق الإجتماعية ونتيجةحتمية لجدليات الصراع الذي يدور داخل أشكال مختلفة من الأنماط التنظيمية. لهذا فالتغير الإجتماعي هو حوصلة للتناقض والذي يقع في حدود الوظيفة التي تقوم على الإندماج والإستقرار الإجتماعي هذا من جهة، ومن جهة ثانية مبني على الصراع الحر يص على ديناميكيات البنيات والسلوكاتالمحددة أو المتجادلة والمفتوحة أكثر بالمذهب النقدي.

إن المجتمع هو دائما مكان الصراع المستمر بين عوامل الحفاظ وعوامل التغير. فهو يجعل فيطيا ته عوامل تؤدي إلى إستمرار الثوابت أو استرجاع الأشكال الإجتماعيةالقديمةوكذلكعواملالفوضى والتخلفوالتناقضالتي تؤدي إلى التغير والتبدل، فالمجتمع إذن ناتج من ديناميكياتتثبتهوتهدمه في الوقت نفسه. فهو دائما في سياق النشوء والتكوين بجدلية الإستمرارية والإنقطاع. ويمكن الإعتماد على نظرية الصراع كنظرية مفسرة للتغيير الإجتماعي الحاصل لهذهالجماعات. فهذا التضاد هو عبارة عن صراع بين التحديث والتقليد أي بين ما يسمى تقليد ومايسمى عصرنة، إلا أن هذا التفسير لا يصل إلى مبتغاه ، حيث أنه من الصعب تحديد خط فاصل بينالتقليدي والحديث ولا يمكن وصف مجتمع بأنه تقليدي أوحديث

1- عبد الغني مغربي،الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، تر: محمد الشريف بن دالي الحسين، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1986ص16.

لأننا نفسر نموذج بنقيضه وهذا راجع إلىالمعطيات الحالية والتيتعمل على التداخل الكبير بين التقليديوالحديث، إذن فـالعلاقة بين التقليد والحديثليست علاقة تناقض وإنماهي ثنائية جدلية.[1]

6 التحولاتالسوسيو-ثقافيةفي المجتمع الشاوي:

إن التغيرات السريعة التي مست المجتمع الجزائري أدتإلىتغير عادات وطقوس الزواج بما فيها ممارسات المرأة الطقوسية من خلال ظهور بعض القيم والطقوس الجديدة والدخيلة على المجتمع الشاوي بمجتمع البحث (باتنة) نتيجة التقدم التكنولوجي ووسائلالاتصال ، والذي أحدث تغير فيمراسيم الزواج، بفعل التحضر والتقدم. ولعل المرأةأحد الأطراف الفاعلة في هذا التغير الذي تعرضت له عادات وطقوس الزواجفي المجتمع الشاوي. فالتغيرات السوسيو ثقافية تحدث وفقا لمقتضيات معينة تفرضها بيئة المجتمع من ناحية والأوضاع الإجتماعية من ناحية أخرى، وتقابلها من جهة أخرى أي من الناحية الثقافية طبيعة العادات والأعراف والتقاليد السائدة في المجتمع من ناحية أخرى. ويتم الزواج وفق أوضاع يقرها المجتمع وفي حدود يرسمها ويعينها ويفرض على الأفراد التزامها وتختلف أشكاله باختلاف المجتمعات. وإذا كان الزواج رهينا بثقافة المجتمع فان ذلك يعني انه متعدد في مظاهرة وعاداته من مجتمع لأخر ومن بيئة لأخرى في إطار تغير الزمان والمكان بلإعتباره من إهم النظم الإجتماعية وأشدهاا ثر في حياة الناس .كونه الرابط المشروع بين الجنسين، وعن طريقه تتحقق السلامة الإجتماعية و إرتقاء العلاقات بين النساء والرجال إلى مستوى المشروعية. وتنظيم ذلك ما يتفق مع القيم الإنسانية. وبالزواج تتكون الأسر التي هي الوحدة الأساسية في كل المجتمعات.[2]

تغيرت مكانة المرأة في الجزائر عامة وفي مدينة باتنة على وجه الخصوص وذلك ما لمسناه من خلال تواجدنا مع النساء في كل محطات التحضير للزواج (خطبة، فاتحة، ...) حيث أنهاأصبحت تشارك زوجها السلطة الأسريةإلى جانب السلطة الإقتصادية . فأصبحت اليوم تشارك في القرارات الأسريةوفي الإختيار الزواجي للأبناء (ذكور/ إناث)، وأن هذا التغير تسيره الخصوصية الثقافية التي تمنح للمرأة في

1 -BALANDIER. George : Sens et puissance- Ed. P.U.F/ Paris 1971/ p47

2 -Ryan, Barbra: mate selection crosscutter is formal of marriage and family 66, 2002, p66.

مجتمع البحث مكانة. وحسب" **السويدي** "الخصوصية الثقافية تعني عناصر خاصة بمجموعة إجتماعية معينة.[1]وان مكانة المرأة المعترف بها في الأسر الشاوية لا نستطيع إرجاعها إلى عامل التعلم والعمل أو التقدم والحداثة وإنما هي مكانة يمنحها المجتمع للمرأة كلما تقدم بها السن وتعددت أدوارها في الأسرة (الأم، الزوجة، البنت ، الجدة، العمة، الخالة..) المكانة التي يمنحها لها الزواج ومن بعده الإنجاب. خاصة إنجاب الذكور. حيث تصبح المشارك المعول عليه في الأسرة باعتبارها(الأم/ الجدة)، لما يمنح لها الذكر من مكانة وميزة داخل الأسرة.إنه الذكر الذي يعطيها الدور والمكانة (الزوج/الابن) وعليه فشؤون الأسرة بيدها وتتجسد سلطتها في اختيار الزوجة المناسبة (العروس) أو الموافقة على إختيارالإبن للإتمام الزواج فالمرأة الشاوية في مجتمع البحث كلما تقدم بها السن إكتسبت مكانة تعليها على عرش الأسرة والعائلة بإعتبارها الجدة التي تعود إليها كل أمور العائلة. وعليه فان الهيمنة الذكورية التي تكرس التبعية الأنثويةتتوارى سلطتها كلما تقدمت المرأة بالعمر.

بالرغم من عوامل التغير التي إعترت المجتمع الجزائري بصفة عامة والمجتمع الشاوي بمنطقة باتنة على وجه الخصوص. من حداثة وتقدم، إلا أن عناصر التقليدي لازالت قائمة ولا تزال عناصر التراث الثقافي حاضرة تسهر المرأة على إستمراره ا بلعتبارها المسير ال ذي يعول عليه في شؤون الأسرةوتنشئة الأبناء، وتدبير أمور البيت ، وانها لا تزال صامدة أمام رياح التغير والعصرنة . ومازالتمكانةالمرأة الشاوية تحددها قيمتها داخل الأسرة وداخل البناء الإجتماعي،هي المسيطرة على الحياة العائليةالتي تقوم بمعظم الأدواروان مكانتها كانت عالية ومرتبطةبنسب أطفالها إليها على اعتبار أنالأسرةأهم وكالة اجتماعية بل هي أول صورة للحياة وأول خلية اجتماعية يرتبط بها الإنسان. كما تعد الهيئة الأولى التي تقوم بعملية التطبيع الإجتماعي.

لقد إختلف وضع المرأة عبر التاريخ وطرأت عليه تغيرات عديدة . فلقد كانت في القديم هي المسيطرة على الحياة العائلية وذلك من خلال قيامها بمختلف عمليات الإنتاج، وان مكانتها كانت مرتبطة

1- السويدي محمد، مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحا ته، المؤسسة الوطنية للكتاب والطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 1991.ص41.

بنسب أبنائها لها . حيث حظيتالمرأة في المجتمعات الأمومية بمكانة اجتماعية عالية ، وحظيت بالألوهيةحيث كانت الآلهة تتجسد في الانوثة. كما كانت لها مراكز سياسية عالية عرفت لدى المجتمعات قبل الإسلام إذ توضّح بعض الدراسات المتعلقة بتلك المرحلة التاريخية أنّ النظام الأمومي كان شائعا لدى المجتمعات العربية قبل الإسلام ويوضح ذلك وجود بعض القبائل التي تلقّب بأسماء إناث مثل "مرّة" وغيرها، كما ان ألهة العرب فيأغلبها تحمل أسماء مؤنثة مثل **"اللاّت" و"العزّى"**[1]

المقابلات الميدانية التي أجريناه سواء كانت فردية أو جماعية خلال الإحتفال بالزواج أو خارجه جعلتنا نقف على واقع التغير الحاصل في المجتمع، حيث أن الأغلبية منهم تحدثوا عن مفهوم التغير عن دراية، كما تطرقوا إلى مختلف العوامل المسببة لتغير السوسيو-ثقافي سواء بكلام عفوي أو كلام قصدي. وكلهمتقريبا يعتقدون أن العامل الإقتصادي والتكنولوجيهو جوهر التغير الحاصل في المجتمع . خاصة ما تعلق بعادات وطقوس الزواج والممارسات الطقوسية المصاحبة له. فمثلا عند الحديث عن زواج الأقارب(ابن العام) صرحت لنا المبحوثات أنها كانت منتشرة في المجتمع الشاوي وهي تسمية (**فلان لفلانة**) أو تسمية (**فلانة لفلان**) لمجرد علاقة القرابة . لكن هذه العادة بدأت تختفي أثارهاوهذا راجع إلى التحولات الجوهرية التي شهدها المجتمع بفعل التغير والتقدم والحداثةوتبعالذلك تغيرت الكثير من القيم والعادات تماشيا مع المعطيات الحضارية الجديدة .ولعل انعكاس العوامل المختلفة على الحياة الاجتماعية أفرز مظاهر ونتائج على الصعيد الإجتماعي وكانت الأسرةأهم وحدة تأثرا بهده التغيرات ،وكثيرا ما إصطدمت بوادر التغير بعوائق تتعلق بمقاومة التغير الذي مس النظم الإجتماعية على رأسها منظمة الزواج والتي لم تتحول عن ممارساتها التقليدية. حيث نجد ملامح لممارسات المرأة الشاوية التقليدية النابعة من صميم العادات والتقاليد المحلية المتوارثةعن الأجداد . والتي انتقلت بالممارسة والتكرار وأصبحت عرفا موروثا أكثر منه مكتسب. لذلك فالمرأة الشاوية تتجه الى مقاومة التغير بالتمسك بعادات وطقوس الزواج، والذي يترجمه سلوكها وممارساتها النابعة من عمق الموروث الثقافي فتتغير الممارسات

1- أبو زيد نصر،دوائر الخوف، قراءة في خطاب المرأة، المركز الثقافي للطباعة، الدار البيضاء، ط2، 2000، ص259.

الطقوسية سواء طوعا أو كرها،وما ينجر عنها من تغيرات ثقافية سريعة تجبرها على التكيف مع الواقع الجديد الذي يفرض عليها تقبل الثقافة الجديدة، فتتعامل معها وتعمل في ترسيخ الطقوس بقدر تقبلها ،وأمام هذا التغير السوسيو ثقافي وجد التقليدي نفسه مضطرا إلى التفاوض مع الجديد .

خلاصة الفصل

يعتبر التغير السوسيو ثقافي من العوامل التي ساهمت في تغير المجتمعات وفي تغير مكانة المرأة في الأسرةوالمجتمع. فلا يمكن أن يحدث التغيير بمعزل عن المرأةباعتبارها الحاوي والناقل للإرث الثقافي. وذلك ما وقفنا عليه في هذا العمل الحقلي في سياقه الأنثربولوجي، وما شهدناه من تغير اجتماعي وثقافي وعلاقته بمكانة المرأة التي لعبت دورا محوريا في عملية التغير والثبات لهذه العادات والتقاليد والممارسات الطقوسية المتعلقة بالزواج.

يمكننا القول بأن تغير الأسرة يتم عن طريق مجموعة معقدة من العوامل الداخليةوالخارجية والوسيطة. ونظرا لأن الأسرة تعيش دائما إطارًا ثقافيًا تتفاعل معه فإن التغير في أحد أجزاء هذه الأطر سوف يؤدي إلى تغيرات عديدة في الأسرة.وان ماوقفنا عليه هو إدراكنا العميق ان التغير سنة الله في خلقة وهو في حد ذاته ظاهرة طبيعية تخضع لها مظاهر الكون وشؤون الحياة بالإجمال. وهو من أكثر مظاهر الحياة الاجتماعية وضوحا ، لذلك يجب علينا ألا نغفل أن لهذه الظاهرةالانثربولوجية (الزواج) علاقة بالتغيرالسوسيو-ثقافي و أنه لا يمكن أن يحدث هذا الأخير بمعزل عن المرأة نقطة الإرتكاز في تغير وثبات الممارسات الطقوسية ، باعتبارها وعاء التاريخ وناقله .ولا يمكن دراسة الثقافي بمعزل عن الإجتماعي ، في دراسة الصلات الثقافية ضمن مختلف الأطر التي يمكن أن تسير علاقات الإندماج والتنافس. بل إستيعاب التآلف والتمازج الثقافي بين بنياتها لمالهذه الممارسات من وظائف كامنة تدفعنا إلى تحليل رموزه اإنطلاقا مما يقوله ويمارسه الفاعلون الإجتماعيون أنفسهم (المرأة) ، ومنه تحليل النسق الطقوسي ومقاربة ذلك إجرائيا بالنسبة لنا المفتاح لقراءة ذلك النسق السوسيو-ثقافي وفهم دلالاته.

الفصل الثاني:

عادات وطقوس الزواج بين المتوارث والوافد

مقدمة:

إن البحث في العادات والطقوس يذكرني بـ **"أوغست كونت"**الذي أقر أن رسالة هذا العالم هي السيطرة على تجربة المستقبل. وتقديم كافة المعلومات التي تفيد البشر في حياتهم داخل المجتمع. [1]ونحن كباحثين نعيش في مجتمعاتنا وجب علينا أن نقرأها من الداخل ونتتبعهالما لها من علاقة وثيقة بالخصوصيةالثقافية. والإهتمام بما جرى في المجتمع قديما وما يجري حديثاسواء كان على شكل تفاعل أوعلي شكل ممارسات من بقاء أو إلغاءوالوقوف على أوجه المقاومة والتغير. وبذلك يكون للعادات والتقاليد الحظ الأوفر من تتبعنا وتفحصنا هذالاقترانها بالحاجة البحثية من جهة، ولتعرضها للتغير من جهة أخرى.هذه العادات وما لحقها من تبدل نتيجة لوتيرة التغيرالمتسارعة التي مست الأبنية الإقتصادية والإجتماعية التي مست المجتمع الجزائري على غرار كل المجتمعات. وما رافقها من تغيرات عميقة ومتلاحقة في عادات وطقوس الزواج بـإعتباره أحد أنساق هذا المجتمع. وعليه سنخوض في عمق هذه العادات والممارسات الطقوسية المرافقة للزواج والتي أوجدتها المرأة وما تزال تحافظ عليها هي مجال بحثنا. ما يجعلنا نقف على حقيقة الغائب والحاضر في حركة التقليدي والمعاصر، ما بين الثبات والتغير الذي حول الكثير من المفاهيم، وباتت الخصوصية في الممارسات الطقوسية للمرأة الشاوية شيء من التعقيد، لاسيما أمام زحف العولمة بآلياتها الضخمة والإبقاء على عادات وطقوس الزواج بما يتماشى مع العصري الحديث بما يخدم وظيفتها التي أوجدتها، لتصبح بدورها سمة محلية تستهوي الوافدين إليها وتجلبهم. وهذا ما سنقف عليه من خلال ما تضمنه هذا الفصل الذي سلطنا فيه الضوء على عادات وطقوس الزواج بين المتوارث والوافد، حيث يركز المبحث الأول على العادات والطقوس بين الأصالة والمعاصرة، في حين خصصنا المبحث الثاني للزواج ونسق القرابة ما بين الماضي والحاضر بمجتمع البحث.

1- جمال معتوق، علم اجتماع الجزائر من النشأة الى يومنا هذا ط1 ،2006.

المبحث الأول:

العادات والطقوس الأصالة والمعاصرة

أولا: العادات والطقوس بين المتوارث والوافد:

تمثل دورة الحياة (**الميلاد، الزواج، الوفاة**) مسرحا ولدت العادات والطقوس في ثنايا مناسباته كما تعززت قوة هذه العادات في نفوس أبناء المجتمع مع تكرار هذه المناسبات حتى غدت أنماطًا تمثل قوة وقانوناًإجتماعيامترسخًا يصعب الخروج عليها والإنفكاك منها. بل إن الشريعة الإسلامية أيدت العديد منها وحثت عليه. ومن العادات ما هو ترسيخ لبعض جوانب الثقافة ومنها ما هو داعم لبعض المناسبات الدينية، ومنها ما هو مستمد من تقاليد الشعوب الأخرى مع تعديله ليتناسب مع الخصوصية المحلية كتقاليد الزواج وما يرافقها من عادات وممارسات طقوسية.

إن هذه الأخيرة تعد من أشكال الإرث الثقافي الجماعي الذي يطبع هوية جماعة مايختزن ممارساتهاوسلوكياتهاويختزل نمط حياتها المتوارث بين الأجيال . وهي عادة ما تُفهم على أنها موروث ماضي. إلا أنها تتأثر بحركة وخصوصية الزمان والمكان الذي يوجد به الإنسان وبأشكال التفاعل الثقافي **البين-إنساني**، وبطبيعة العصر الذي توجد فيه جماعة بشرية ما. وقبل التطرق للعادات والطقوس نرى أنه من الضروري والمنطقي أن نحدد معانيها أولا للفهم.

1. تعريف العادات:

العادة هي كل سلوك مكرر يكتسب ويتعلم ويدرسويتوارث إجتماعيا. كما تستعمل للدلالة على مجموع الأنماط السلوكية التي تحتفظ بها الجماعة. وتتضمن أنواعا من التفكير والتصورات والمعتقدات الخاصة بها والسائدة فيها. والتي تنتقل بينها من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل.[1]

-يرى **Kroeber"كروبير"** أن العادات عمياء لا ترى، والذين يتبعونها لا يدركون سبب قيامهم بها إلى أن تبلى. وهي تنمو بطريقة لاشعورية وغالبا ما تتضمن معتقدا بأنها مرغوبة ومستحسنة ومقبولة إجتماعيابإعتبارها جزء هام من دستور الأمة غير المكتوب، بيد أنها مدونة في صدور الأفراد وراسخة في تكوينهم وتمثل دعامة من دعائم تراثهم الإجتماعي. ومن العادات ما هو إيجابي ونافع للحياة

1- فوزية ذياب، مرجع سبق ذكره ، ص104،ص108.

الإجتماعية، حيث يعزز وحدة المجتمع ويقوي الروابط بين الأفراد والتجانس في تصرفاتهم ومنها ما ه و سلبي وشاذ وضار يعوق إستقرارهم وتقدمهم.[1]

- عرفها **مالينوفسكي Malinowski على** انها روتين الحياة الذي يشهده الأفراد. ذلك الروتين الذي يتعلق بطبيعة اللهجة التي تستعمل في الحياة اليومية وتتفاعل مع الرموز، وتكون جملة ظواهر إجتماعية معقدةيصعب على العالم وصفها أو تدوينها أو تحويلها إلى أرقام. لكن يمكن مشاهدتها وقت حدوثها والتكلم عنها.[2]

- إنها ظاهرة أساسية من ظواهر الحياة الإنسانية و حقيقة أصيلة من حقائق الوجود الإجتماعي نصادفها في كل مجتمع، وتؤدي الكثير من الوظائف الإجتماعية الهامة عند الشعوب البدائية،كما عند الشعوب المتقدمة وعند الشعوب في حالة الإستقرار وفي حالات الإنتقال والإضطراب والتحول.وهي الأصول الأولىالتي تستمدمنهاالنظموالقوانينمادتها، كماأنهاالقوىالموجهة لأعمالالأفرادوحياتهم وتتضمن أنواعا منالتفكيروالتصوراتوالمعتقداتالخاصة بهاوالسائدةفيها،والتيتنتقلبينهامنالماضيإلى الحاضرإلىالمستقبل.[3]

- **العادات إجرائيا**: هي التي إعتاد الناس عليها وكرروا ممارستها إلى حد أصبحت تقاليد يتبعونها ويتداو لونها بعفوية وتلقائية، في إستسلام غير واعي من قول أو فعل. إذ إمتزجت بذواتهم وخالطت حياتهم وتحكمت بذلك فيما يصدر منهم من فكر وسلوك.

2. علاقة العادات ببعض المفاهيم:

أ. **العادة Habitude:** هي قاعدة أو معيار للسلوك الجمعي،وتشير إلى أفعال الناس لتي تعودوا عليها وتتمثل في اللغة والرموز التي تعبر عن المعتقدات.

ب. **العرف Usage:** عبارة عن طائفة من الأفكار والآراء والمعتقدات التي تنشا في جو الجماعة وتمثل مقدسات الجماعة ومحرماتها. ويختلف العرف عن العادة في إرتباطه بالناحية

1- كامل عبد الملك، ثقافة التنمية، دراسة في أثر الرواسب الثقافية والتنمية المستدامة، مكتبة الأسرة، مصر،2008، ص162.

2- دينكن ميتشل، معجم علم الاجتماع، ترجمة ومراجعة، إحسان محمد الحسن، ط2، دار بيروت، 1986، ص70.

3- فايز أنور شكري، القيم الأخلاقية بين الفلسفة والعلم، دار المعرفة الجامعية، 2002،ص24.

العقائديةوأيضا في درجة الإلزام وفي عموميته، أما العادة فهي في معظمها أفعال وأعمال. فالعادات تهم جماعة معينة وضيقة النطاق، أما العرف يعتبر قانون يعاب من لا يخضع لهكما يهدف هذا الأخيرإلى حفظ كيان الجماعة وتنظيم المجتمع وتلاحمه.

ج. **التقاليد Traditions**: هي قواعد السلوك التي تنشأ عن الرضي والإتفاق الجمعي. وهي تستمد قوتها من المجتمع وتحتفظ بالذكريات التي مر بها المجتمع، ويتناقلها السلف عن الخلف، جيلا بعد جيل. كما تختلف العادات عن التقاليد في أن هذه الأخيرة تعني انتقال العادات من جيل إلى جيل من خلال التيارات الإجتماعية.إذا فالعادات تتعلق بالسلوك الخاص في حين التقاليد تتعلق بالسلوك الجمعي.

د. **القيمValeurs**: تشمل كل الموضوعات والظروف والمبادئ والأفكار التي أصبحت ذات معنى خلال تجربة الإنسان الطويلة. وتحدد ما هو حسن ومقبول وما هو سيئ ومرفوض، باتفاق الجماعة.[1]

3. خصائص ومميزات العادات:

أ. خصائص العادات:

- **التلقائية**: يولد الإنسان في بيئة محملة برصيد من العادات والتقاليد والطقوس السابقة في وجودها عنه تسير حياته وتفكيره دون وعي منه. وترتضيها الجماعة كدستور حياة واجب إحترامه. والتي إنبثقت من حاجة الناس إليها حسب "**سمنر**Sumner" تنتقل من جيل إلى جيل آخر عبر التنشئة. وهي مع ذلك قابلة للتغير لتتفق مع الظروف الجديدة دون البحث عن الأسباب للتغيير.وتنشا بطريقة غير واعية وغير شعورية، وبمرور الزمن تبدو ثابتة وأصلية وراسخة بالرغم من أن أحدا لم يقصد حدوثها أو يتعمد تكوينها أو يحدد لها أو يعرف عنها مقدما.[2]

1- حسين عبد الحميد رشوان، الأسرة والمجتمع، ص154.

- فوزية ذياب، مرجع سبق ذكره ، ص129.

- **الإلزام والجبرية:** هذه العادات والتقاليد قواها الخوف والاشمئزاز والإخفاق. يصيب المحاولات الأكثر إخفاقا للتغيير. وأن إلزاميتها وعفويتها راجع إلى مرونة أصلية فطرية و إلى قدرتنا على تنويع وتغيير إستجاباتنا إلى أن نجد وسيلة فعالة ونافعة للتصرف.

- **الارتباط بالتفكيرالخرافي**: تتصل العادات بالنواحي الأسطورية والسحرية والخرافية كالإعتقاد في الأرواح والقوى الخفية والخارقة والجان والأرواح الخبيثة والشريرة. ومن خلال تواجدنا بمجتمع البحث لمسنا خوفهم الشديد على العروسين من الأرواح الشريرة والجن لما للمناسبة من قدوسية تستدعي الحذر وتتطلب الوقاية. وذلك ما يدفعهم إلى الاحتكام لطقوس تحمي العروسين كأن تحمل العروس **الملح والكمون**طيلة أيام العرس للوقاية والحماية من الأرواح الشريرة والعين الحاسدة. أو أي أذى. وما يرافق المناسبة من ظهور لمختلف الإعتقادات والعادات المستمدة من التفكيرالخرافي في فكرهم وتمثلاتهم وكأنها وقائع حقيقية.

- **التنوع والنسبية:**العادات والطقوس تختلف من بيئة إلى بيئة أخرى بـإختلاف الثقافات والمجتمعات فهي نسبية تنسجم مع قيم ومعايير المجتمع. فما يبدو مستحب في مجتمع ما هو مكروه في مجتمع أخر. وان العادات والطقوس المقبولة إجتماعيا في مجتمع ما تظهر في مجتمع أخر على أنها غير مقبول ومستهجنة، ومن ذلك ما يجسده طقس " **التصافح"** الذي يبدو للمجتمع الشاوي بمدينة باتنة مبارك إجتماعية ومقبول فإنه منبوذ وغير مرغوب فيه بالنسبة لمجتمع أخر .

- **الرغبة في التمسك بها**: مميزات العادات أنها محببة ومرغوبة إلى الناس ويرجع ذلك إلى شعور الأفراد بضرورتها. ومن يخرج عليها أو ينحرف عنها لا يتعرض لعقوبات القانون. بل إلى عقوبات الرأي الجمعي بمختلف أنواع الضبط الإجتماعي. كالإستهجان والسخط حسب ما تراه الجماعة. فكل جماعة ترى أن عاداتها أفضل من عادات باقي المجتمعات، كما يرى **هرودوت"** انه لو طلب من كل شعوب العالم أن تختار العادات التي تبدوا أكثر ملائمة لها لاختار كل منهم بعد البحث والتدقيق عاداته هو" إنه الواقع الذي وقفنا عليه في حفلات الزواج التي حضرناها والحوارات التي جمعتنا بفئات المجتمع من النساء العجائز العرائس (العروس) وصغيرات السن اللواتي صرحن لنا على إختلاف أعمارهم أنهم لن يتخلوا على

تقاليدهم التي ورثوها عن آباءهم وأجداهم. وسيظلون يحافظون عليها ويحرضون أبناءهم على إتيانها كلما أقاموا أعراسهم وستظل حاضرة في كل حياتهم من دون منازع كما إتفقت عليه نساء مجتمع البحث الذين قابلتهم طيلة سير البحث وأثناء الاحتفالات بالزواج أو/و خارجه، كلهن إتفقن بلوتياح وتفاخربها، وذلك ما قرأناه في لحن الخطاب أثناء المقابلات التي جمعتنا :

" عادات لأوراس مليحة "جميلة" ورائعة، لن نتخلوا عنها ماحيينا لأنه بكل بساطة الإنسان الذي لا يملك ماضي فلا حاضر له ،وإننا نحب عاداتنا الشاوية وهي ماكانش كيفها ورائعة ، تجعل العروس متميزة بالتاج و(الرديف) الخلخال، تصبح كالأميرة بين المدعوين تعرفها بمجرد النظر لها ، وما تحاط به العروس من إهتمام منذ الخطوبة بداية بالمعاملة من أهلها وأهل زوجها وكل العائلة. دون أن ننسى ما يرافق عادات يوم العرس المتنوعة" (مقابلة رقم :**12**)

هذا إن دل على شيء فهو يدل على أن العروس تحضى بمكانة جديدة منحها لها الزواج داخل العائلة والمجتمع، ذلك الإنتقال في المكانة والدور(**العروس/ الزوجة**). يعطيها مكانة هامة تخول لها التباهي والظهور كفرد جديد ضمن نسق إجتماعي وقيمي . وإحاطتها بجملة من السلوكيات التي تنم عن الرغبة والإعتراف بالإنتقال. يتضح فيما يمارس من عادات تشعرها بتلك المكانة وتشهر للمجتمع الانخراطولقد لاحظنا تفاصيل ذلك كله في زيارات أهل الخاطب للمخطوبة محملين بالهدايا في المناسبات العائلية والدينية يتفقدون الزوجة المستقبلية.

" منين تتخطب الطفلة ودار رجالها يزوروها في الأعياد ، يجيبولها عيدها في العيد الكبير وإلا العيد الصغير.وكل المناسبات من عاشواء ليلة سبعة وعشرين 27 رمضان،.... وغيرها من المناسبات " (المقابلةرقم:02)

" نروحوا عشية العيد لدار عروستنا* باه ندولها عيدها ، كيما واحد من العايلة في العيد الصغير" الفطر" ندولها اللبسة"لباس" والقاطو"حلوى" تاعالعيد ومعانا الفاكية"فاكهة" تاع الموسم.وفي العيد لكبير "الأضحى" ندولها مثل العيد

الصغير بصح نزيدو عليه رجل اللحم اليمنى من العيد تاع الكبش وكانها تعيد عندنا في دارها " (المبحوثة رقم:03) (الصورة رقم:01)

ففي العيدين " **الأضحى- الفطر** " يكون لها" العروس" نصيب من **"اللباس، الحلويات لحم شاة العيد**.وإن كل هذا الإهتمام والزيارات تقع في إطار المبادلات العائلية، البعيدة عن الطابع الفردي الذي بدأ يتسلل إلى المجتمع. من اللقاء بين المخطوبين بعيدا عن العائلة للإتمام إجراءات كل المناسبات ، كأن يلتقيا الخطيبان بعيدا عن أعين الأهل لشراء لوازم العيدين. فالمجتمع الشاوي تحكمه ضوابط وقيم وأعراف لا تعترف بالفرد إلا في وسط بيئته. وعليه فالخاطب غير مرحب به في بيت المخطوبة إلا في رفقة أهله ، ومنها فلا يسمح له بالإختلاء بمخطوبته ، إلا ما يحدث نادرا في بعض المرات بعيدا عن رقابة الأهل .

" منين تخطببت خرجتمرة وحدة أنا وخطيبي، باه يشريلي لباس العيد الصغير، خرجب من الخدمة ورحت معاه بدون علم دارنا" الأهل" ، ولكن عجوزتي "أم الخطيب" كيما جابتلي الحوايج "الهدايا" قالت لأمي تهنبيت من التخمام تاع الشري "الشراء" منين شرات لعروسحوايجها وحدها هي وراجلها ....أمي صدمت، وكيما روحوا دار خطيبي خبرتني أمي بلي هذا عيب وعار على والديا وعايلتي، وفهمت بلي العادات لازم علينا نتبعوها حبينا وإلا كرهنا"

(مقابلة رقم:06)

تفرض العادات والتقاليد على المقبلين على الزواج الامتثال لسلطتها ، لأن الزواج ليس إلا إتحاد عائلتين تسيرها العادات والتقاليد، والتي تعتبر هذه العروس ملك للجماعة (**عروستنا**) هذه الكلمة توحي بالامتلاك وحرية التصرف، فالعروسة هي الدمية. وفي ذلك إشارة إلى أن العروس مثل الدمية في يد الفاعلين الاجتماعيين مسلوبة الإرادة ، خاضعة لمنطقهم وقوانينهم ، فهي بذلك مسلوبة الحرية تابعة لمالكيها ، ومنه فهي ملك للجماعة والأفراد طيلة الحدث الاحتفالي، وملك للزوج بعده (مرتي) فلا يعترف بالفرد إلا إذا انتمى إلى عائلته وعشيرته. فالعادات والأعراف تجرده من قيمته إذا إنحرف عن العرف وقانون

الجماعة.وعليه فإن الموقف الإحتفالي يحيط هذه المخطوبة (**عروس المستقبل**) بالعادات والطقوس لتحقيق المرور الآمن . وذلك الذي سنقف عليه في ثنايا هذا العمل .

ب. مميزات العادات:

- سيطرةالأعراف والتقاليد والعادات وضغطها على الأفراد قوية وكبيرة خاصةعندما يتعلق الأمر بالجماعات الريفية. حيث أنها تقوم مقام القوانين الوضعية، وهذا راجع إلى أن الأعراف والتقاليد والعادات في سيطرتها وضغطها على الأفراد.

- الإجباروالإلزام من أهم الصفات التي تتميز بها الأعراف والتقاليد والعادات ، لأن مناقشةمحتواها أو المساس بها يجعلها أقل مصداقية داخل المجتمع . كما عبر عن ذلك كل من **ديوي همبو**DeweyHumber، ووضحته "**فوزية ذياب**"بأنها طرق جوهريةلرفاهية المجتمع وللإصلاح حاله. وهذه الطرق هي الأوامر والنواهي الخاصة بكل ثقافة من الثقافات".[1]

- تعريض المتخلي عنها للسخرية والنبذ والإحتقار، فعدم المثول للأعراف والعادات والتقاليد يعرض الفرد إلى النبذ والإحتقار من قبلالجماعات .حيث بين ذلك" **ما سكوري** Masquerayفي أن منطقة القبائل تعرض المتخلي عنها لإجراءات وعقوبات قاسية تصل إلى درجة الطرد من القرية.

- الإلتفاف حول أي قانون تصدره الجماعة أو العرش وتتفق عليه (الأعيان- الجماعة) حول موضوع ومسألة تتعلق بنظام المجتمع. فإنهم ملزمون بالامتثال لها والقبول بها، وتجنب مخالفتها ولهذا توضع وسائل ردعية.وذلك الذي وقفنا عليه من خلال "**وثيقة الزواج**" التي وضعها عرش بني بوسليمان بدائرة تكوت بمدينة باتنةورغم درجة إلزام والجبرية إلا أنها مختلفة من حيثدرجة الإلزام فبعضها اختياري تفضيلي والبعض الأخر ملزم إجباري يقوم بها الأفراد دون أن يشعرون أنهم ملزمون بأدائها.

-مدى السيادة أو الشيوع أو الانتشار، فبعضها خاص في مناطق معينة وطوائف معينة وبعضها عام "**ستر الجسد، احترام المرأة، الرجل**" وخضوعها للثقافة.

---

[1] فوزية ذياب، مرجع سبق ذكره، ص78.

-لا تختلف من حيث الجزاءات الإجتماعية " **الإحتقار، استهجان، سخرية، سخط، لوم** " فالخروج عن العرف الراسب في عمق التكوين الإجتماعي، غير جزاء الخروج عن عادات مستحدثة، فيكون لها وقعا أقل قسوة في حين يعامل الفرد عن خروجه عن العادات الراسخة باللوم والتشهير والنبذ الإجتماعي مما يقلل مركزه ومكانته الإجتماعية.

إن هذه العادات التي نحن بصدد الخوض فيها والإفصاح عنها، لها من الولاء والقبول والإستسلام لدى أفراد المجتمع ما يجعلهم يكررونها ويصرون عليها في كل مناسبة، وذلك ما وقفنا عليه من خلال المقابلات التي شكلت لنا مساحة شاسعة فيها مقدار من الحرية لتدلي المبحوثات فيها عن تجربتهم مع عادت وطقوس الزواج. حيث غالبا ما يتحدثن عن عادات الأجداد، ويستحضرون صور الماضي دون أن يطلب منهن ذلك. مما يفسح المجال للتباهي والإفصاح التنافسي (**احنا العرش الفلاني ...**) بالمثل كل واحدة تعدد امتيازات عرشها وتبرز خصوصيته، هي تلك الميزة التي سهلت عملنا واختصرت أمامنا الكثيرمن الوقت في التنقل والبحث عن العادات والتقاليد.على إعتبار أن الزواج يتم في الوسط القرابي الذياطلعنا على الكثير من تفاصيله في مجتمع البحث. والتي تتلون بالخصوصية والميزة الأساسية لكل المناطق التي شملها العمل والضاربة في عمق الإنتماء الشاوي الأوراسي بمنطقة باتنة.وغالبًا ما كانت تجري المقابلات في مناسبة الإحتفال بالخطبة أو يوم الزفاف وأكثرها كانت صبيحة الزفاف، أو ما يسمى بلغة المجتمع (**الحزام، الصباحة**)، لارتباطها بفحوى البحث وأهدافه المتضمنة إختبار طقس "**التصفاح** ". وعليه كانت المقابلة تجري مع العروس في سرية وخفية عن الحضورنظرا لما تحاط به العروس من حماية وما يحرصون عليه في سرية وما يتوجسونه من حيطة،واللواتي أمددننا بما يعزز البحث ويخدمه وبما يفتح أفاق بحثية أخرى في المستقبل.

تعد هذه اللقاءات بالنسبة لنا مجال واسع وفسيح زاخر بالمعاني والدلالات ما بين الإفصاح والإدلاء وما بين التباهي والتفاخر، وما بين ضرورة الإحتكام لها أحيانا أخربمما شكل لنا عائق في ترتيب دليل المقابلة وضبطها لتنوع الطقوس والعادات والممارسات. غير أنها كانت بالنسبة لنا كباحثين مساحة واسعة تطلبت منا الإنصات قدرالإمكان لذلك التنوع الثقافي والممارساتيالذي تمتزج فيه العادات بالطقوس

والمعتقداتبالنسب والعائلة في مجتمع البحث باتنة والمناطق التي إرتكز عليها عملنا (**كيمل باتنة- تكوت - اريس**) والتي كما سبق الحديث تمثل لنا عروش كل من (**السراحنة، الجبايلية، بني بوسليمان، التوابة**) بما تمثله من تمازج حضاري وإجتماعي وثقافي تتشابك لترسم لوحة فسيفساء عنوانها عادات وطقوس الزواجوتُكتسب الرموز والمعاني من خلال عملية التفاعل. وعليه فإن تصورالفاعلين الإجتماعيين من تصور وأراء الآخرين. أي أن التَأثير والتأثُر عملية تشاركية قائمة على الإندماج الثقافي. حيث تأخذ الفتاة بعين الإعتبار رأي ووجهة نظر الآخرين نحو مفهومها لذاتها. فالآخر يمثل معيار هام لتقدير الذات وعليه يتنوع**"لبسها وتزيينها وجهازها،..."** وكل ترتيباتها بما يراه الآخرين(**كيما العرش كيما بنت عمها، كميا نتاجاتها**) بمعنى تتبع وتقتدي بقريناتها وبتقاليد المجتمع" العرش" الذي تتنتمي اليه وينعكس على كل ترتيباتها بطريقة شعورية وأو لاشعورية.

التقليد أساسي في إنتشار العادات وتنوعها ومن ذلك تولع الفتاة بتقليد من سبقتها ممن تزوجن من الأهل والأصدقاء، وذلك ما ذهب إليه ابن خلدون ان" **المغلوب مولع بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده** " فالمرأة تتجه إلى تقليد كل ما هو موضة وعصري خاصة ما تعلق باللباس "التصدير" أو الذهب "الشرط" هذا التقليد الذي تظهر تجلياته بقوة في ليلة الحنة. حيث أصبحت شبيهة بعرض أزياء في أي دور عرض عالمية. تبدو فيها العروس بكل أشكال وألوان الألبسة المحلية من" **المحلفة الشاوية، الجبة القسنطينية، البلوزة الوهرانية، ،الشدة التلمسانية ، الجبة القبايلية،الكراكو العاصمي** "والعربية والعالمية من" **القفطان المغربي،الفوطة التونسية الساري الهندي،العباءة الخليجية"** ومع ذلك التغير يبقى التقليدي حاضرا ومفضلا عند الكبير والصغير، في الأيام العادية والإحتفالية. وعليه فإن مرافقتنا للعائلات في رحلة تجهيز العروس، مابين محلات بيع الذهب والألبسة الجاهزة والخياطات وأثناء الإحتفال (خطبة، حنة، زفاف) جعلتنا نقف على مدى بحثهن عن العصري ولكن بلمسة تقليدية رغبة منهن في إبقاء خصوصية الإنتماء وذلك ما صرحوا لنا به.

" كيما بديت نشري الذهب لعرس بنتي،هي حبت تشري بار
ير"Parure " أو الذهب نتاع الطاليان "Italie" لأنه حسب بنت مليح

وعصري، جميل وجذاب (ليكس، سيبر ليكس) "Super-Luxe -Luxe
"أحسن من المصيف Massif "ذهب محلي". لكن سأشتري لها على
الأقلسنسلة المظفور"خيط الروح" فيها خمسة"على شكل يد" لازم
لعروس تلبسها منها قيمة ومنها تحميها من الحساد والعين ، وباقي
الذهب تشري زاش تحب هي على ذوقها." (المبحوثة رقم:03)

لقد تغيرت عادات وتقاليد العرس الشاوي وإمتزجت ألوانه وطبوعه وزينته معالم الثقافات الوافدة المحلية والعالمية، ولفه التثاقفالذي إنتقل من البلدان المجاورة بفعل الإتصال والتكنولوجيا. فأصبحت مناسبات الخطبة والزواج رمزا للتنافس والمغالاة وفضاء مناسبا تأخذ منه الأسر بعض العادات التي يضيفونها على عاداتهم للتقليد خاصة العروس،فتضيف أو تنقص من بعض المظاهرالإحتفالية. ومنه يتبادل الأفراد العادات بين مُقَلْد ومُقلِد.فيظهر الإهتمام بإعادة الإعتبار للفاعل الإجتماعي ومفهوم الممارسةpractice ضمن البناء الإجتماعي، وهي العلاقة التي تنتهي بقيام الفاعلون بإعادة إنتاج هذا البناء وقدرتهم على التحويل والتغيير. والمتعلقة بممارسة مهمة من ممارسات طقوس الزواج المحركة والمسيرة لكل طقس من طقوس العبور.الدور الذي تلعبه العادات والممارسات الطقوسية في الحفاظ على وحدة المجتمع وتماسكه. فالعلاقة الوظيفية بين مكوناته وأجزائه (الطقس) والثقافة ككل ونظمها الإقتصادية والإجتماعية. والتي يظهر فيها دور الإتصال كمحور للتفاعل والترابط و الذي يأخذ شكلين مباشر وغير مباشر. ومنه فإن هذا التغير في العادات بفضل الإحتكاك الحاصل بين الشاوية والعرب الوافدين من مناطق متعددة والإتصال القافي لم يغير من عادات طقوس الزواج. و رغم إدخال بعض الإضافات المتعددة عليها إلا أنها لم تزحها، بل تظهر جليا على أنها عادات الشاوية.

4. أهمية ووظائف العادات:

أ. أهمية العادات:

للعاداتوالتقاليدأهميةكبيرةفيالمجتمعتؤثرفي الأفرادوفيأيّمجتمع، ولاسيّماالمرأة . حيث أن لها أثر وأهميةتنبعمنحيث كونها الدعامةالأولىالتييقومعليهاالتراثالإجتماعيوالثقافيفيكلبيئةإجتماعية،بالإضافة إلىأنهاعاملاًجوهرياًمنأكبروأقوىعواملالتنظيمالإجتماعي، وضبطالعلاقات . لكنهامنجهة أخرى تختلفحسبالعاملالإجتماعيوالجغرافيلكلمنطقة. فرغمالتأثيروالتأثرالمتبادلبينالثقافات فالمجتمعالشاويبمدينةباتنة يتسم بعاداتوتقاليدوممارساتطقوسية خاصة تطبعه.

متعلقةبدورةمندوراتالحياةالمتمثلةفي

"الزواج"،والتيتحرصالمرأةالشاويةعلىمضامينهاالإجتماعيةوالثقافيةوالطقوسية.حيث نجد الثابت التاريخي الموروث والمشترك، ونجد كذلك المتغيرفي هذه العادات والتقاليد من حيث أشكال الممارسات الطقوسيةللمرأة الشاوية البالغة الأهمية في علاقتها باللاشعور الجمعي. وأن هذه العادات الإجتماعية والممارسات الطقوسية مفتاح فهم ثقافة المجتمع وتوجهاته باعتبارها أسلوب الجماعة الإجتماعية وطريقتها، ووسيلة ضبط وتنظيم بين الأفراد . فهي تسمحبمعرفة القيم، والتي قد تعطي بعض منها طابعا خاصا للثقافة وتميزها عن غيرها من الثقافات داخل المجتمع الأم . هذه العادات والطقوس والمراسيم الإحتفالية جميعها أشكال مختلفة من الإفصاح عن الذات وعن الوجدان الفردي والجمعي وعلى صفحتها يمكن قراءة المجتمع وشخصيته الحضارية ويخرج ما بداخل مستودع الذاكرة من معطيات قابلة للتحليل الأنثروبولوجي.

ب. **وظيفة العادات:**

العاداتهيالأصول الأولى التيإستمدتمنهاالنظموالقوانينمادتهاكماأنهاالقوىالموجهة لأعمالالأفرادوحياتهم، تتضمن أنواعا منالتفكيروالتصوراتوالمعتقداتالخاصة بهاوالسائدةفيهاوالتيتنتقلبينهامنالماضيإلىالحاضروالى المستقبل باعتبارها إحدى مظاهر الحياةالإجتماعيةالتيتعكسظروف المجتمعوواقعهالمعيشي،وتعبر عنهبكلدقة. كما تؤدي بعضالوظائفالإجتماعيةالمهمة. منهاضبطوتنظيمعلاقاتالأفرادداخلالمجتمع،ويساعدهافيذلكتشعبهاوإنتشارها

فيجميعمناحيالحياة. [1]وإرتباطهاالوثيق بالسياق

الثقافيوالإجتماعيلأيمجتمع.ولذافهيتتعرضلعمليةتغيردائمتبعالتغيرظروفالمجتمعوالسياقالذيوجدتفيهوبأنشطته ،كماأنهاتتكيفمعهذاالتغير لكيتشبعحاجاتأفرادالمجتمع،

وأداءالوظيفةالمرجوةمنهاحسبكلمجتمع،ابتداءمنمرحلةالإعدادوالإختيار

للزواجوالخطبةإلىقراءةالفاتحةثمعقدا القران إلى يوم الزفاف وصولا إلى ليلةالدخلةوطقسالصباح.

ومايصاحبهامنمراسيموممارساتتحرصالمرأةعلىإتمامهاوإتباعهاتأكيداعلى أهميتها

فيالمخزونالجمعي،وانالخروجعنهايعرضصاحباهاللعتاب واللوم الذي

يحددهالضبطالإجتماعيحسبطبيعةالمجتمع.

إنهذهالعاداتالإجتماعيةوالممارسات

الطقوسيةتمكنناامنفهمثقافةالمجتمعوتوجهاتهبإعتبارهاأسلوبالجماعةالإجتماعيةوطريقتها،ووسيلةضبطوتنظي مبين أفرادالمجتمع. فهيتمكنناامنمعرفة القيمالتييتبناه أفراده، والتيقدتعطيبعضمنهاطابعاخاصالثقافتهمبتميزها عنغيرهامنالثقافاتداخلالمجتمعالأم(شاوي، قبايلي، وهراني). كما تمثل قوةمعيارية يشتركفيهاأفرادالمجتمع ويتوارثها الأجيال.لأنهامرغوبةومحمودةوتشبعحاجات الفرد والجماعة.

5. أقسام العادات:

تعمل مجموعة من الروافدوالأقسام على استمرار العادات ولعل أهمها:

أ.**الشعائر**: هي سلوكات رمزية يفترض فيها بالقوى الغيبية للتحكم في الظواهر الطبيعة " زواج الشفاء..." والتي يعتبرها **"فرويد"** Freudروح السحر[2]. وكثيرا ما تستعمل الطقوس والشعائر والمراسيم للتعبير عن نفس المعنى.

1- فايزأنور شكري ، مرجع سابق، ص300

-تستعمل الطقوس والشعائر للدلال على نفس المعنى، ويعرفها الأنثربولوجيين على أنها حركات سلوكية متكررة يتفق عليها الجماعة على إختلاف أنواعها وأشكالها، بما يتناسب مع الغاية التي دفعت الفاعل الإجتماعي للقيام بها. وإننا نجد الطقوس في التصرفات التي تقرها العادات والتقاليد الإجتماعية في المجتمعات. والواقع أن مصطلح شعائر وطقوس ومراسيم ذات دلالات متقاربة . وعليه إستندنا في عملنا هذا على الطقوس كمفتاح لقراءة هذا المجتمع.كحدث رمزي يعبر عن قيم إجتماعية مهمة حسب " **راد كليف براون**" Alfred Radcliffe-Brown والتي يراعيها الفاعلون في مختلف المناسبات من (ولادة، ختان وخطبة وزواج) .

كثيرة هي الطقوس التي تنتهي عن إتيان بعض السلوكات والحركات أو التفوه بعباراتأو تتطلب قول **كلمات طقوسية***محددة سواء ما تعلق منها بطقس **التصفاح** أو إستقبال العروس. وأن كل هذه الكلمات التي تتفوه بها كل من العروس ووالدة العريس، ما هي إلا رموز ذات دلالات مجتمعية ليكتمل الدخول في الحدث الإحتفالي بلغة الطقس المبارك إجتماعيا. وبذلك تعبر الرموز عن القيم والمعتقدات التي تدعم بين الحين والآخر عن طريق الطقوس . ومثالذلك أن كل مجتمع يح اول أن ينمي نسق قيمه ومعتقداته عن طريق شعارات متعددة.فتقام الحفلات والطقوس بين حين وآخر لتعميق هذه المعتقداتتمجيدا وإقرارًا لها في النفوس. ولهذا تعتبر الطقوس والشعائروسائل هامة للمحافظة على النظام الاجتماعي[1].

ب.**الرموز** : إن كل ألوان السلوك الإنساني تنبع من إستعمال الرموز وعن طريقه إنبعثت الحضارات وإستمرت. وجميع ألوان السلوك الإنساني تتلون بالرموز وتعتمد على إستخدامها. فالسلوك

*- نقصد بالكلمات الطقسية: تلك اللغة التي ترافق الاحتفال بالزواج والخطبة وليلة الحنة والتي تخرج عن إطار العام المتداول إلى الانتقاء الخاص الموجه ، وعليه يرتكز الخطاب على لغة خاصة تعتبر بمثابة شفرات تعبر من خلالها المرأة إلى مغزى الفعل والعمل، وتعطيها قوة دافعة لتأصيل الممارسة واستلاب الأخر وإخضاعه لسلطتها ، فالمشهد يظم لغة خاصة تختلف عن لغة التخاطب العادي من (مبروك عليكم الفرح) إلى (ربي يعمر عليكم بالحلال) وما يقابله من لغة تخدم الهدف البلاغي (لعقوبة ليكم الله يهنيكم) وغيرها من تعابير وكلمات، أما ما اقترن بالطقس السحري فهو محور الاهتمام في إنجاح الفعل، وعليه لابد على الممارسة والممارس عليها من اتخاذ الحيطة والحذر في تتبع دقيق التفاصيل الحديث ومفردات القول لتحقق النتيجة المرجوة وبلوغ المبتغى. والتي يمكن اعتبارها (تعويذات) نقف عليها في الفصل الثالث.

-1 فوزية ذياب، ، مرجع سابق، ص374.

الإنساني سلوك رمزي والسلوك الرمزي سلوك إنساني. وعن طريقها ينقل عاداته وتقاليده ويصف إتجاهاته ومشاعره. كما تلعب هذه الأخيرة دورًا كبيرًا في تراكم الإرث البشري، وفي نمو وتطور الحضارة. وهي حسب **"روبرت مكيفر"**Robert Maciver تمثيل لمعنى من المعاني أو قيمة من القيم،كما تساهم في نقل العادات وتعطي لها معنى منها"خاتم الزواج،الصور،الوشم". فمثلاإستقبال العروس في مجتمع البحث لا يتم إلا بممارسات ترافقها كلمات طقوسية. الإيماءات والحركات والكلمات المنطوقة التي تستخدمها النساء في إستقبال العروس في مجتمع البحث لا يتم إلا بممارسات ترافقها كلمات طقوسية.

ففيكلالمناسباتالتيحضرناهاعلىإختلافمناطقالبحثتصر النساء "الأنثى"على إختلاف أعمارهنوأدوارهن التمسك بالعادات والتقاليد التي توارثوها أبا عن جد. ووجدوا فيها الراحة والإنتماء على تعددها وتنوعها منذإستقبال موكب العروس" **المحفل- الفزعة** " * إلى" **ماء الورد، نبات أخضر، زبدة أو دهان، البتات أوالقشقشة..**» فإنها تبقي الجامع لهم والمدافع عن انتمائهم كعناصر تدخل ضمن الممارسات الطقوسية التي لاغني للمرأة الشاوية عنها. فلا يكتمل المشهد الإحتفالي الا بـ (**ماء الورد نبات أخضر، زبدة أو دهان، البتات أو القشقشة) و** يسفرعن توليفة طقوسية ضاربة في عمق الإنتماء الجغرافي والعقائدي، يتجسد من خلال إتيان تلك العادات المتوارثة والتي تصر على البقاء وتحافظ عليها المرأة بإفتخار.كما تجمع عليه الأمهاتاللواتي قابلناهمطيلةسيرهذاالبحث، وحسبهم لا يكتملفرحولاتدخلعروسبيتزوجهامالمتحضر الطقوسوالعادات التي تزين أفراحهم وتلونها باللون الشاوي والتيتحملدلالاتورموزالفرحالفألالحسن.وذلك ما بدا لنا واضحا وأكدته المقابلات التي جمعتنا بهم

6. دور المرأة في ترسيخ العادات والطقوس:

*__يقال فزعة__: والكلمة تعني النسوة اللواتي يتوجهن برفقة الرجال إلى بيت العروس يوم الحنة حاملين معهم جهاز العروس، أو يوم العرس وفي كلتا الحالتين فهم يقولون الفزعة. غير انه يضاف للفزعة وقولهم "دفاعين الجهاز" نسبة إلى حملهم الجهاز إلى العروس. والفزعة في مجتمع البحث وهي كلمة تعني موكب العروس، أي أهل العريس .

للمرأة دوربالغ الأهمية والحيوية في تشكيل الثقافة المجتمعية لاسيما الأسرة.باعتبارها **"الأم الزوجة، الأخت، الجدة، الخالة"**ومن ثم فقدرتها على التأثيرفي نقل العادات والشعائر والطقوس وما يحيط بها من معتقداتبإعتبارها خزان الذاكرة الشعبية، وحامله إلي أي مكان كموروث ثقافي تمتد بداياته إلى عصورسابقة. حيث تعمل المرأة على حفظ النسب والاهتمام الشديد به، ما دفع بها إلى الاهتمام بصيانة المرأة والمحافظة على حسن سلوكها وعفتها. من خلال تنشئتها على قيم ومعايير خلقية ودينية ومجتمعية باعتبارها "**الأنثى**" ووعاء للنسب. وعليه وجب التحري فيإختيار الزوجة المناسبة. ومنه الحرص الشديد على كمال الخلق والعفة والسمعة ولن يتسنى ذلك إلا إذا قامت المرأة (**الأم**) بدورها في الحفاظ على سمعة البنت وشرفها، من خلال طقس رمزي يدافع عن هذه القيم والمعايير التي تؤسس لمستقبل المرأة وتؤهلها للزواج.والبرهنة على رأس المال الرمزي الذي يستمر به البناء الاجتماعي"الأسرة"،والذي خبرناه من خلال تواجدنا طيلة هذا العمل الحقلي باعتبار طقس"التصفاح" بمثابة إختبار للعذرية وإثبات للبكارة وإشهار للفحولة في الوقت ذاته.

تحرص المرأة الشاوية على شؤون أسرتها وتتولى مهمة الأعداد والتحضير لزواج الأبناء**"ذكور- إناث"** لما يعطي الإنخراط في مؤسسة الزواج لكلا الجنسين من مكانة ومركز.حيث يصبح للمتزوج قيمة تحري تزويج البنت أمرضروري ولازم تجنبا للعنوسة لما فيها من إنقاص للقيمة وتهميش إجتماعي يصاحبه ضغط نفس-إجتماعي.كما يعد الإنخراط في مؤسسة الزواج رفع في المكانة وزيادة في الإعتراف والتقدير المجتمعي. فالمرأة والرجل قبل الزواج قاصران غير راشدان حتى وإن تقدم بهما السن، في حين تتغير هذه النظرة بعد الزواج أين يضطر المجتمع الإعتراف بهما كشخصين راشدين فيضفي عليهما "الزواج" الوقاروالهيبة وينظر إليهما بعين النضج. حيث إننا من خلال معايشتنا لمجتمع البحث التقينا بحالات كثيرة من بنات المجتمع المحلي اللواتي تحدثن عن تهميش المجتمع وخاصة العائلة للفتاة التي لم تتزوج على الرغم من مستواها العلمي والاقتصادي غيرأنها تبقى منقوصة ومهمشة من دون زوج يمنحها المكانة الاجتماعية. وأننا عند الحديث عن العادات والتقاليد وجدنا أن المرأة ترغب في الاقتران بالشريك"الذكر"في مجتمع محافظ مبني على الهيمنة الذكورية.

صحيح يعد الرجل في هذا المجتمع رب العائلة ومالك السلطة في الأسرة غير أن المرأة دورها أساسي تظهر تجلياته وسلطته في الإحتفال وهيمنتها على كل التحضيرات.إذ تتولى الأم مهمة الإختيار والتحضير لزواج الأبناء. حيث يتميز سلم القيم بالمنطقة(باتنة)وقراها بنفوذ وسلطة المرأة في تسير شؤون الأسرة عامة وفي مراسيم الزواج خاصة. حيث تسهر على حضور عادات وطقوس الأجداد الذي تنقله وتمرره للأجيال كونها خزان للذاكرة الجماعية من" **غناء، رقص، لباس، آكل، ممارسات"** الذي يحاكي تراث الأجداد ويعبر عن خصوصية المجتمع. إلا انه رغم هذا السعي من المرأة والحرص في صمود هذه العادات والطقوس إلا أن هذه الأخيرة لم تسلم من بعض مظاهر التغير والتبدل الذي مس بعض جوانبها المادية واللامادية ويعد طقس التصفاح أكثر هذه العادات التي لم تصمد، حيث محته العصرنة وأنهاه التحديث كآلية فعالة للحفاظ على العذرية إعتمد عليها الجيل السابق واحتكم لفاعليته وسلطته.

ثانيا: الطقوس والقيم المجتمعية:

1. مفهوم الطقوس:

عرف علماء الأنثروبولوجيا الإجتماعية الطقوسبأنها "مجموعة حركات و سلوكيات متكررة متفــق عليها"، والطقسكلمة تعني عادات وتقاليد مجتمعمعين . كما تعني كل أنواع الإحتفالات التي تستدعي معتقدات تكون خارج الإطار التجريبي . وهي تعتبر إعادة خلق لماضي غامضيتميز بالتكرار. ومن خلال التكرار يضمن إستمرارية الماضي.[1]

- **تعرف الطقوس بأنها** :" أساطير تتحرك" تستند على م جموعة إشارات وإيماءات وإيقاعات جماعية وأحيانا فردية، وما هي سوى وسائلسحرية تقنية وإن كانت وهمية، فهي تخضع للسيطرة لأن

1- مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج2، مكتبة النهضة، الجزائر، 2004ص34 .

الأسطورة هي مؤسسة الفعل المقدس، فهي تسبقهوتضمن بقاءه .وان القيام بأي عمل هو تجديد لتجربته الأولى".

- يرى "**أريك فروم** "Erich Frommأن الطقس ليس في النهاية سوى تعبير رمزي عن الأفكار والمشاعر بواسطة الفعل. إذا ان الطقس بناء اجتماعي مستتر ولاشعوري.[1]

- عرفـJ.Cazeneuvالطقوس على أنها سلوك يتكرر تبعا لقواعد ثابتة . بحيث أن انجازها يؤدي إلى فائدة وان فاعليتها من نسق خارج الإطار التجريبي على الأقل ، كما أنها جزء لا يتجزأ من التراث الإجتماعي الثقافي من ثقافة المجتمع المحلي.[2] وان لهذه الطقوس الإحتفالية مفهوم إجتماعي وثقافي انتهجه المجتمع الذي وجدت فيه وانتقلت للأفراد المنتمين إليه كفاعلين في إنجاح الطقس الإحتفالي بكل مضامينه السويسو-ثقافية التي تسيرها العادات والتقاليد،بإتباع طقوس معينة لإقامة العرس . كليلة الحناء التي تعد حجر الزاوية ، حيث تظهر فيها كل العادات ويوم العرسوما يتخلله من قيم ومعايير إلى غير ذلك من الممارسات التي أصبحت مشتركة بين أبناء المنطقة أوالجهة .وقد يتكرر الفعل عدة مرات وفي أماكن مختلفة. لأنها تشعر المنخرطين فيها بالراحةنظرًا لتلقائيتها في تشكيل الروابط الإجتماعية.

2. تصنيفلت الطقوس في الحقل الأنثروبولوجي:

أول من استخدممصطلحطقوسالعبور Les rites depassageارلند فان جينيب **A.v.Gennep**حيث صنفها إلىثلاثة أصناف كبرىوالتيتصاحبالإنسانفيدورةحياتهوتميزإنتقاله منحالة إجتماعية statut sociale إلىحالةإجتماعية أخرى،وهيعبارةعن فترات تزامنية معينة.

- طقوس المرور Les rites de passage
- طقوس التضحية Les rites de sacrifice
- طقوس التطهيرLes rites de purification

1- نور الدين طوالبي، نورالدينمرجع سابق، ص.34

2-J.CAZENEUV، Sociologie de rite، PUF، paris, 1971، p.p16.17

- حسب **A.v.Gennep** إن الطقس يظهر كفعل مطابق لعرفجماعي تندرجفعاليته على المستوى ما فوق الطبيعة، وهو يتجلى بكل خصوصية في العادات والتقاليد العرفية التيتبرز ذاتها، ليس فقط داخل العالم الطبيعي بل وكذلك في علاقة الإنسان بالعالم ما فوق الطبيعي.[1]

- طقوسالانفصال وتقاممراسيملذلك.
- طقوسالاندماجتقاملأجلاعادةالقبولبوضعجديد (الختان، الزواج)
- طقوسالعبور أوالطقوسالهامشية (حمل، خطوبة...)

2. مميزات الطقوس:

- تجمعاغلبالدراساتالتيكتبتفيهذاالمبحثما

منتجمعبشربإلاويحملفيأعرافهوتقاليدهومعتقداتهالشعبيةجانبامهمامنالممارساتالطقوسية، والإتفاق علىأنسمتيالثباتوالتكراريضمنانصحةالطقوسوفعاليتهاومنهممنيرفضأنيكونكلفعلمتكررفعلاطقوسيا.

- تقام الحفلات والطقوس بين حين وآخر لتعميق هذه المعتقدات في مناسبات متعددة تمجيد أو إقرارا لها في النفوس. ولهذا تعتبر الطقوس والحفلات وسائل هامة للمحافظة على النظام الاجتماعي، كما أنها إعادة خلق لماضي غامض يتميز ب:

- **التكرار**: أساس السلوك الطقسي، فالطقس من خلال التكرار يتضمن إستمرارية الماضي.
- **الهدف الديني:** وهو إعادة إنتاج ما تندرج فعاليته في سياق خارج الإطار التجريبي.

يميل الطقس من خلال تكرار وإستدامة القواعد التي تثبته إلى تكريس ديمومة الحدث الإجتماعي الذي أوجده فهو إعادة خلق الماضي.و سلوك يتكرر تبعا لقواعد ثابتة. بحيث القيام بها يؤدي إلى إثارة ذات فائدة يسعى الطقس بمختلف بدائله "**التطهيري، السحري**" إلى إعادة التوازن الداخلي للأفراد والمجتمع.

3. طقوسالعبور وشعائر المرور Rites de passage:

1- محمد عاطف غيثمرجع سبق ذكرة ،ص. 374.

حسب**"A.v.gennep"** هذا المفهوميتعلقإما بتغير السن والمكانة الإجتماعية للأفراد أثناء دورات حياتهم"الولادة،الختان،المراهقة،الزواج،الموت" أو تغيير الفترات " الأعوام، الفصول المكان" حيثوصفها على أنهااللحظة التي ينتقل فيها الطفلدون إرادة أو إختيار من الطفولة إلى المراهقةأو من المراهقة إلى الشباب وبداية الكهولة ، ومن وضع سلبيّ مهمّش اجتماعيّا إلى وضع فعّال وإيجابي .[1]بحيث تمرهذه الممارسة حسبه عبر ثلاث مراحل "مرحلة التخلي- المرحلة الهامشية- مرحلة الاندماج "وعادة ما تكون مصحوبة بإقامة إحتفالات ورقصاتتتفاعل من خلالها الجماعات الإجتماعية التي تشارك في إقامتها .وأن هذه الإحتفالات تمكن الفرد من التخلي عن مكانته الإجتماعية السابقةوالحصول على مكانة أوهوية جديدة، ويكون في بعض المجتمعات طقوس العبوروالمروربطقوس تكريسيه قاسية. فكأن الفرد ينتقل من موت رمزي إلى ولادة رمزية جديدة.

وتعتبر طقوس البلوغ من أعظم طقوس التكريس في طبقات العمر، وفيها يتم ختان وطهارة الفتيات والفتيان، كما يحدث فيها أحياناأنواع من البتر مثل خلع بعض الأسنان وتشريط الجلد... وغيرها وهناك طقوس أخرى يتم عن طريقهاإختبارالمقدرةعلى إخماد النيران وإضرامها. وتمثيل دراما الوفاة والبعث وتقديمالأضحيات وإقامة الشعائر التطهيرية.وهناك طقوس أخرى للعفوعن المذنبين الذين يستحيل تكريسهم دونالمرور بتلكالطقوس التكفيرية أوالتطهيرية[2].وتتمثل في المراحل التالية:

أ.**البلوغ وطقوس التكريس:**يعتبرهذا الشكل من الطقوس تغيير للمكانة الإجتماعية، في مختلف المجتمعاتالبدائية أوالتقليدية . إذ انه للأطفال البالغين مرحلة مهمة تصاحبها مجموعة من الطقوس التكريسية المعقدة نسبيا . فهي تمثل كذلك إستعد اد البالغ للدخول في مرحلة الزواجوتكوين الأسرةوالمساهمة في الحياة الإجتماعي ة من خلال تأدية كل من الفتيان والفتيات خلال هذه المرحلة مجموعة من الشعائر والطقوسالقاسية، مثل **"خلع الأسنان أو بردها ومط الشفاه والآذان، وخرم**

1-مرفت العشماوي عثمان مرجع سابق، ،2011.

2- محمد عبده محجوب طرق البحث الانثروبولوجي،النسق القرابي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1985، ص22.

الأنفوالأذن "وان هذه التغييرات الجسدية لا تنقص من وضعية الأفراد داخل المجتمع، بلبالعكس تعتبر كولادة ثانية وكمرحلة حاسمة لبلوغ سن الرشد عن طريق خضوع الفردلقيم ومعايير الجماعة الإجتماعية المنتمي إليها.وحسب ما ذهب إليه **"اميل دوركايم"** Emile Durkheimفإن الفردعموماوعن طريق مقاومته للألم يكون قد إكتسب نوعا من التحكم ليصبح أقوى منالطبيعة بكونه قد تغلب عليه اوان هذا العبور يجسد الإمتثال لقانون الجماعة ومتطلبات العبور للوضع الآمن.

ب. **طقوس التطهير:**وهي تتمثل في كل الممارسات التي من شأنها تجنب كل ما يلحق الضرر ماديا أومعنويا بالفرد والجماعة عن طريق النظر أو الشم أو اللمس أو الكلام . ويكون ماديا ومعنويا وأن هدف هذا السلوك هو الإنتقال من العالم الدنيوي إلى العالم المقدس ، وفي عملنا هذا يتمثل من خلال إخضاع الفتيات إلى **"التصفاح"** من **"غلق- فتح"** وما يمثله في مجتمع البحث كطقس مرور وتغير في المكانة الإجتماعية. فمن خلاله تعبر البنت إلى مرحلة البلوغ وتنتقلمنمرحلة إجتماعية وعمرية معينة إلى مرحلة أخرى تخرجها من الوضعية الهامشية، والتي تخضع للخصوصية الثقافية لكلمجتمعوتعتبر متصلة بدورها بممارسات أخرى كالسحر والتجميل والزينة من أجل إنجاح الطقس.[1]

4. طقوس العبور المؤثّرات والوظائف:

طقوسالمرورلهاصلةبالحياةالدورية،فهيتجسدإنتقالالفردمنحالةإجتماعيةالىحالةإجتماعية أخرى والإنتقاليعتبرمرحلةترقيةإجتماعيةيشعربهاالإنسان. وا نّ طقوس العبور تحمل رواسب مراحل متعددة (إسلامية، دينية، ...) وهي رواسب تدمجها على التدريج في المنظومة الطقسيّة. أمّا من حيث الوظائف فقد تعددت ما بين الدينيةوالإجتماعيةوالنفسيةعلى التوالي:

أ. **الوظائف الدينية**:كل طقس يعبر بالإنسان من الدنس إلى الطهر ومن الدوني إلى المتعالي. وحسب **"مارسيل موس" Marcel Mauss** أن التضحية ذات طابع ديني ومركزي في تحليل الطقوسي

1-محمد حمادي، البنية الرمزية للجسد ومظاهره الطقوسية والتعبيرية مقاربة انثربولولجية، مجلة الواحات للبحوث والدراسات العدد 112011، ص221.

في كل مظاهر الإحتفال التي ترافقه، ويعد الطقس فعلا رمزيا ذا نجاعة وفعاليةإذ يتمّ الإنتقال بالإنسان من وضع قلق مشوّش إلى وضع مطمئن، بإدراجه في سياق قدسي خارج الإطار الدنيوي. وهي جزء لا يتجزأ من التراث الإجتماعي الثقافي ومن ثقافة المجتمع المحلي.

لم تعدعلاقات الطقس معماهودينيبحاجةإلىبرهنةفكلدينيأفرزطقوسخاصةبه يستخدمها.

وعليهفالحدثالأولهوالذيأوجدالطقسوجعلهآنياومبجلاً. حيثيبحثالإحتفال

الطقسيعنمناسبةللتقربمنالقدرةالفوقطبيعيةالتيتقلقوتهمينفينفسالوقت وتظهرخاصّةفيحالتيالطهارة" **عند الولادة والختان والزواج** "اذ يتم الانتقالبالإنسانمنوضعقلقمشوّشإلى

وضعمطمئنبإدراجهفيسياققدسيخارجالإطارالدنيويّالذييعيشفيه.

ب.**الوظائف الاجتماعية** :تساعد طقوس العبورالفرد في الإنخراط في الجسم الإجتماعي وفي الإنتماء إلى المجموعة . فتتحدّد عندئذ علاقات إجتماعيّة ويكتسب هويّته. وبعبارة أخربللطقوس وظيفة إجتماعيّة أساسهاتوجيه السلوك البشري ومراقبته والتحكّم فيه على نحو إلزامي إكراهي يحدّ من حرّيّة الإنسان ومن إختياراته. فالممارسة الطقوسية هي ممارسة جماعية بالأساس ولا يمكن أن تولد من رحم جماعي ولا فردي ومن وظائفها توطيد العلاقات الإجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد. فالعبور من مرحلة إلى مرحلة يحتاج إلى سند معنوي يوفره له المحيط الإجتماعي الذي يعيش فيه، وتبدو الأقدر على التأثير في الفرد والجماعة والمساهمة في تنظيم المجتمع وحماية وحدته وقيمه وثقافته.فالفرد يقوم بهذه الطقوس ويحترم قواعدها منها التكرار والمراعاة، وهو مدعم بفكرة المشاركة الإجتماعية والوجدانية متأثرا بمحيطه الإجتماعي والثقافي، بإعتباره فرد من الجماعة التي ينتمي إليها. بمعنى الوسط الإجتماعي بما يتضمنه من عادات وتقاليد ومعتقدات إجتماعية مرتبطة بالنظم والأنماط السلوكية.فهذه الطقوس الإحتفالية لها مفهوم إجتماعي وثقافي أنتجه المجتمع الذي وجدت فيهوإنتقلت للأفراد المنتمين إليه كفاعلينفي إنجاح الطقس الإحتفالي بكل مضامينه السويسو-ثقافية التي تسيرها العادات والتقاليد. فتسهل من الإتصال الإجتماعي المنبثق من الروابط والتماسك بين الأفراد في مناسبات الزواج التي تتجسد فيها الروابط

الإجتماعية وتتطورفيها أواصر المحبة والعلاقات الأسرية وتظهر المساندة الوجدانية ويرتبط الإتصال بسيكولوجية السلوك الجمعي، فيتحررالفرد في الجو الإحتفالي من الفردنة إلى المشاركة الجمعية والإنخراط المجتمعي بكل أشكاله.إنها عقد إلتزام بالقيم المتعلقة بالتسامح والتضامن والإندماج الإجتماعي والثقافي.فالفرد يقوم بهذه الطقوس ويحترم قواعدها منها التكرار والمراعاة وهو مدعم بفكرة المشاركة الإجتماعية والوجدانية متأثرا بمحيطه بإعتباره فرد من الجماعة التي ينتمي إليها. بمعنى الوسط الإجتماعي بما يتضمنه من عادات وتقاليد ومعتقدات إجتماعية مرتبطة بالنظم الإجتماعية والأنماط السلوكية[1]وهي جزء لا يتجزأ من التراث الإجتماعي الثقافي ومن ثقافة المجتمع المحلي.

ج. وظائف الطقس الرمزية :إن المقصود في هذا المنظورهو تبيان أنه مهما تكن الدوافع الإجتماعية والدينية يوجد دائما دافع سيكولوجي، لذا يجب بالضرورة أن توضح الدوافع السيكولوجية التي تتضمنها السلوكات الطقسيةالتي تنبعث فجأة في فترات الأزمة الاجتماعية. و يقترح **إريك فروم** Erich Frommإن الطقس ليس في النهاية سوى تعبير رمزي عن الأفكاروالمشاعر بواسطة الفعل، وقد وضح هذا البعد الرمزي للطقوس من خلال مشابهة رمزية بين طقوسالزواج وطقوس الختان في كل من الجزائروالمغرب وذلك بهدف تفسير أسباب تعميم الفعل الطقسي . فالطقوس هي ربط الحاضر بالماضي والفرد بالجماعة. وحسب نور الدين طوالبي أنها مناسبة لعرض مجموعة من الرموز المادية التي تهدف إلىإشباع ظروف منافسة إجتماعية.[2]

- **الوظائف ثقافية**: لها دور كبيرمتعلق بالموروث الثقافي المتوارث من الأجيال السابقة، فهي تمثل نظاما دقيقا للعلاقات الإنسانية داخل الجماعة الواحدة، فتتيح لهم ما يجب فعله، ومالهم من حقوق وما عليهم من واجبات إتجاه أنفسهم واتجاه الآخرين، وهذا يؤدى إلى الكثير من الإستقرار والإنضباط داخل الجماعة الواحدة وفي علاقتها بالجماعات الأخرى،وهي تعيش ما عاشته العادات والتقاليد العامة والخاصة التي أوجدتها، فهي غير جامدة ويظهر عليها التغير البطيء أو التدريجي.

1- فوزية ذياب،مرجع سبق ذكره، ص47

2- نور الدين طوالبي، مرجع سبقذكره ،ص112.

- **الوظائف النفسية:** تتجلى من خلال تحقيق جملة من الرغبات الواعية وغير الواعية، ذلك أن الطقوس تيسر عملية العبور من حال إلى حال بطريقة سلسة القصد منها "حماية الشخص من الآثار النفسيّة السلبيّة والانحرافات التي يمكن أن تنجرّ عن حدث العب ور. وان الاختلافات في سلوك الأفراد تذوب وتضمحل في الحشد، وتجد السلوكات مبررا لها بفضل الإندماج في الجماعة. والإتصال الإجتماعي المؤسس للتوازن النفسي والإجتماعي. ولها من الفاعلية السيكولوجية ما حمل الباحثين على إعتبار الوظائف النفسية الدافع الأساسي والأولي للممارسة الطقوسية. وان الاشتراك في ممارسة الشعائر والطقوس يعني الإشتراك في المجتمع والإشتراك في تراث الآجال.

- **الوظائف التفاعلية:** يتضمن التفاعل مجموعة من التوقعات منها تأكيد الروابط الإجتماعية والعلاقات الإنسانية ومشاركة الجماعة والمساندة الفردية المرتبطة بروح الجماعة، فهي إظهار لأهمية اللقاء الإحتفالي أثناء الطقوس الإحتفالية أين تظهر أشكال التضامن وتوثق العلاقات الإنسانية، و إظهار التعبير القولي (اللفظي) والتعبير الجسدي، وكل العمليات المعنوية التي يصعب رصدها وضبطها تميل إلى المشاركة الوجدانية والشعور بالفرح.

- **وظائف اقتصادية:** المناسبة تفتح المجال للمعاملات المالية، من خلال إقبال العائلتين على المعاملات المالية المنظمة والمخطط لها"المهر- الشرط"، وأحيانا يتجسد فيها البعد الإجتماعي القائم على المساعدة والهبة (الهدايا التعاون، التضامن) الذي يبديه الأهل والأقارب لعائلة أهل العروسين، إذ يعد الجانب الإقتصادي المبني على المعاملات المالية مهم لإتمام الزواج. فبواسطته ينظم الإحتفال وتحدد الأولويات (المهر،الجهاز، الوليمة، الهدايا) وغيرها من الترتيبات التي يمرعبرها الإحتفال بالزواج.

- **الوظائف الانفعالية**: تسهل من الإتصال الإجتماعي المنبثق من الروابط والتماسك بين الأفراد في مناسبات الزواج. التي تتجسد فيه الروابط الإجتماعية وتتطور فيها أواصر المحبة والعلاقات الأسرية وتظهر المساندة الوجدانية. ويرتبط بسيكولوجية السلوك الجمعي في تحرر الفرد في الجو الإحتفالي من الفردنة إلى المشاركة الجماعية والإنخراط الجمعي بكل أشكاله.

تعتبر الممارسات الإجتماعية والطقوس والإحتفالات أنشطة إعتيادية تتهيكل حولها حياة المجتمعات ويشارك فيها كثير من أعضائها ويعتبرونها ذات صلة بواقعهم وتؤكد بالنسبة لممارسيها هوية الجماعة، وهي ترتبط بمناسبة هامة تتصل إتصالا وثيقا بتصوراتهم وتاريخهم وذاكرتهم الجماعية. وتتباين هذه الطقوس والممارسات من فاعل إلى أخرى وبين الجماعاتوالأسر غير انه هناك الكثير من التداخل فيما بينها ، فهي تشكل جزء أساسي من الحياة العامة مفتوحة أمام جميع أفراد المجتمع. وقد يقتصر الإنخراط فيها في بعض الحالات على أفراد معينين وأوقات محددةمثل ما يحدث في طقس "التصفاح " الذي يتطلب حضور" **ممارسة- ممارس عليها والفاعلة- المفعول فيها** "ومنه نستخلصأن الطقوس تعملعلىتثبيتوتأكيدالقيموالعاداتالإجتماعية، وتحققالضبطالإجتماعي،كماتحدد أنماط السلوكالمرغوبةوتحقيقالراحةالنفسيةللأفرادالمشتركينفيهاوتخليصهممنالقلق والتوتر.كما تقويالعلاقاتوالروابطالإجتماعيةبين أعضائها منخلالالإشتراكفيالممارساتالإجتماعية،وتسهمفيتغيرالمكانةوالمركزالإجتماعيأثناءمراحلالعمرالمختلفة حيث تعمل على:

- إمداد الأفرادالمشاركينفيها ببعضالأساليب ووسائلالضبطالإجتماعي.
- تقوي الروابط الإجتماعية ومنه التخلص من الإضطرابات والتوتر وتشعرهم بالطمأنينة.
- الوظائف النفسية الدافع الأساسي والأولي للممارسة الطقوسية.تساهم في تغيير المكانة والمركز للشخص، فهي تصاحب طقوس المرور التي تقع بين مراحل العمر المتمايزة .تثبيت وتأكيد القيم ويظهر ذلك من خلال الاحتفالات بعقد القران الذي يتضمن ترديد بعض العبارات التي تشير إلى قيم الحماية فتعيد المرأة إنتاج القيم في علاقتها بذاتها وبأنوثتها .[1]

1- أمينة الفردان، الأنثى والموروث الثقافي القروي 'دراسة اثنوغرافية في قرية بحرينية أنموذجا كرزكان'، الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر ،البحرين، ط1، 2016. ص76.

المبحث الثاني:

الزواج ونسق القرابة بين الماضي والحاضر

مقدمة:

إذا كان الزواج حاجة فطرية دعت إليها الطبيعة الإنسانية النازعة للإجتماع ب إعتبار الإنسان كائن إجتماعي فهو أيضا مؤسسة ضرورية وإطار مقبول قانونيا وإجتماعيا. وطقس مرور تكمل مجموع ة من الطقوس الأخرى المرتبطة بدورة الحياة ، والتي تسيرها دينامية العلاقات الاجتماعيةوالثقافية. هذا الأخير يعد من أقدم وأعرق النظم الإجتماعية التي عرفتها المجتمعات الإنسانية منذ بدء الخليقة على تعدد أنماطه وأشكاله. إلا أنه عرف تغيرات مست أساليبه والياته عبر الأزمنة المتعاقبة، إلى أن صارعلى ما هو عليه الآن.فلم تسلم ممارساته الطقوسية هي الأخرى من التغير والتبدل بحركية الزمان والمكان وبتأثير الفاعلين خاصة المرأة الناقل الثقافي والمحافظ عليه.

لقد تغيرت ممارسات المرأة الشاوية لهذه العادات والطقوس تبعا للمتغيرات الإجتماعية والثقافية، وتبعا لطبيعة الحاجة المجتمعية، وبذلك تبدلت وتغيرت هذه المؤسسة الإجتماعية تبعا لهذه التغيرات وأنتجت أنماط وأشكال جديدة.غير أنها لقحت بروح الماضي التقليدي . وعليه سنحاول جاهدين من خلال هذا المبحث الوقوف على الزواج والنسق القرابي في منطقة باتنة بين الماضي والحاضر.بإعتباره الخطوة الأولى لتأسيس العائلة والأسرة بإعتبارها الخلية الأولى في المجتمع منها ينشأ الفرد ويضل عضوا فيها طيلة الحياة. وهي التي تنقل له الشفرات الثقافية والاجتماعية والوعاء الذي تتشكل فيه ذات الفرد وتوضع فيه السمات الأساسية للضوابط المجتمعية كونها الركيزة الأساسية لبناء المجتمع وتوحيد النسيج الاجتماعي والثقافي في شكل يبرز هويتها ، [1] بما تحمله من عادات وطقوس تضرب في عمق الموروث الثقافي، والتي تستمد استمرارها من ممارسات المرأة الشاوية في منطقة باتنة على وجه الخصوص من خلال إبراز مفهوم الزواج والتعرف على أشكاله وأهم أنواعه ومن ثم إبراز الممارسات الطقوسية للمرأة الشاوية التي ترافق الزواج طيلة محطاته لنصل إلى أهم مظاهر التغير والتحولات السوسيو-ثقافية التي مست هذه الممارسات الطقوسية، لنصل في الأخير لفك شفراتها وفهم دلالاتها الرمزية.

أولا: الزواج والنسق القرابي:

1- احمد زايد، الاسرة العين التي لا تنام" الاسرة العربية في عالم متغير" مطبوعات مركز البحوث الراسات، القاهر2011،ص99.

يمثل الزواج أهم النظم الإجتماعية وأساس تكوين الأسرة التي هي النواة الأساسية في بناء المجتمع منخلال إمداده بالأفراد وتنشئتهم تحت سقف الرابطة الشرعيةبين الجنسين . المتصفة بالإستمرار والإمتثاللللمعاييرالإجتماعية والدينية .وعلى هذا الأساس فـإن الزواج يعد أصل الأسرة وجوهر تكوينها. بلإعتباره المدخل الطبيعي والشرعي إلى عالم الأسرة. وتعني كلمة زواج عند معظم الناسإتحادرجل وإمرأة على أساس الود المتبادل، ويستمر هذا الإتحاد مدى الحياة. وانالإقدام على الزواج ليس بالأمر الهين إذ يعد بمثابة مشروع إجتماعي يساهم في إنجازه مجموعة من الأشخاص. لهذا من الواجب فهمه.

1. مفهوم الزواج:

يعتبر الزواج إتحاد الرجل والمرأة اتحادًا يعترف به المجتمع عن طريق حفل خاص وهو متأصل بالعائلة، أي أنه أساس تكوين ونشوء الأسرة. ولقد اختلف العلماء في تحديد مفهومه كل حسب إختصاصه، حيث سنقف عند بعض التعريفات منها:

- **أحمد الشرباوي**: عرفه من الناحيةالبيولوجية بقوله "أنهنظام إجتماعي معروف . أساسه علاقة رجل بامرأة يعترف بها القانون ويقرها العرفوالتقاليدوتتضمن هذه العلاقة حقوق والتزامات على الزوجينمعا وعلى الأبناءالذين يولدونتيجة لذلك الرباط".[1]

- **المضمون الإجتماعي للزواج** يتعلق بالموافقة الإجتماعية التي تكون على شكل عقد شرعي توقعهاالأطراف المعنية التي تدخل في إطار الزواج . وهو الذي يحدد العلاقة الإجتماعية والجنسية التي تقعبين الزوجين ،وعن طريقها يحدد العلاقة العاطفية والنفسية والروحية التي تقع بين الأبوين والأطفال.وعليه فللزواج هو وسيلة لإستمرار الحياةودوامهاوإنجاب الذرية، وهو حجر الأساس والدعامة الكبرى التي يقوم عليها بناء الأسرة.كما يعد رابطة مقدّسة لما تقوم عليه من المعاني الإنسانية والعاطفية أكثر مما يقوم علىأي معنى آخر.[2]

1محمد يسرىإبراهيم، مرجع سبق ذكره، ، ص.16.

2- إحسان محمد الحسن، ، مرجع سبق ذكره، ص48.

- **الزواج من الناحية الانثربولوجية** : الزواج ظاهرة إجتماعية معقدة، ويرجع ذلك إلى إختلاف دورهوعناصره ونظمه بدرجة واضحة تصل إلى درجة التناقض.اذ يعد رابطة مقدسة أو شرعية تجمع بين الرجل والمرأة يتوقف عليها بقاء النوع البشري. [1] ويعرفه علماء الأنثروبولوجيا على أنه علاقة بين رجل أو أكثر من امرأة أو أكثر يقرها القانون أو العادات وينطوي على حقوق وواجبات معينة تترتب على إتحاد طرفين.[2]

2. أنماط وأشكال الزواج:

نظام الزواج من أقدم وأعرق النظمالإجتماعية التي عرفتها المجتمعات الإنسانية منذ بدأ الخليقة، إلا أنه عرف تغيرات مست أساليبه وآلياته لإتمامه عبر الأزمنة المتعاقبة إلى أن صار في الشكل المتعارف عليه اليوم.

فان كان الزواج قد نشا عن حاجة فطرية دعت إليها الطبيعة للحاجة للإجتماع ولان الإنسان كان إجتماعي بطبعهفهو يمر بمراحل بداية من (التعارف، الخطبة، إبرام عقد الزواج) كما نه لم يبقى على حال واحدة. فلقد تغيرت أشكاله وأنواعه تبعا لطبيعة المجتمعات. والأزمنة التي مرت بها والأمكنة التي عاشت على أرضها.وهناك إجماع في علم الإجتماع والأنثروبولوجياعلى أن تاريخ الزواج الإنساني قد عرف عدة أشكال منها:

أ. أشكال الزواج:

-**الزواج الأحادي**Monogamie: يعتبر من الأشكال الشائعة في الكثير من المجتمعات والذي يقوم على أساس أن الرجل لا يتزوج إلا امرأة واحدة ولا يحق للمرأة إلا أن تكون في عصمة رجل واحد ولقد دعت إليه كل الديانات.إلا أن هذا لا يعني ضرورة حدوث الزواج مرة واحدة، بل قد يكون عدة مرات لضرورة الوفاة أو الطلاق بين الطرفين.

1- عامر مصباح، علم الأنثروبولوجيا، جار الكتاب الجديدة، القاهرة،2010، ص219.

2- غريب احمد وآخرون علم اجتماع الأسرة، الازاريطة، دار المعرفة الجامعية،2001، ص25

حسب مجتمع البحث الذين قابلناهن على إختلاف سنهم ومستواهم الإجتماعي والتعليمي فإن هذا النوع من الزواج متأصل في المجتمع الشاوي ومفضل لدى الكثير من الأسر التي قابلناها.

" الراجل الشاوي ما يتزوج علا مرتوا بلا سباب، وحتى إذا حب يعاود الزواج، دارهم ما يقبلوا خاصة اذا بنت العرش والفامليا واذاكانت عندها الأولاد معاه كلش غير الضرة (الزوجة الثانية) ما تكونش.انأ مثلا بابا حاول يتزوج على يما(أمي) لكن عمي أخبابا وعمهم الكبيرلي رباهم وقف في وجه بابا وقالوا موحال تجيب امرأة للدار ومرتك عندها أولاد...وزيد بنت العرش،وفحلة وزينة ....عمهم رباهم على إحترام الزوجة كيما كامل الرجال الشاوية ....المهم الزواج ما تم وبابا بقا معانا ومعاودش الزواجودايما يحيكهالخاوتي ويقلهم الراجل غالط إذا بدل أم أولاده. (المقابلة رقم07)

المرأة لها مكانة كبيرة في المجتمع قيد الدراسة (باتنة) خاصة إذا توفرت فيها شروط وعلى رأسها إنجاب الطفل الذكروانتمائها للعائلة (القرابة). كما أن معيار الجمال وصغر السن يعتبران كأحد قرائن الإعتراف والتمسك بالمرأة.فهي تمنحها المكانة وتضمن لها إستمرار الحياة الزوجيةإذا ما صادفتها عوارض من بينها رغبة الزوج في الزواج مرة أخرى بامرأة ثانية أو ما يسمى بتعدد الزوجات. إنها تتمثل كمعطى وقيمة تدافع عن مكانة المرأة ضمن منظومة المفاهيم والمعايير والقيمة الفردية والجماعية.

- **تعدد الزواج** Polygamie: يجمع الزواج الداخلي Endogamie والذي يعني الزواج من داخل القبيلة (أو/و) العشيرة (أو/و) البلدة. ويعني بذلك زواج الأقارب، وهو إختيار للشريك من داخل العائلة ضمن القرابة (أو/و) قبيلة (و /أو) طبقة اجتماعية(و /أو) طائفة دينية وان القاعدة تقتضي بأن يتخذ الفرد شريكا لحياته ضمن الجماعة التي ينتمي إليها، ويمكن أن تكون الجماعة المقصودة إما مجموعة أقارب أو جماعة من الناس يتشاطرون هوية أو قومية واحدة.[1] فيتزوج الفرد من داخل القبيلة ويعتبر عضوا منها

1- فريد بريك معتوق ، معجم العلوم الاجتماعية، لبنان، أكاديمية،1998، ص.143.

حفاظا على تجانس الجماعة، وان الأسر التي شاركناها أفراحها تعتبر هذا النوع من الزواج بمثابة إستقرار نفسي وأسري للزوجين وعائلتهما .

راح نتزوج بولد خال يما. ...خطبوني كي كنت نقرا في الجامعة ويما وافقت، وقالت لي اقبلي بيه، إلي تعرفيه خير من إلي متعر فيهشوزيد هو وليد العرش، راح تعيشي مهنية فاميلتوا هي فميلتك....تشوفي أهلك في كل مناسبة ... وأنا قبلت بيه كيما خواتاتي لبنات في زوج متزوجين من لفامي...صح بعاد بصح شوية بصح المهم ماهوش براني. (المقابلة رقم 10)

يحيلنا هذا الحديث الحميمي إلى القول أن المجتمع لا يزال يفضل الزواج الداخلي المبني على القرابة لعدة إعتباراتأهمها الإطمئنان على مستقبل البنت خاصة من الطلاق.كما يعتبر ظاهرة إجتماعية ذات إرتباط جذري بالعادات والتقاليد وينظر إليها أفراد المجتمع على أنها مصدر أمان إجتماعي واستقرارعائلي ونفسي، وهو جزء لا يتجزأ من الثقافة الإجتماعية السائدة حتى يومنا هذا في البلاد العربية وميدان الدراسة خاصة. فاإبن العم وإبن الخال أولى بالفتاة من الشخص الغريبوبناء على ذلك فلا يحق لها رفض الخاطب الذي ينتمي إلى العائلة(عم - خال) ويجب عليها الإمتثال للعرف القاضي بتزويج البنت للقريب أحسن من الغريب "**بن عمها يحمل همها** " فرغم التعلم والعمل لكلا الجنسين إلا أنهما مجبرين لسلطة العرف الذي انشئوا عليهوالرافض للزواج من كلا الجنسين في نظر الإهل كالخارج عن القانون.

-**الزواج الخارجي** Exogamie: تمنع زواج الفرد من مجموعة معينة من الأفراد فتحرم الزواج من الأم وابنها والوالد وإبنته والأخ وأخته...الخ حيث تعد قاعدة عالمية.

-**تعددالزواجات** Polygynie:يشير إلى زواج رجل واحد من عدة نساء، ويعد من أكثر الأنواع إنتشارًا فحسب **جورج مردوك**George Murdock موجود في الثقافات التي درسها مقارنة بمستوى العالم

-**تعدد الازواج** Polyandrie: يعني زواج إمرأة واحدة من عدة رجال وأطلق عليه **مردوك**Murdock(تحفة إثنوجرافية) فعند قبائل التودا في الهندTODAعندما تتزوج امرأة من رجل تصبح زوجة لإخوته في نفس الوقت، وهذا الشكل يعتبر نادر الحدوث ومحدود الإنتشار.[1]

الزواج القرابي: هو إختيار شريك الزواج على أساس القرابة الدموية سواء منجهةالأب أو من جهة الأم والأقارب، يشتركون في جد واحد من ناحية الأب والأم وقد تكون القرابة قريبةإذا كان الجد المشترك قريبا الأول وتكون بعيدة إذا كان الجد أبعد من جيلين أو ثلاثة.وكذلك هو الزواج بين أقارب الأب أو بين أبناء العمومة الواحدة أو بين أبناء وبنات العم أو بين العائلاتالممتدة .والجماعات القرابية والعشيرة"القبيلة" [32]ويبقى الزواج الخارجي يمثل في المفهوم المجتمعي معانات للبنت خاصة، وتبقى بالنسبة لعائلة مرت براني**"غريبة- برانية"** حتى وهي إبنتهم فإنها بالزواج تصبح تابعة للزوج ومنه فإن قرابتها من قرابته.واننا نعني بذلك ان الزواج من خارج القرابة لايستثني الذكر، حيث بزواجه من خارج القرابة فان زوجته تلقببالبرانية، وبالتالي فإنه براني هو وأبنائه.

ب. أنماط الزواج :

الزواجمجموعةمنالأنماطالثقافيةوالتيتختلفباختلافالثقافات،ولا يمكنناإلاالإقراربأنالزواجما هوإلاعلاقةبينرجلوامرأةتحتإطارشرعيأوقانونيمبنيعلىالشراكةلتحقيقالتكاملوالتكافؤوالإستمرارية. فالزواجنظاميحققأهداف ثقافيةإجتماعيةواقتصاديةوتربوية. فضلاعنالأهدافالخاصةوالشخصية،ويعدسببا منأسباب بقاءالنوعالإجتماعيوإستمرارهلذلكأولتالمجتمعاتإهتماماخاصافي أنساقهاوقيمهافاختلفتأنماطهوأنواعه وشروطهووسائلهتبعالكل مجتمع.

1- علياء شكري،مرجع سبق ذكره، ص42.

2-إحسان محمد الحسن، مرجع سبقذكره ، ص49.

[3]- المحمل غرابي ، الزواج القرابي وعلاقته بالاستقرار الاسري في الفترة بين 1985 الى 2005 دراسة ميدانية في منطقة قايس ولاية خنشلة ، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع العائلي ، جامعة الحاج لخضر باتنة . ص135

وغالبا ما يرافق الزواج حفلة إجتماعية هامة تشهد وتؤيد وقوع الزواج بين رجل وإمرأة وهذه الحفلة بجانب كونها حفلة إجتماعية فإنها حفلة دينية وشرعية وقانونية لها صفاتها الاجتماعية والأخلاقية التي يقرها المجتمع ويتمسك بها. والتي تسمى زفاف أو زواج أو عرس وتكون بمثابة إشهار أو إعلان، الذي يعد من الشروط الرئيسية لإتمام الزواج.[1]

3. الزواج في المجتمع الجزائري التركيبة والبناء:

لقد عرف هذا النظام(الزواج) عدة تحولات وتغيرات مست المراسيم والإعدادات له وكيفية تنظيمه. والتي ترجع إلى طبيعة التحولات السوسيو-ثقافية التي مست المجتمع الجزائري. المكون من تشكيلة من الثقافات المتنوعة والعادات والتقاليد المتخلفة من منطقة إلى أخرى. بتنوع المناطق ما بين الريف والمدينة، مما انعكس على إجراءات مراسيم الزواج داخل المجتمع الجزائري عامة والأسرة الشاوية مجتمع البحث على وجه الخصوص. إلا أن الاختلاف في الإعداد للزواج والتنظيم له من الناحية الطقوسية والممارسات التقليدية. خاضع للخصوصية المحلية والإنتماء الثقافي. ما جعلنا نقف عليه خلال مجرياته منذ البداية. إلا أنها تتوحد جميعها أمام سلطة العادات والتقاليد والطقوس. ورغم ذلك الإبتعاد والإقتراب، إلا أن عادات وطقوس الزواج في منطقة باتنة تضرب في عمق الموروث الثقافي الذي نقرؤه من خلال ممارسات المرأة الطقوسية، وسهرها على حضورها بحمولتها الامازيغية المتفردة التي تنم على الانتماء الجيو-ثقافي، وفق مراسيم وتحضيرات مستمدة من عمق الموروث الثقافي .

تقوم العائلة بتنظيم عملية الإختيار في الزواج على أساس نظام وقاعدة متعارف ومتفق عليها إجتماعيا،حيث توجد رابطة ضرورية ووثيقة بين الأسرة والزواج. فكلا هما مكمل للأخر ولا يوجد من دونه، ولكن رغم هذا الترابط الوثيق يجب التفرقة بينهما. إذ أن الأسرة جماعة اجتماعية تتميز بسكن مشترك وتعاون اقتصادي وعملية التكاثر.أما الزواج فهو مجموعة من العادات تحدد صور العلاقات بين شخصين بالغين جمع بينهما الإتصال الجنسي، ويدخل هذان الشخصان في نطاق الأسرة ولا تتكون بدونهما. فالزواج مجموعة من الأنماط الثقافية والتي تختلف بإختلاف الثقافات والتوجهات الدينية لكل

1- محمد الحسن احسان، مرجع سابق، ص48.

مجتمع، و نظام إجتماعي يتصف بقدر من الإستمرار والإمتثال للمعايير ويقتصر على البشر فقط، وان جميع المجتمعات تفرض الزواج على غالبية أعضائها سواء في الماضي أو الحاضر.[1]

أ. الإختيار للزواج بين الماضي والحاضر:

إن الاختيار للزوج له أهمية في تماسك الأسرة، وهو الطريقة التي يغير بها الفرد وضعه من أعزب إلى متزوج شرط المرور ببعض الإجراءات والترتيبات المتفق عليها بين الشعوب والجماعات والتي لابد من إتباعها لإتمام الزواج، إلا أن هذه الإجراءات تختلف من مجتمع إلى آخر. وحتى داخل المجتمع الواحد. ويتم وفق معايير تتفق عليها الجماعة المانحة والمتلقية وفق عدة معايير منها :

- **المعايار الفردي:** عندما يرغب الأهل بتزويج إبنيهم(الذكر/الأنثى) ، فإنهم يبدؤون بالبحث عن الشخص المناسب (عروسة/ عريس) والتي تخضع لمعاير متفق عليها إجتماعيا. حيث تسهر الأم على عملية الإختيار والخطبة لابنها مند أن ترى فيه علامات النضج وأحيانا قبل البلوغ. فتختار من بين بنات العائلة من تعجبها وتراها مناسبة للعائلة وإبنها، وإن دل ذلك فإنه يدل على أمرين: إولهما أن الاختيار يتم في الوسط العائلي (ابن العم/ابنة العم) ووفق مقاييس معينة (السن، النسب، الجمال) حيث تسهر الأم على إختيار زوجة الإبن وفقا لمعايير مجتمعية متفق عليها، بحيث تتماشى وفق شروط، تخضع العروس لها كعامل أساسي في الإختيار للزواج . كما تؤكده الأغاني التي ترددها النسوة في كل إحتفالات الزواج.

"أخسر مالك يا خويا ooooooo أخسر مالك لا تخاف"

"جبنا لك طفلة صغيرة ooooo وحمامة في راسك الكاف"

هذه الأغاني هي دعوى صريحة للعروس الصغيرة السن، لكون الإختيار في الزواج يخضع لمقياس السن والجمال، حيث تحبب الأسرصغر سن العروس، والذي حسبهم يضمن لهم الإنجاب.في حين يعتبرون الجمال من أجل التباهي بالعروس بين الأهل والعائلة. فشبهت العروس في الجمال بالحمامة . وعليه فالأسرة تمرر تقاليدها عبر هذه الأغاني والكلمات التي تصبح بمثابة رسالة بأبعاد ومعاني تتطلب

1- -عطا الله فؤاد الخالدي، دلال سعد الدين العلمي، الإرشاد الأسري والزواجي، دار الصفاء، عمان2008، ص81.

الفهم والقراءة والتمعن، لما تفصح عنه من عادات خاصة بالمهر والإختيار للزواج الذي يبنى على مواصفات العروس صغيرة السن والجميلة ذات النسب العالي حينما شبهت العروس بالحمامة التي تقيم في مكان عالية دلالة على شرفها وعلو نسبها، وهي المعايير التي بقي الجيل اليوم محافظًا عليها في إختيار العروس المناسبة، والتي تلتقي مع المعيار الديني (**تنكح المرأة لثلاث لمالها وجمالها وحسبها ونسبها ، فأضفر بذات الدين تربت يداك**) فرغم أن الاختيار يحدث أحيان خارج القرابة، إلا انه لا يبتعد عن قيم وعادات العائلة التي تنزعإليها بطريقة لا واعية. فهي محفورة في ذاكرتهم يحملونها ويدافعون عنها عندما تظهر على السطح معززة قبولهم لها ومبرهنين على بقائها رغم التقدم والحداثة، ضمن مجريات هذا الحدث وبحمولتها الثقافية .كإرث الثقافي لا يستهان به وجزء من الشخصية الفردية والجماعية .

- إن المقابلات والتصريحات والواقع تؤكد أن معيار الجمال والسن أساسي في تزويج البنت والإختيار للزواج في مجتمع البحث يبنى عليه . حيث تحبب أم العريس الفتاة الصغيرة السن والجميلة مند القدم. فلقد كانت البنت تتزوج قبل سن البلوغ أي قبل ما تبلغ خاصة البنت الجميلة(**الزينة**) مكتملة البنية .و إن هذا الاختيار المبني على صغر السن يرمز للأنوثة المكتملة ومقياس للجمال المعترف به. كما يشترط فيها القيام بأعمال المنزل والمهارة في الطبخ كما يعبرون على ذلك بمعاني وكلمات (**قافزة،فحلة،حاذقة...**)ومن الأمور التي تركز عليها بعض الأسر التي قابلناهم التأكيد على الخصوبة حيث يشترط أن تكون من عائلة ولوده ومنه التدقيق في أخواتها وأعمامها وأخوالها،وأحيان التركيز حتى على إنجاب الذكور أو الإناث. فمثلا لو كانت الأم تنجب إلا البنات تخشى أم العريس أن تكون العروس مثل أمها لا تجنب إلا البنات، يتضح في أمثالهم وأقوالهم **(أقلب القدرة على فمها تخرج الطفلة لامها)** وبطبيعة الحال فالمجتمع الشاوي ذكوري كباقي الجزائر يرى في الذكر اسم العائلة ورجل المنزل وعليه فالذكر(**عمارة الدار**) .

- **المعيار الاجتماعي:**إن الإختيار للزواج يحبب في الوسط القرابي من أبنا ء الخؤولة والعمومة. ويعتبر قاعدة عامة تسير عليها الأسر، ومنه الإختيار داخل العائلة أو العشيرة أو القبيلة. وهو ما يعرف بالزواج الداخلي "الاندوجامي Endogamie" وفي حال زواج الفتاة من شاب من خارج العائلة، فانه

يعرف بالزواج الخارجي "الاكسوجاميExogamie " فإن هذا الزواج الخارجي يبقى البنت طيلة زواجها غريبة، لكونها تزوجت من خارج العائلة والقرابة، وبذلك يحاك الحديث حولها في اللقاءات العامة والخاصة باعتبارها "**غريبة - برانية**":

"المرأة التي تتزوج من خارج العائلة أو العرش تسمى طول عمرها **برانية**،...أنا سلفي (أخ الزوج) تزوج من امرأة بعيدة علينا من مدينة عنابة منذ عشر سنوات (10) ولحد الساعة نقو لولها العنابية وحتى عجوزتي (أم الزوج) كيما تسقسيها منين عرايسك تقلك الكبيرة بنت عموا والوسطانية عنابية والصغيرة من العرش. " (المقابلة رقم:09).

كما صرحتلنا إحدى المبحوثات أن الزواج من القريبة مفرح ومحبب في مجتمع البحث وتسعى كل العائلات إليه وتتحراه بكل السبل :

الطفلةإلىماتتزوجمنبنعمها،يعنيمنلفاميوالعايلةتعتبرغريبةوبرانية .... مثلاأناكيعدتشاويةفرحوا بيادارراجليومابخلواعليابوالوا بالعكسزادوليشحالمنحاجةوكراوليلاروبمارياج ' Robe Mariage' وسلكوليالحفافة' Coiffeuse' ولكنسلفي"أخالزوج"مرتو برانية (زوجته) حقروهاكيعادتماهيشمنعرشنا ... مسكينةجابهادزيرية (الجزائر العاصمة) بنتالبلاد. حقروهافيالشرطوالعرس ....عكسياناعجوزتيفرحتبياوديماتقليانتبنتيوعرسة وركيزة الدارك .....وكييسقسواعجوزتي منهم اعرايسك تقولهمالبرانيةوالاالدخلانية،تقصدني أناأوعلىالبرانيةمرتولدها "الدزيرية".(المقابلة رقم: 14)

إنالمجتمعيفضلالزواجالداخليويسعالىإعلاءقيمتهبينالأوساط الاجتماعية. ومنذلك المفاهيم المتعارف عليها محليا والتي تؤكده وتثبته (**برانية/ دخلانية**) وبذلكفانهذاالمفهومبمثابةتنشئةللأبناء علىتفضيلالزواجمنداخلالقرابة. وعليه فإنكلاالطرفين (الأنثى /الذكر) يضلإختيارهممضبوطبقيمالمجتمعومفاهيمهالقيميةوالعقائدية ، فينشئون على إختيار الشريك الذي سوف يرتبطون به ضمن العائلة مستقبلا والدائرة القرابية والتي تكون المناسبات (زواج، ختان، عيد، حج)

مناسبة هامة للقاء زوج المستقبل، وفق ما إعترف به المجتمع. فلا يحيد الأفراد عن تلك المعالم المحددة، مما يسهل عليهم الإندماج سريعا ضمن الأسرة والمجتمع. وكأن الأسر تراهن على الزواج الداخلي بنعت الزواج الخارجي" **بالغريب"** والبعيد لما فيه من نفور ونبذ، وبذلك فالكلمات لها وقع في النفس و دلالاتومعاني كثيرة تبين هذه الوضعية وهذا الإقصاء **"برانية- غريبة** " أو تنسب إلى موطنها أحيانا**"بشارية، وهرانية عنابية"**وذلكماتدلعليهبعضالأغانيالتيترددهاالنسوةفيمناسباتالزواج.

هذا الإختيار الذي غالبا ما يكون من الدائرة القرابية ابن(عم/خال) أو ابنت(عم/خال)، حيث يعطى لهذا الإختيار عدة إعتباراتإقتصادية و إجتماعية، وذلك الذي تجسد لنا من خلال المقابلة المعمقة حيث تبين لنا أن مجتمع الدراسة يفضل القرابة وذلك من خلال ما يتضح في لغته عن العروس التي تكون من خارج الدائرة القاربية بقولهم (برانية) أو (بنت العم) مما يدل أن الرجل الذي يتزوج من امرأة لا تقرب له تبقى غريبة بالنسبة للأسرة والعائلة وكل العرش ، وقد ينتقل ذلكإلى أبناءها حيث يلقبون بقولهم (ولد فلانة، ولد العنابية، ولد البرانية) ومنه أن المتجمعات البشرية قامت على روابط قرابية أهمها روابط الدم والنسب وأن القرابة أو المجتمع القرابي نظام إجتماعي تترتب عليه منظومة من المعايير والقيم والحقوق والواجبات، و بفضل القرابة تطغى الجماعة على الفردنة ويبرز الضمير الجمعي ويعرف الفرد بفرقته ونسبه (السراحنة، التوابة، بوسليمان، الجبايلية) و/أو بعرشه(كيمل، تكوت باتنة،...).

يظهر تدخل العائلة في إختيار (الزوج/الزوجة) وغالبا ما تكون الأم مرجعتيه في القرار حتى ولو كان من اختيار المتقدم للزواج نفسه (الإبن). حيث تبرز سلطتها في كل الإحتفالات التي حضرناها بشكل واضح مما يُظهر الدور الفاعل للمرأة الشاوية في تنشئة الأبناء وإدارة شؤون الأسرة.حيث يعطى لهذا الإختيار عدة إعتبارات إقتصادية وإجتماعية. وذلك ما تبين لنا من خلال المقابلة المعمقة التي جمعتنا بأفراد مجتمع مجتمع الدراسة، فتفضيل القرابة يتضح من خلال لغتهم وتعاملهم مع العروس خارج الدائرة القرابية (**برانية**) في حين يحافظ الزواج الداخلي على مفهوم الإندماج فيقال للعروس من الأهل (**دخلانية**) وإن هذه الثنائية (**داخلي/خارجي**) (**برانية/ دخلانية**) إن دلت على شيء فإنها تدل على صرامة البناء

الإجتماعي في مجتمع البحث في الإنتساب للعائلة والعرش التي تنقلها المرأة الشاوية إلى أبناءهاوتظهر بذلك اللحمة المجتمعية (**أحنا شاوية**).

حيث أن المجتمع قيد الدراسة يفضل الزواج من إبنة العم، فالكثير من العائلات كانت تسمي المولود الذكر باسم المولودة الأنثى ويعبر عنها (معطية من الحفرة) (فلانة لفلان) بمعنى منذ الولادة وهي زوجة فلان أي "**فلانةمسمية لفلان** ".وان هذا النمط من الزواج متعارف عليه في المجتمع المحلي حيص انه يعبر عن اللحمة والوحدة القرابية التي فرضتها ظروف الحياة التقليدية. والتي تمجد دور الذكر في الإختيار، غير أنه قلما نجح هذا النمط من الزواج حيث إلتقينا بإحدى الحالات التي أكدت عدم جدوى هذا النوع من الزواج خاصة بعد تعلم البنت وخروجها للعمل. فلقد رفضت هذا العرف القائم على فرض الهيمنة وإلغاء الرغبة في (القبول/ عدم القبول) .

" منين عرفت صلاحي ودارنا يقولو فلانة لفلان يعني أناوأختي مسميين لولاد عمي، وكي وصلت18 سنة خطبوني رسميا لكن أنا رفضت حبيت نكمل قرايتي وصارحت أي لكن بابا فرض عليا الزواج ، حاولت بكل الطرق لكن بلا فايدة رحت هدرت معاابن عمي (الخاطب)وأخبرتهأني نحب نكمل قرايتي،ولا ارغب في الزواج منه، واننى نحسبوا كيما اخي . لكنه قالي ماهوش رايوا ولا اختيارو ، انه لايقدر على رفض العائلة (أبي/عمي) رغم أني بقيت رافضة الا انهم اصروا كلهم على إتمام المراسيم، والمصيبة أن رفضي أصبح اتهام في شرفي، وأعتبررفضي أنني لست عذراء ، وانا على جال سمعتي وصمعت بابا ودارنا قبلت نتزوج لكن قررانينطلق ... عنينثبت عذريتي وشرفي وشرف دارنا ، قلت لهم أنا مستعدة للزواج وأنني شريفة ، ولكن سأتطلق ،..... حقيقة تزوجت وبعد العرس ب40 يوم عدت إلى بيت والدي مصرة على الطلاق ، حاولوا يرجعوني لكن بلا جدوى ، وتم الطلاق. وأكملت دراستي وأناالآن دكتورة والحمد لله ، لكن لحد الساعة أنا لم أطلق قانونيا ولا املك وثيقة تثبت الزواج والطلاق ، الزواج كان غيربالشهود فقط. لأنني عقدت بالفاتحة ولم أكمل العقد المدني ، رغم مرور 18 سنة من الطلاقإلاأن الوضع لازال طابو ومحرم التكلم فيه، لأن البنت في عائلتي وعرشنا التي ترفض الزواج من إبن العم هي خارجة عن العرف والقانون ومصيرها التهميش"(المبحوثة رقم:06)

كما تبين من المقابلة أن مجتمع البحث يرى في رفض البنت للخاطب عيب وعار. لأنه لا ترفض الزواج إلا من ضيعت شرفها. وبالتالي ف إن قبول المبحوثة كان لغرض نفس إجتماعيمن أجل إثبات الشرف الذي إعتبرمهدور نظرًا لخروجها للدراسة و إختلاطها بالذكور.حيث ان سلطة العادات ترغم الأفراد على الإمتثال للعرف والتقاليد من أجل إعلاء الشرف،ورغم التعلم والعمل إلا أن العادات تعد الدستور الغير مكتوب يرغمهم على الإمتثال لها. وتبعا لذلك قد يضحي الأفراد بالمصالح الشخصية في سبيل المصالح الاجتماعية. وبذلك يرجع القرار للأهل وخاصة الوالدين في إختيار الشخص المناسب"الزوجة/الزوج".وذلك ما تبين لنا خلال سير العمل ووضحته لنا النسوة أن الإختيار للزواج المبني على رضا الوالدين. وغالبا ما تكون الأم مرجعيته كأحد أوجه السلطة ، وعليه ف إختيار الشخص المناسب بالنسبة لكلا الجنسين مبني على رضى الأم وقبولها.ويعتبر الزواج الناجح والأفضل لقيام الأسرة وإستمرارهاحسب تمثلات المجتمع. وان إمكانية الاختيار محدودة من خارج القرابة ومحكومة بسلطة المعايير الإجتماعية" [1] وعليه فـإن إختيار الشريك يخضع لسلطة العرف والعائلة، وأن عملية الإختيار الزواجي محفوفة بكثير من الحياء والمحافظة والإحتضان.

إن الإختيار للزواج مسؤولية النساء كما عشناه مع أفراد المجتمع وحتى بعد مشاركتنا ومعايشتنا للمجتمع طيلة الدراسة الحقلية ،حيث تبدأ رحلة البحث عن العروس المناسبة التي ستحل على الأسرة بدءا من المناسبات والسؤال عن بنات العرش المناسبة للعائلة أولا ثم الشاب ثانيا ، أي أن الإختيار يخضع للمعيار الإجتماعي، ولايتحدد برغبات الشخص فقط بل يتماشى وفق معايير المجتمع. [2] ولا يعطي إعتبار للجانب الفردي لكون الزواج أمر يهم كل العائلة.وبعد أن تعثر الأم على العروس المناسبة والتي إختارتها على مقياس القرابة والجمال، أو بعد أن يختار الإبن فتاة **تلاؤمه**(عروسه) فإن القرار في القبول او الرفض يعود للأم، والتي تحتكم للضمير الجمعي وقانون الجماعة المحدد بمعايير "السن، الجمال" . والذي يعد عنصر وشرط أساسي في الإختيار للزواج في المنطقة. فعملية الإختيار للزواج مقيدة بقيم ومشروطة

1 -MICHEL, Bouzon: Français Hearne, La formation du couple, textes pour la sociologie de la famille, la découverte collection grands repères classiques, Paris, 2006 P 10.11.16.17.

2- سامية حسن الساعاتي، مرجع سبق ذكره ، ص35.

باشتراطات مرتبطة بثقافة المجتمع وتصب فيه ، وان إختيار الشريك(الزوج) Le choix du conjoint محدد وفق عادات وقيم تعتبر جزءا من التنظيم الدفاعي الذي يضع الطرفين في منأى عن التهديدات أمام الجماعة. التي تمنح وتحقق لهما المكانة والقبول المجتمعي. وعليه فـإن هذا النوع من الإختيار يسمح في الغالب بفهم الممارسات التي تنظم إحتفالية الزوج لاحقا "المهر، السكن،العمل..." وغيرها من الترتيبات دون جهد أو عناء.

لقد تعددت اليوم وتوسعتمجالاتالتعارفوتنوعتأساليبهبفضل الحداثةوالتطور التكنولوجيالذيساهمبشكلكبيرفيتغييروتعديلمعاييروقيمالتعارفبين الجنسين لإتمام الزواجحيثظهرت قيمومعاييرحديثةوعاداتجديدةتواكبكل التغيرات الحاصلة في المجتمعخاصةبعدالإنتشار الواسعللتعلموالعملووسائلالتكنولوجياوالحداثة والإنترنت وكذى الهواتفالنقالة، ووسائلالتعارفبينالجنسين خاصة (**الفيسبوك** **fb**) وغيرها، دونأنننسىعروضالزواجعبرالجرائدوالمواقعالالكترونيةالخاصة.كماأشارتإلىذلك" **مليكة لبديري** "الزواجوالشبابالجزائريإلىأين؟ [1]حيثتوصلتإلىأنالشبابيلجأإلى إعلانات الزواجفيالصحفوالجرائد ، وعلىالقنواتالمشفرةللبحثعنالقرينالمناسب. وان كلهذهالوسائطغيرتمننظرةالفردلمفهومالإختيارللزواجالذيكانفيالقديمعبارةعن إرتباطرجلوامرأةلإقامةنظامجدي دقائمعلىالتعاونوالمساعدةوالرعاية، وتنظيمالعلاقاتالجنسيةفيشكلمراسيموقواعدتنظيمية. ليظهر اليوم إلىمفهومجديد للزواج تحكمهجملةمنالإعتباراتالإقتصاديةوالإجتماعيةوالثقافية،حيثافرزت قيم الحداثة أشكال جديدة من التعارف بين الجنسين، فانتقلمنتعارفجماعي لأفراد العائلةإلىتعارففردي، وبمساعدة الوسائطالسابقة الذكر.غير أن هذا الاختيار ما يزال خاضع للسلطةالأبويةوالتنظيم العائلي.

وعليهمرحلةالتعارفمرحلة أساسية وخطوة أولية للإعدادللزواجوبناءالأسرةممايكسبها أهمية فيمشروعالزواج، سواءأقيمعلىإعتباراتفرديةأوجماعية. حيث يراعي الشاب في إختيار عروسه معايير الأسرة وقيم الام خاصة، التي أنشأ عليها من" **القرابة، الجمال، السن** "كما يخضع لرغبتها وموافقتها،

1- مليكة لبديري، مرجع سبق دكره، ص19.

وعليه فعلى الرغم من أن الإختيار مبني على رغبات فردية شخصية ظاهريا إلا أن القبول إمر عائلي تسيره قيم وعادات إجتماعية تبنى في الأساس على موافقة الوالدين. وعليه إن كل إختيار خارج المعايير غير معترف به ومنبوذيعرض صاحبه للنعت والإقصاء الأسري والمجتمعي.لإرتباطها بمفهوم العرض والسمعة. وعليه فهو يخضعهم لسلطة العادات في الاختيار بمقاييس مجتمعية وبموافقة الأم في إستسلام لاواعي لسلطة العادات.

إن كان الزواج في مجتمع البحث يقام وفقا لمتغيرات العصر بين الطرفين "فردي" لكن يبقى رضا الوالدين في الإختيار بالنسبة للطرفين (الذكر/الأنثى) الأساس، والذي يساير العرف القاضي بالإختيار ضمن القرابة (عم/خال) أو العرش. المستبطن في اللاوعي والموجه للإختيار وعليه فالزواج محدد بمرجعية تقليدية من جهة، ومرجعية أسرية من جهة ثانيةمما يظهر لنا سلطة العادات والتقاليد التي لابد من إحترامها والإمتثال لها.الأمر البالغ الأهمية لإتمام الزواج الذي يقام في جو إحتفالي تشاركي يحضره الأقارب و يباركونه. وعليهإن التغير الحاصل في المجتمع أجبر الأسرة ترك الإختيار في الزواج لرغبة الأبناء، ولكن وفقا للمعايرالمجتمعية التي استدمجت في شخصيتهم عبر أساليب التنشئة الاجتماعية المختلفة والتي تعزز قيمة الزواج القرابي، بمختلف معاييره وأشكاله. والتي تتضح في أقوالهم وأمثالهم كما تبين لنا من خلال هذا العمل:

" أَلِي ما يْمسل من طينوا ما يمسل من طين الناسºº إلى ما جا برمة إيجي كسكاس "
" أدي بنت عمك يلوكان تبور وخوض الطريق الدايرة يلوكان أدور"
" بنت عمك تصبر على همك "
" زيتنا في دقيقنا " (المبحوثة رقم :02)

تجمع النسوة على أن الإختيار للزواج المبني على رضا الوالدين ويعتبرونه معيار لنجاحه. والأفضل لقيام الأسرة وإستمرارها. وعليه يكون الإختيار أسرى ومرتب من قبل الوالدين وبين أعضاء الجماعة القرابية [1] ووفقا لرغبات الأب والأم وذلك لكون مكانة الفرد من مكانة الأسرة، هي التي تكسبه مكانته داخل الأسرة. إذ لا قيمة له إلا في العائلة.فهو يعمل من أجل العائلة ويتزوج وينجب من أجل العائلة. ولهذا كانت شخصية

1- محمد يسري إبراهيمدعبس، مرجع سبق ذكره ، ص25

العائلة هي التي تحدد نماذج السلوك وفقا للمسموحات والممنوعات. وعليه فان المجتمعبمنطقة باتنة وطبيعة بنائها الثقافي لا يعترف بالقيم الفردية.فالعائلة لا تقيم وزنًا إلا للقيم التي يحددها المجتمع وتتفق عليها الجماعة. فالأبناء يرجعون في كل قراراتهم إلى الأسرة وان إتجاههم في الغالب هو إتجاه الوالدين والعائلة. وشخصية الأبناء تذوب في شخصية الوالدينلكون الزواج شأن جماعي.ولمسنا ذلك جليا. حيث أن الاحتفالات التي وقفنا عليها معظمهان كانت ضمن العائلة وداخل القرابة سواء من الخال أو العم، وحتى وإن خرجت عن نطاقها فهي تبقى في دائرة العرش. حوويرجعذلكالى الحرصالكبير لمجتمعالبحثعلىالبقاءداخلدائرةالاقاربوضمنالانتماءالعرقيالمشترك والى نظرة المجتمع السلبية للخارج عن هذه الدائرة ،أماتفضيلبيوتالأعمامو العماتفيرجعالىالسلطةالأبويةفيالاختيارالزواجي بالاظافة الى الانتساب على الخط الابوي في المجتمع الجزائري.

الزواج خاضع لمعايير الأهل والمجتمع رغم انه في الظاهر اختيار فردي ، و لكن تدخل الآباء في تحضير الزواج يجعلهم يفرضون قيمهم وتصوراتهم للزواج فيرفضونأساليب الشباب في الزواج العصريمثل التعارف الحر قبل الخطبة.وهي ممارسات للتوفيق من طرف الأسرة بين ما هو تقليدي وما هو حديث. بمعنى أنه بالرغم الحداثة والتغيرفي الواقع المعاش،إلا أن هذه السلوكات لن تنال شرعيتهامالم يصبغها نظام القيم والمعا يير الثقافية والإجتماعيةالمتعارف عليها و النمط التقليدي الذي لا يزال يطبع المنظومة الأسرية الجزائرية "[1]فالزواج لا يتحدد برغبات الشخص وميولاته بل وفقا لمعايير المجتمع. وتبقى الخصوصية السوسيو- ثقافية هي من تحدد معايير الإختيار "الشكل،السن، النسب.." لكن مع تعدد البدائل والوسائط وتشابك الحياة الإجتماعية في البحث عن الشريك.وحسب " **روبرت ميرتون** " الإمتثال للوظيفة الكامنة بدل الظاهرة، البدائل التي تعبر عن الخيارات وهي تشير إلى مدى التنوع وبتعدد الإختيارات وإمكانية الإنتقاء.[2]

4. سن الزواج والتغير السوسيو- ثقافي:

1- رشيد حمدوش، مسالة الرباط الاجتماعي في الجزائر المعاصرة امتدادية أم قطيعة. الجزائر، دار هومة، 2009،ص.196.

2- محمد غريب عبد الكريم،مرجع سبق ذكره، ص119.

يلقىالزواجفيمختلفالثقافاتمكانةواهتماما كبيرنتيجةمايتمتعبهمنخصائص وابعاداقتصاديةاجتماعية وثقافية وأخلاقية.... الخ. وهو من الناحية القانونية عقد حقيقي أي مؤسسة قانونية تقيم بين الرجل و المرأة علاقات مؤسسة على مصالح إجتماعية ذات طبيعة روحية دينية. [1].

فالزواجوما

ينطويعليهمنعاداتوطقوسوممارساتلهصلةوثيقةبنسقالقيموالسلوكياتالتيتمارسمنخلالهذاالنظامالذيتسيرهطقوسم تعددةومختلفةمتعارفومتفقعليها إجتماعياوالتييعد الفاعلالإجتماعيأحددعائمهاوركائزها الأساسيةالتيتسيرهوتحفظه،باعتبارها الوعاء الحاوي والناقل لكل ما هو مادي وغير مادي في المجتمع.وأساس وحدة المجتمعات وحجر الزاوية الذي تتجلى فيه كل مظاهر التغير الحاصل في المجتمعات الإنسانية.[2]

فإن كان هذا الأخير ظاهرة اجتماعية تعترف بها أغلب المجتمعات الإنسانية.هذا الاعتراف يجسد الصفة الجمعية التي يتخذها الزواج وبذلك فهو ركيزة ثابتة في نظام الدولة والمجتمع ورابطةمشروعة بين الجنسينمبنية على عادات وتقاليد لها دلالتها ورموزها التي تختلف من مجتمع إلى آخر وحتى داخل المجتمع الواحد. والتي تعد المرأة أحد دعائمها وركائزها التي تسيره وتحفظه، كحامل لهذا الإرث الثقافي وذلك بالحفاظ على وظيفة العادات والطقوس خاصة "التصفاح" ذلك الطقس الذي يمس الجسد في بعديه الجمالي والسحري، لإتمام الزواج ونجاحه ومنحه القيمة والمكانة كطقس عبور يمر من خلاله الزوجان لإثبات بكارة أنثوية وإبراز فحولة ذكورية ضمن مفاهيم قيمية أساسها الوجود والاعتراف الإجتماعي.

أ. **سن الزواج* بين العرف والقانون:**

مجتمع الدراسة(باتنة) يتجه في الآونة الأخيرة إلى الزواج المبكر. أي تزويج الأبناء في سن صغيرة خاصة البنت. فهو يترجم التواصل الجمعي عند العديد من الأسر وغايته

1 CHEHATA ,Hafia;LE Droit De la famille algérienne, Alger, o pu,1993,p47.

2- حميدوش رشيد، مسالة الرباط الاجتماعي في الجزائر المعاصرة امتدادية أم قطيعة "دراسة ميدانية مدينة الجزائر نموذجا" دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص23.

* - انظر الملاحق، جدول معطيات سن الزواج في مدينة باتنة

الحفاظ على الأبناء وخصوصا البنات من العلاقات غير الشرعية . وبالتالي المحافظة على قيمة الشرف والعفاف. وعليهفلا يمكننا إعتبارهذا الإختيار مظهرًا من مظاهر التغير كما صرحت لنا به بعض الأسر التي قابلناها.بل خاصية متجذرة في الضمير الجمعي .

" تتجه العائلات اليوم الى تزويج أبناءهم في سن صغيرة. خاصة البنات خوفا عليهن من الانحراف والعلاقات غير الشرعية مع الذكور، لأنه غالبا تنتهي هذه العلاقات بهتك العرض، كما تمس سمعة وشرف البنت وعائلتها. والخاسر هي البنت طبعا. "(مقابلة رقم:04)

يتعتبر العديد من الأفراد وأسرهم أن الزواج المبكر تعرفه المناطق الحضرية والريفية على حد السواء كم تغير في الممارسة والتفاعل من خلال حرصهم على إعادة إنتاج أساليبهم الأولى التي بنيت عليها أسرهم وهي المحافظة على الزواج المبكربالرغم من كل هذه التحولات الاجتماعيةوالاقتصادية والإجتماعية. ليس كمظهر من مظاهر التغير السوسيو-ثقافي في عملية الإختيار للزواج بل وكمؤشر يعيد التقليدي ويجسد التمسك بقيم وعادات الأجداد. وعليه ما تزال تقاليد الزواج تفرض نفسها بالنسبة للعديد من الأسر التي ترى في مثل هذه المناسبات فرصة لإحياء الموروث الثقافي والحضاري للمنطقة.

فبمجرد بلوغهما الجنسي(الفتاة/الذكر) يصبحان مهيئان للعب هذا الدور والإنخراط فيه(الزواج) وعادة ما يعتبر سن 20 مناسب للذكر ويقابله سن 16 الى 18 عند الأنثى ويرتبط هذا المؤشر بخصوصية المجتمعات وحتى الأسر وما رافقها من تغير سوسيو- ثقافي وإقتصادي والذي ترك أثرًا وضحا على هذه المؤسسة الهامة من مؤسسات المجتمع. [1]وعليه يبقى الشغل الشاغل للأسر والعائلات الشاوية في مدينة باتنة هو الحفاظ على الشرف والأخلاق. وبذلك فالزواج هو الضامن كمفهوم له علاقة بالقيم الخاصة بالعائلة والمجتمع وبالمنطقة ككل. على أن الزواج سترة لكلا الجنسين (الذكر/الأنثى) كما أن زواج البنت في سن صغيرة يرفع من قيمة ومكانة الأب حامل الأمانة الذي لن يتأخر في تسليمها للزوج لاحقا بذريعة

1- احسان محمد حسن، مرجع سابق، ص25

الستر(**الزواج سترة**) وتحصين من الإنفلات الأخلاقي ، و يهيئ لها التكيف في المجتمع ومنه التوافق بسهولة في حياتها الجديدة وإندماجها في العائلة التي أضحت واحدة من أفرادها.

" تتزوج الطفلة صغيرة لان الزواج سترة للطفلة خاصة في الوقت
هذا ، وزيد كي تتزوج صغيرة تتربى في بيت راجلها كيما بنتهم
وتوالفهم ويوالفوها وتتحمل المسؤولية تاع الدار" (المبحوثة رقم:02)

من يدقق النظر في طقوس الزواج بمدينة باتنة يجد أنها تبنى على العفة والشرف الذي يحرسه طقس **التصفاح**.هذه الممارسات التي تحاط بالسرية وتحمل رموزا ضمنية تبنى عليها مؤسسة الزواج وتتزين بالعديد من العادات التي تبرزه من (لباس، رقص، أكل، غناء، هدايا ...) إنها تؤسس في مفهومها المعلن والخفي لقيام نظام إجتماعي وقانوني إنساني. هذه الممارسةالتي نعرفها جيدا ووقفنا عليها من خلال المعايشة لمجتمع البحث والمشاركة في إحتفالية الزواج في كل محطاته ومراسيمه المختلفة. هذا الموروث الثقافي المثقل بالمفاهيم والمعاني والدلالات والرموز.

ب. تطور سن الزواج بمنطقة الشاوية (باتنة) :

إنالدراسات

اتـــياهتمـــتبســـنالزواجقليلـــةجـــدًا،خاصـــةفـــيالدولالعربية،وصعوبةتحديدهـذاالسنبشـكلصـحيحودقيـ قمـنجهـة،ومـنجهـةأخـرىنقـصالمعطياتالمتعلقةبهـذاالمؤشروعـدمدقتهـا،لأنالسنعنـدأولزواجيمكن أنيكونمختلقابينالواقعوبينمصادرالبيانات السكانية.

ومعذلكيبقـىهـذاالنقصفـيالمعطياتوالدراساتالخاصةبسـنالزواجدافعالكل الباحثين للبحثبشـكلجـديومعمـقفـيهـذاالمجالانطلاقامنمعطياتالتعدادتالسكانيةوالتحقيقات الديموغرافية.

ان أسباب الانخفاض في متوسط سن الزواج متعددة،وتعتبر الأزمة الاقتصاديةوارتفاع معدل البطالةوإطالة التعليم خاصة بالنسبة للإناث بالاظافة إلى أزمة السكن .....الخ من العقبات التي تعوق زواج الشباب.حيث يواجهون وضعا اقتصاديا لا يكاد يسمح لهم بتحقيق أحلامهم التي يتم تلخيصها

ببساطة في الحصول على السكن والحصول على وظيفة وتأسيس أسرة مفتاح الاستقرار و النجاح الاجتماعي.حيث ان ظاهرة العزوبة بين الشباب الجزائري توحي بتراجع سن الزواج .

وحسب الديوان الوطني للإحصاء(ONS)فان معدل سن الزواج لدى الجنسين بدأ يعرف تصاعداً بحيث تتجه العزوبة للإرتفاع لدى الجنسين، فبعدما كان سن الزواج لدى الاناث 18,3 سنة 1966 وصل الى 23,7 سنة 987 حتى وصل الى 29,3 سنة 2008 .

	1966	1970	1977	1987	1988	2008
نســـاء	18,3	19,3	20,9	23,7	27,6	29,3
رجـــال	23,8	24,4	25,3	27,7	31,3	33,

شهد سن الزواج ارتفاع لكلا الجنسين ويستمر في الارتفاع بسبب الازمة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي عاشتها الجزائر في هذه السنوات(2008/1966) حيث اثرت على الشباب كأزمة السكن والبطالة ويرجع العديد من الباحثين الاجتماعيين هذه التحولات في معدلات الزواج إلى تعليم النساء والحصول إلى عمل مما أدى إلى زيادة سن الزواج. كما أن فكرة الاستقلال الاقتصادي المتقدمو الرضا الاقتصادي يجعلهم أقل ميلا للزواج. وربما كان تطور الزواج في مجتمع البحث مرتبطا بالتطور العام للمجتمع ولا سيما بتطوير التعليم والدخول الضخم للمرأة في سوق العمل. وتبدوا عقبتين رئيسيتين لتأجيل أو حتى إلغاء الزواج منها عدم الحصول على سكن وعمل. فمن الواضح أن العائق الأول هو الصعوبات الاقتصادية والاجتماعية التي استمرت في التدهور، وأن الاختلال النسبي بين الجنسين يولد منافسة معينة في سوق الزواج وهذا لا يعني أن الشباب يرفضون رفضا قاطعا الزواج الذي لا يزال ذا قيمة عالية في المجتمع الجزائري مما يؤدي بوضوح إلى تأخر في تكوين أسر جديدة، ومع ذلك فإن الأسرة هي وسيلة مادية وسلامة للشباب الذين تواجههم صعوبات في الاندماج المهني ونتائجه على تكوين أسرة مستقلة .ولذلك يجب الاعتراف بأن الشباب الجزائري، من جهة لا يزالون يعتمدون على والديهم الذين يقدمون لهم المساعدة وفقا للوسائل المتاحة في انشاء اسرة وتكوين عائلة .

تعتبر الأسر في المناطق التي شملها عملنا ان تزويج البنت في سن صغير بمثابة حصانة لها من أي علاقة غير شرعية قد تمس السمعة والشرف عرض العائلة . وعليه فان الزواج مطلب أساسي قبل التعليم والعمل.

"الي عندو طفلة يزوجها خير ما تخير هي من رايها ....يعني البنات ولاو يعروف لولاد ويديورا علاقات ويفرضوا على والديهم باه يقبلو ويحطو شلاعم والديهم وخاوتهم في التراب.....في الوقت هذا شحال من طفة هربت وهي تقرا باه يزوجها باباها ....والمصيبة كاين الي يزوجوهم وكاين الى يرجعو لدار والديهم بالفضيحة وبلا ما يتزوجها الراجل الي هربيت معاه" . (مقابلى رقم: 08)

"ساعات الطفلة تعمل علاقة غير شرعية مع شاب وتنتهي العلاقة بيناتهم انه يفزدها يعني يخسرها وتتفر فيها وفي عايلتها، واذا طاحت في ولد فامليا راح يزوجوهم بيناتهم ويستروها واذا طاحت في ولد لحرام تكون فضيحة وتروح للمحكمة ويزوجهم القاضي، والزواج هذا تاع الدولة هو هروب من الحبس، ويتنهي بطلاقها. يعني الخاسر الأول والأخير هو الطفلة وعايلتها." (مقابلة رقم: 16)

ان اللقاءات التي جمعتنا بالمبحوثات والجلسات الحميمية بينت لنا ان الدافع الأساسي الى تزويج البنات هوالخوف على العرض، بل ان البنات اللواتي تزوجن في سن صغيرة كان زواجهن نتيجة لعلاقات غير شرعية انتهت بهتك العرض. ومنه تصبح ضرورة تزويج البنت عن طريق الجماعة (العائلتين) او عن طريق حكم قضائي أمر ضروري وملزم بستر البنت بالزواج، وفي الواقع ان هذا الزواج هو تملص من المسؤولية القانونية كما بين لنا مجتمع البحث ، ينتهي بالطلاق القانوني والذي تكون ضحيته الاولة البنت واسرتها. حيث ان الاحصائيات التي امدتنا بها بمصلحة الزواج بلدية باتنة والجهات المتخصة باحصائيات ولاية باتنة حول سن الزواج من سنة 1999 الى سنة 2014 بينت لنا ان سن الزواج في فئة الاناث اقل من السن القانوني ينحصر بين (12- 16) وان النسب تتزواید ، فبعدما كانت 161 سن 1999

قفزت الى 212 سنة 2003 ،وبقيت ظاهرة تزويج البنات في سن مبكر في تزايد الى ان وصلت الى 255 سنة 2014 حسب ما هو مبين. وغالبا فان مثل هذا الزواج غير مصرح به .(جدول رقم: 05)

ج. **الزواج فعل اجتماعي تزينه العادات والتقاليد:**إن المجتمع قيد الدراسة يتجه في الآونة الأخير إلى تزويج البنت في سن صغيرة، نظرا لعدة اعتبارات ومفاهيم تظرب في عمق النسيق الاجتماعي والثقافي. حيث لم تعد تشكل الدراسة حاجزًا أمام الأهل في تزويج بناتهم، بل تنظر الاسر الى الزواج على انه سترة وحصانة من الانفلات الأخلاقي. وعليه تتزوج البنت دون قيد أوحرمان في متابعة الدراسة، والتي يسهر الوالد على جعلها ضمن أساسيات شروط العقد بل يصرح والد العروس لوالد العريس أن شرط قبول تزويج إبنته لإبنه يبنى على شرط السماح للبنت إتمام الدراسة إن كانت تدرس أو العمل إن كانت تعمل. ضمانًا لحقوقها مستقبلاًولتأمين حياتها وإستقرارها .

فان كان الزواج ضرورة فإن تأمين مستقبل البنت له أهمية،لأن الزواج هدفه الحفاظ على الشرف والأخلاق. كما أن الزواج في سن صغيرة يهيئ لها التكيف في المجتمع وتوافقها بسهولة في حياتها الجديدة.وإندماجها في العائلة التي أضحت واحدة من أفرادها. غير أن حديثنا الحميمي جعلنا نقف على بعض الحقائق التي صرحت بها النسوة في إحتشام معلن وخفي وبنبرة حسرة على ما يحصل من بعض الفتيات من سلوكيات تحط من قيمة العائلة وتلطخ شرفهم. ويعرض الأهل للنعت والوصم من جراء بعض السلوكات المستهترة و اللامسؤولة، والتي قد تلطخ سمعة الأسرة وتعسر تزويج البنت. وان هذا السلوك بات يهدد أمن وإستقرار الأسر،وعليه يرى أفراد المجتمع خاصة ضرورة تزويج البنت في سن مبكر وقاية وحمايةودعم للقيم الدينية والأخلاقية.

زواج البنت دون السن القانوني له عدة قراءات قانونية واجتماعية وثقافية ، بينت لنا انه وراء هذا الزواج المبكر هتك للعرض خارج اطار الزواج المسموح به قانونا وشرعا ، والذي يستلزم الستر. ومنه ظرورة تزويج البنت حتى وان لم تصل السن القانوني.أي حسبهم بحكم قضائي على يد القاضي وعن طريق المحكمة.

" بنتي تعرفت على ولد الجيران وعدها بالزواج، لكن منين هي صغيرا كلحا وفزدها ، ماخبرتناش حتان هربت معاه لدار جدو، وكي درنا جماعة زوجناهم بالفاتحة وعقدلهم القاضي خاطرش هي في عمرها 15 سنة" (مبحوثة رقم:02)

يتضح جليا ان الزواج يحتل مكانة في سلم القيم بمجتمع البحث قديما وحديثا ، وذلك ذي نقراه في الأغاني والاحاديث الجانبية، حيث ان الزواج يفضي على صاحبة الهيبة ويمنحه المكانة. فبقدر ما للزواج المبكر من قيمة فإن التأخر في الزواج له من الإستهجان والنفور. ما يشعر كلا الجنسين بالقلق خاصة البنت العزباء،فهي مصدر قلق لعائلتها وللمجتمعما يجعل هذا الأخير"الرافض للزواج" مظهر من مظاهر الإنتقاص في القيمة الفردية لكلا الجنسين (ذكر،أنثى)ولقد وقفنا على مثل هذا الترصد بالمتأخرين عن الزواج بنعوت كثيرة لعل أهمها "**البايرة**"للأنثى و"**زوفري**"للذكر ونعتهم أحيان أخرى بالانحرافأوانه غارق في الملذات مما شغله عن التفكير في الزواج أوانتقاص في رجولتهوعفتها.

- تزويج الفتاة في سن مبكر في مجتمع البحث يعد من ضروريات وأولويات العائلة، حيث يعتبر وقاية وحماية للشباب من الإنحراف ودعم القيم الدينية والأخلاقية لقوله ﷺ " يا أيها الشباب من لم يستطع منكم الباءة فليتزوج " كما يضفى على صاحبه (المتزوج) القيمة والمكانة. فالمجتمع يعتبر المتأخر في الزواج (ذكر/ أنثى) قاصر ومنقوص إجتماعيا. ينظر له نظرة انتقاص تظهر في لغة الحديث والخطاب حيث لا يعترف بهما ألا بعد الانتساب إلى مؤسسة الزواج وتأسيس أسرة. وتضل معاملتهما على أنهما تابع للأب والعائلة مهما تقدم بهما السن. فهما ينتسبان للعائلة " إبن فلان" " إبنة فلان "وعليه فـإن نعتهما بـ" **بايرة/ عزري/ زوفري"**لا توجد أحكام شرعية تحددها ، وإنما هي الأعراف والقيم من تخضع الأفراد لسلطتها حسب المتوارث من العادات والتقاليد التي تعتبر الزواج سترة للجنسين وذلك الذي لاحظناه ووقفنا عليه في حديث الخاص والعام في أن **" الزواج سترة للراجل والمرأة** " وعليه لابد من السعي لتزويج الأبناء خاصة الأنثى.

" الطفلة ماليها غير دارها وإلا قبرها ...لأنها كي تتزوج تهني والديها من التخمام والخوف عليها خاصة أناليوم الطفلة تقرا وتسافر وحدها الخوف زاد عليها...خاصة كي تروح الى جامعة بعيدة نخاف عليها ومن الأحسن تتزوج ا وإلا تتخطب وكي تكمل القرايا تتزوج وساعات تتزوج وتكمل قرايتها في دار راجلها ."

"كي ولات الطفلة تقرا ما تجي تكمل تكبر، تخاف يفوتها التران (قطار) تاع الزواج ... تكبر واحد ما يخطبها، لان ناس الشاوية من بكري يحبو الطفلة الصغيرة إلي تتربى على يدين أهل زوجها وترجع كي بنتهم. والزواج سترة للطفلة والطفل " (مبحوثة رقم: رقم 03)

وبناء على الأشكال المختلفة للزواج والأنماط المذكورة فإننا نتساءل، هل الزواج في المجتمع قيد الدراسة(باتنة) يمكن اعتباره زواجا خارجيا أم داخليا؟

ما يمكن قوله والإدلاء به بعد إقتحام الميدان أن الأسر التي رافقنا إحتفالاتها بالزواج تسعى إلى تحقيق الألفة والتقارب والوصول إلى التشابه قدر الإمكان،كما تسعى إلى إستمرارخط النسب الذي تدعمه العادات والطقوس المبنية على الضمير الجمعي. إنها عملية تنتهي بتشابك الخطوط الأمومية مع الخطوط الأبوية. من خلال إعادة إنتاج القيم والعادات التي تحتفظ البنية التقليدية.على الرغم من التطورات والتغيرات الحاصلة في معظم مجريات العرس الشاوي، فكان لذلك التواجد وتلك المعايشة دور كبير في الوقوف على مظاهر التغير لبعض الممارسات المرتبطة بالزواج. إذ أن السمة الأكثر صمودا تبنى على الزواج المبكر، والمرتبطة بشكل كبير بالعادات والتقاليد والقيم المتوارثة . فللمحافظة على الزواج المبكر بالرغم من كل هذه التحولات الإجتماعية، الإقتصاديةيدل على أن الأسرة تعيد إنتاج تقاليدها وعاداتها وإرثها الثقافي. من خلال ممارسات المرأة التقليدية، بالرغم من التغّيروالتبدل الدي افرزته العصرنة

والمتجه نحو الحداثة والتحضر. وحسب **مالينوفسكي** له معايير يتم وفقها وتظبطه تنظيمات وظوابط تحكمها التقاليد والأعراف.[1]

ثانيا: مراسيم ومجريات الاحتفال بالزواج:

عندما يتزوج المرء يعمد إلى تغيير ملابسه وشكله وهيئته، ليدل بذلك على التحول والتبدل والتغيير الجذري في حياته. كناية على تغيرالحال و إستقلال الشخصية، والتحول في الوضع الإجتماعي بلعتباره طقس روحي له بعد ديني، يظهر الرجولة والأنوثة . كما يعد نظام إجتماعي وقانوني تتمثل فيه بنية الجماعة وتتجلى فيه خصائصها وهو يخضع في تنوعه لعادات وأعراف وطقوس ترتبط بعقيدة الجماعة وسلوكياتها وممارساتها الإجتماعية والأخلاقية حيث تتماشى وفق معايير محددة لإعلانه. وربما كانت الإتصالات بين النساء محورها إبتداء برغبة العائلة في تزويج إبنها إلى المشاورات،وتليها تعيين البنت المناسبة ثم الرغبة في الإرتباط فعلا ثم الخطبة الرسميةوتليها قراءة الفاتحة والإتفاق على قيمة المهرثنعقد النكاح (الملاك) ثم إقامة الحفل و إنتقال العروس إلى بيت زوجها. وان تجاوز بعض هذه المحطات لا يتم إلا بالإحتكام إلى طقوس تسير المناسبة وتؤسس لقيامهاوفقا للعادات وللتقاليد. وقد يستغرق الإنتقال من محطة إلى أخرى وقتا من التدابير والإجراءات المتفق عليها إجتماعيا. لكن تبقى هذه المحطات والمراسيم إجمالا بمثابة الخطوات الرئيسية المتبعة لإتمام الزواج. وهي تعبر بطبيعة الحال عن الحالة الإجتماعية والثقافية القائمة والتي قد تتأثر نتيجة التحولات والتغيرات التي تمس المجتمعات ومؤسساتها كما تبين لنا طيلة قيامنا بمجتمع البحث وإنجازنا لهذا العمل الحقلي. التغيرات التي مست بعض من مراسيم الاحتفال بالزواجترافق هذه الرحلة سيرورة من الإعدادات والترتيبات التي هي بمثابة إعلان رسمي لإنجاح الخطبة وإتمامها، ومنه الإشهار لهذا الحدث للأهل والأقارب والجيران للمشاركة، وفق مراسيم ومجريات تنم عن الخصوصية الثقافية للمجتمع وبذلك فان مجريات الزواج تنقسم إلىمرحلتين:

1- حسن عبد الحميد رشوان،مرجع سبق ذكره، ص13.

1. المرحلة التمهيدية:

تعتبر هذه المرحلة الأهم من بين كل المراحل إذ تعد بداية وضع الأسس الأولية للزواجالمفضي إلى تكوين أسرة وإقامة عائلة كنظام إجتماعي وقانوني تتمثل فيه بنية الجماعة وتتجلى فيه خصائصها وهو يخضع في تنوعه لعادات وأعراف وطقوس ترتبط بعقيدة الجماعة وسلوكياتها وممارساتها الثقافية والأخلاقية حيث تتبع الفئات الإجتماعية معايير محددة لإعلانه. وربما كانت الإتصالات بين النساء محورها إبتداء برغبة العائلة في تزويج إبنها إلى المشاورات،وتليها تعيين البنت المناسبة ثم الرغبة في الإرتباط فعلا ثم الخطبة الرسمية فقراءة الفاتحة والإتفاق على قيمة المهروعقد النكاح (الملاك) وصولا إلى إقامة الحفل وإنتقال العروس إلى بيت زوجها. وأن تجاوز بعض هذه المحطات لا يتم إلا بالإحتكام إلى طقوس تسير المناسبة وتؤسس لقيامهاوفقا للعادات وللتقاليد. وقد يستغرق الإنتقال من محطة إلى أخرى وقتا من التدابير والإجراءات المتفق عليها إجتماعيا. لكن تبقى هذه المحطات والمراسيم إجمالا بمثابة الخطوات الرئيسية المتبعة لإتمام الزواج، وهي تعبر بطبيعة الحال عن الحالة الاجتماعية والثقافية القائمة. والتي قد تتأثر نتيجة التحولات والتغيرات التي تمس المجتمعات ومؤسساتها كما تبين لنا طيلة قيامنا بمجتمع البحث وانجازنا لهذا العمل الحقلي. التغيرات التي مست بعض من مراسيم الإحتفال بالزواج.

أ. الخطبة (الفاتحة / الملاك):

تعد الخطبة

همزةالوصللتعارفوالزواجوالخطوةالرسميةلحدوثهوهيالمرحلةالتحضيريةلتوثيقالعلاقةبينأسرتيالزوجوالزوجة. وبالمفهومالثقافيتعني الإجراءالأوليوالتمهيدي الذي يضفي إلى الزواج بعد الإستجابة لهذه الرغبة وفقا لمراسيم تختلف بإختلاف عادات وتقاليد كل مجتمع.فإذا تمت الخطبة وسارت الأمور على حالها يتم الإنتقال إلى الفاتحة(**الملاك**).[1] ثم يحدد المهرويتم الإتفاق على كل الشروط التي يتضمنها العقد. ويقصد منه الإعلان بالإتفاق بين الطرفين(العائلتين) على الزواج.

1ناصر قاسمي، مرجع سبق ذكره، ص27

والخطبة أولى الخطواتوالمراسيمالرسميةالممهدةلهذا الزواج.هذهالخطوة التي تسهرعليها النساءمنكلتاالعائلتين (الزوج /الزوجة) وتعمل علىإنجاحها وإتمامها بمايخدمالمكانةوالمركزالإجتماعي. حيثتبدأ باللقاءاتوالمشاورات في كل ما يتعلق ب " المهر،الجهاز،السكن،العمل ..."وغيرها من الأحاديث الجانبية التي تجمع النسوة من خلال الزيارات المتفرقة لبيت العروس، واللواتيينقلنإنشغالاتهن للرجاللبثفيالموضوع. وبعدالإتفاقالنهائيبينوالدةالعروسووالدها تستدعىعائلةالشاب(العريس) لترسيمالخطبةالمتضمنةجملةالشروط التي أقرتهاالنساءوإتفقتعليها وأسفرت عنه مشاوراتهم،وماعلى الرجال إلا إشهارهاأماممالحضور(الجماعة). ومنه فتحديد المهر أو**"الشرط"** كما يصطلح عليه بين الأسر الباتنية يحدد في تلك اللقاءات النسوية.وما بين المد والجزر تبرز كلمة " **نْدِيرُوا سِيرَتْنَادِيرُو سِيرَتْكُمْ"** وبتدارس عادات وتقاليد كل أسرة يتم الإتفاق على المهر أو الشرط الذي يتبع آخر عروس تزوجت هذا العام، أي يتبع ويساير شروط العرش ، وعليه تحديدقيمةالمهربقولهم (كيماالعرش) تليها مباشرة مرحلة الخطبة الرسمية والإشهار. حيث تتفق العائلتين على أن فلانة أصبحت خطيبة عائلة فلان بقولهم " **مبروك عليكم ولات مرتكم"** وتتفق العائلتين بعدها على الخطبة الفاتحة الملاكFiançailles*،حيث يقام الإحتفال في بيت الخطيبة بحضور أهلها ومدعويها، ويشاطرهم في ذلك بعض الأقارب من أهل الخاطب.

لقد تحدث الإسلام عن الخطبةفشرعها قبل الزواج وشرع الإختيار قبل الخطبة لقول الرسول عليه الصلاة والسلام" **تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس** ". وفي اللغة معناها "الوعظ والقراءة" فيقال خطب القوم، وخطب الفتاة دعاها إلى الزواج فهو خاطب وهي خطيبة . وتولي الأسرأهمية لهذه الخطوة التي يتم فيها التعارف بين الخطيبين وأسرتيهما وتعطى أهمية لهذه العلاقةالتي تعني إظهار الرغبة في الزواج.حيث يعتبرهاالمجتمع المحلي خطوة أساسية ومهمة لإتمام الزواج ونجاحه. والتي تبنى على مجموعة من التحضيرات والمراسيم الخاصة التي تبرز فيها العاداتوالتقاليد. هذه الليلة المهمة في حياة الخطيبين خاصة البنتتُعِدُ لها كل ما يليق بها وبأسرتها وبكرم الإستقبال للأهل الخاطب ولإشهار إرتباطها

*التسمية نسبة الى امتلاك الشيء اشارة الى ان العروس اصبحت ملك للعريس .

وإنتقالها من العزوبة إلى الإرتباط. فهي (المخطوبة) تعتبر"**الملاك/ الفاتحة**" مؤشر للتحول من العزوبة إلى الزواج. إنه بمثابة إعلان رسمي ورمز للإرتباط بين شخصين حسب سناء الخولي[1]،

> كي تتخطب الطفلة ويتفاهموا الرجال على الشرط يحددوا نهار الملاك لى هو الفاتحة، باه تلبس لعروس الخاتم وتولي مسمية لفلان... هذا النهار هو المهم في حياةالبنات يحبوا يفرحواويفوخوا (يتباهوا) قدام صحاباتهم (أمام صديقاتهم) خاصة بالخاتم و لعريس (مقابلة رقم: 11)

الخطبة إحدى المراحلالمهمة للعبور من العزوبة إلى الزواج، والتي تستدعي حضور جملة من الطقوس والممارساتتحمل في طياتها الجوانب الدينية والشعائرية والرمزية لإتمامه بما يتماشى والمعايير الإجتماعية المستمدة من العادات والتقاليد. فهي تعد الفترة التحضيرية أو الإنشائية لتوثيق العلاقة بين الأسرتين ووضعالأسس الزوجية[2]. وعليه فان المراسيم التمهيدية التي تمت بين الأسر تعطى لها الصيغة الرسمية والتي فحواها الدين الحنيف، حيث يتم قراءة الفاتحة من طرف الرجال والدعاء للزوجين بالحياة السعيدة والذرية الصالحةوتتعالى الزغاريد فرحًا وإشهارًا بإتمام الخطوة المهمة المفصلية للزواج. وبذلك تعتبر البنت مخطوبة بصفة رسمية أي "**معطية**" حيث تقرأ الفاتحة من طرف الرجال، وبمجرد إعلاء الزغاريد تعتبر مرحلة الإتفاق تمت ومنه الإستعداد لباقي المراحل وبداية حفلة الخطوبة بشكلها العصري والتي تعرف بالملاك، غير أن التقدم والتحضر غير قليلاً في مظاهر الملاك فأصبحت الأسر تهدي العروس خاتما من ذهب بمجرد الاتفاق وتعتبر مسمية لفلان او خطيبة فلان إلى حين وقت الخطوبة الرسمية التي يرافقها احتفال يشارك فيه العائلتين ويقام في بيت المخطوبة .

> بكري كانت العايلات تزغرت على الطفلة كي تتتعطى يعني تتمد 'تخطب' بعدها يتفاهموا على يوم الخطبة الي هو لملاك. واليوم تبدل كلش رجعت أم لعريس تدي معاها خاتم وكي يقبلوا أهل لعروسة ويزغرتوا النساء ويقراو الفاتحة تلبس الخاتم للطفلة باه تعلمها وتولي

1سناء الخولي ،مرجع سبق ذكره ، ص34

2مرفت العشماوي،المرجع سبق ذكره ، ص165.

عروستها وهو الي نسموه خاتم الشوفة .يعني الطفلة معطية يعني
مخطوبة (مقابلة رقم :16)

الخطبة مؤشر لقرب حدوث الإرتباط.[1]حيث يمكن أن تكون ناجحة ويمكن أن تكون فاشلة فهي غير ملزمة لأي من الطرفين بإتمام الزواج.ويمكن للشاب أن يعدل عن خطبته وللمرأة أن تعدل عن قبوله ا. نظرًا لكون هذه الأخيرة (الخطبة) لا تتجاوز الوعدبالزواج. فمن خلال حضورنا لهذه الاحتفالاتطيلة هذا العملوالمشاركة في هذا الحدث الهام "الزواج"لاحظنا أن أغلبية الأسر تتفق على أن الخطبة مرحلة تعارف بين الأسرتين قبل أن يتم الزواج الفعلي وذلك للتعرف على العادات والمراسيم ومجريات التحضير للزواج، وما تعلق بها من إظهارالإحترام وإعلاء قيمة العروس بين أهلها وتوطيد العلاقات الأسرية من اجل أن تتم الخطبة بإشهار الزواج.وأن هذا الحدث ا لإجتماعي ترافقه مجموعة من الطقوس والعادات التي تجعل منه مناسبة إحتفاليةمحكومة بالعديد من الشروط الثقافية والأنثربولوجية بعضها مستمد من الدين الإسلامي الحنيف والبعض الآخر متصل بالعادات والأعراف ، وتعتبر خطوة مثقلة بالمفاهيم المتبادلة المرتبطة بهذا الحدث منذ بداية الإستقبال وما يرافقه من إظهار للمكانة والتباهي والتفاخرإلى أن يتم الاتفاق بالإيجاب أوالسلب حول الخطبة و إتمام الخطبة بالقبول والاتفاق . حيث تعتبر هذه المرحلة التمهيدية الأساس والأهم لإتمام الزواج، إذ تعتبرمرحلة الإتفاق والمفاوضات والمشاورات حول المهر، ومرحلة مهمة بالنسبة للعائلتين المانحة والمالكة.

فإذا كانت الخطبة الفترة التمهيدية التي تسبق عقد القران ففيها يتمإختيار الفتاة للشاب الذي يريد الزواجوالاتفاق على المهر وعقد القران وتحديد شروط الزواج(الصداق/المهر). والإفصاح الذي يصاحبه زغاريد وممارسات طقوسيةوتعيين موعد الزفاف.غير أن الخطبة في حد ذاتها مرت هي الأخرى بمراحل مختلفة سوف نحاول إلقاء نظرة عليها رغم أنها ستستحق تسليط فصل كامل من الدراسة كون هذه الأخيرة مثقلة بالطقوس والممارسات. ونظرا للإنفتاح الذي شهده المجتمع الجزائري عامة والمجتمع الأوراسي

1- عباس فريال، مرجع سبق ذكره ، ص-30

بمنطقة باتنة والتي ترتبط بعوامل التغير السوسيو-ثقافي فإن بعضا من طقوسها تغير ولم يصمد في حين أن البعض الأخرى من هذه الطقوس بقي صامدا أمام رياح التغييروالحداثة.

اللملاكأوالفيونساي Fiançailles كمااستقرتعليهاالتسميةفيالآونة الأخيرة ،وأجمع عليهالمجتمعالجزائري. إحتفال يجمع عائلتين(الخاطب/المخطوبة) لكنتبقىالتسميةالمحليةفيكلعائلةواضحة ما بين**"الحنة ،الملاك،الفاتحة"** هذا الإحتفال الذي تزينه العادات والتقاليد المتوارثة عبر الأجيال يحوي العديد من الممارسات الجمالية والسحرية ولعل أهمها ما تسهر عليه كل عائلة من حملالهداياللعروس (**الجهاز**) مع العديد من الأغراض **"شاة، خضر، فواكه"** بالإضافة لذلك تحمل الأم " **صينية"** الحنة أو ما يسمى **"بالطبق"** المتعددة الأشكال والأحجام، منها ما يصنع يدويا بيد النساء في المنزل ومنها ما يشترى من المحلات المخصصة لبيع لوازم العروس تماشيا مع التقدم والعصرنة. غير أننا شهدنا مرات عديدة تحضير هذه "الصينية" أو "الطبق" في منزل العريس، وقمنا مرات عديدة بالمشاركة في إعداده أو شراءه. وفي بعض المرات أشرفنا على إعداده شخصيا وهو عبارة عن صينية أو" **الطْبَقْ"** يحتوي على (**حنة،شموع، ماء الزهر، صحن، قطن، قفازان، كأسان ، موس**) حيث تتنوع أشكاله ما بين التقليدي والحديث على حسب مظاهر التغير الذي تعرضت له مناطق البحث التي خصها عملنا (صورة رقم: 01)

للإشارة فان هذا **الطْبَقْ** يتغير من أسرة الى أسرة تبعا للمستوى الإقتصادي ما بين المدينة والريف غير أن الذي وقفنا عليه من خلال التحضرللحدث أن العائلات فرض عليها العديد من الأشكال والأنواع التي غيرت من شكل ومحتوى هذا الطبق الأساسي في ليلة الحنة. وعليه

اليوموبفعلالتحضرتغيرتمراسيمالإحتفالبهذااليومولميبقىمنعراقتهاغيرربطالحنةللعروس. والتي لاغنى فيها عن الطقوس التقليدية التي تستوجب او تشترط حضور إثنين(02) من **اللويز** "زوج لويزات تحني عليهم **"(قطعتين ذهبيتين)** حيث يتم وضع كل واحدة على حدى في يدي العروس(اليمنى/اليسرى) وتوضع فوق كل **"قطعة لويز"** قليل من الحناء بشكل دائريبعذها تغطى القطعة الذهبية بقليل من القطن ثم توضع يد العروس في قفاز مخصص لكل يد، والذي تتعددألوانه حسب إختيار المختفل بالزواج. وفي الغالب يكون اللون الأبيض أو الوردي هو اللون المفضل .

" تحني لعوس على زوج 02 لويزات ذهب، تجيبهم أم لعريس
وتجيب معاها صينية الحنة أو **الْطْبَقْ** تشريه أو يخدموه في الدار على
ذوقهم كل عايلة واش تحب، المهم هو ضروري وتزيد معاه الشمع.
وماء الزهر ويكون مزين من كلش" (مقابلة رقم: 04)

يحمل أهل الخاطب هذه المستلزمات التي تحرص عليها النساء من الطرفين، والتي لاغنى عنها في إتمام ليلة الحنة او مايسمى بوم الخطوبة وأحيان يكون مرافق حتى يوم الزفاف حسب ما هو متفق ومتعارف عليه بين العائلاتين . أما "الهدايا والشاة" فلقد عوضت أو أستبذلت اليوم بفعل الحداثة والعصنة والتقدم بمبلغ مالي تتفق عليه الأسرتين(المانحة/ المالكة) يوم الخطبة والذي يضاف إلى مبلغ "المهر/ الشرط"، حيث إستغنت العائلات الباتنية على تلك المصاريف والهدايا واعتبرته تكاليف إضافية، ومنه من الأحسن أن تحتفظ المرأة (العروس) بالمبلغ لتستفيد به في ترتيب زواجها مع إبقاء كل ما يتعلق بالممارسة الطقوسية التي تستوجب حضور الحناء ولوازمها لإتمام الخطبة . هذه المادة "الحناء "التي تضعها العروس ليلة الخطبة ويوم الزفاف تصر العائلات " أم العريس/ أم العروس" على أن تكون حنة طبيعية بعيدا عن المستحضرات العصرية نظرا لإرتباطهم بهذا المنتوج منذ القدم في حياتهم اليومية .حيث يعتبرونها عنصرا مهما في الأفراح والعلاج. فالحناء ترافق المرأة في كل محطات حياتها للتجميل وعند النفاس وفي الخطبة والزواج .

تتنوع مراسيم الاحتفال بهذه الليلة من أسرة إلى أسرة، ومن عرش إلى عرش ومن منطقة إلى منطقة من المناطق التي خصها عملنا بمدينة باتنة.حيث أنه رغم التغير والتقدم الذي لحق بالمجتمع سواء في القرى أو المدن إلا أن سلطة الطقوس والعادات تفروض في الكثير من الأحيان على الشباب للإلتزام بها وبما يمليه عليهم العرف لكي لا يتعرضون للتهميش والنبذ الاجتماعي لأن الخارج عن العادات والتقاليد كالخارج عن القانون حسبهم. ف إن كان الثاني (القانون) يعرضهم لعقاب المادي، فان الأول يعرضهم للعقاب المعنوي الذي يؤثر في سير الحياة وجودتها مستقبلا. وبناء على ذلك فان الأم ابنتها تحث ابنتها (العروس) على الإلتزام بعادات أهل زوجها و إحترامها لأنها أصبحت منهم وذلك يفرض

عليها الإنسياق لعاداتهم وأعرافهم خاصة إذا تعلق الأمر بخاتم الخطوبة. حيث تصر الفتاة على أن تظهر فيهذا اليوم الذي مع خطيبها أما أهلها وهي تتبادل مع عريسها لبس خاتم الخطوبة.غير أنه جرت العادة في الكثير من مناطق البحث استبعاد العريس من هذا الحدث . فبعض الأسر يفضلون أن تُلبس العروس خاتم الخطوبة "الجدة ،الأم ،الأخت" أو إحدى النساء المعروف عليهن السمعة الطيبة والنجاح في الزواج تبركًا بها خاصة من ناحية الإنجاب. وتستثنى من كل ذلك الأرملة والمطلقة. فلا تقترب من العروس خوفا على أن تنتقل عدوى فشلها، وعليه فهي (العروس) مجبرة وملزمة بالقبول والامتثال للعرفوالعادات وما عليها إلاَّ إلامتثال لسلطتها، حيث تبقى المسيرللحدث الإحتفالي رغم التغير السوسيو ثقافي

"لعروسة تلبسلها الخاتم أم لعريس وإلا ناناه(الجدة) وإذا كاين امرأة سعدها مليح جرتها مليحة (فالها طيب) تحني لعروس باه تولي حياتها كيفها، خاصة إلي تولد (الولادة) باه لعروس تربح عليها وأحنا ما يدخلش الراجل على النساء هذي حرمة الرجالوالحشمة مليحة،العريس كي يدي مرتو(العروس) لداروا (منزله) ويلبسها واش يحب. واذا سمحولوا دار لعروس باه يلبس الخاتم مافيهاش مشكل المهم كل عايلة وعاداتها"(صور رقم :02)

يعتبر هذا الاحتفال بيوم الخطبة ولبس الخاتم مجالا واسعا للتفاخر والتباهي بين العائلتين وبين الحضور ذلك الذي وقفنا عليه عند أغلب الأسر. حيث يلتقي الأهل من العائلتين في جو إحتفالي يبدأ في بيت الخاطب وينتهي في بيت المخطوبة، تحضر فيه كل المشاهد الاحتفالية ما بين العصري والحديث وتزينه الممارسات الطقوسية التي تحرص عليها المرأة الشاوية . ففي هذا الاحتفال العائلي يتم إهداء خاتم الخطوبة للعروس كدليل أنها ملك لفلان كما جرى العرف في منطقة باتنة على غرار كل الجزائر والمجتمعات العربية. كما يعتبر بمثابة الحاجز المنيع أمام أي راغب في خطبتها، بإعتبارها خطيبة فلان. ويقال فلانة مسمية لفلان إلى أن يحين يوم الزفاف "العرس". ففي هذا اليوم يتبادل العروسان لبس خاتم الخطوبة في جو بهيج تتعالى فيه الأغانيعلى صوت البندیروالزغاريد المهللة فرحا بهذه المناسبة السارة التي تتجسد فيها كل العادات في حضور قوي للمارسات الطقوسية والتقاليد المتوارثة.

هذا الحضور القوي للعادت والطقوس التقليدية لم يسلم من رياح العصرنة. فلقد مس هذه الليلة تغيركبيرفيكلجزئياتهامن (**لباسالعروس،قطعةالحلوى،خاتململاك**) حتى بات الإحتفال بها شبيه بحفلة فنية أو عرض أزياء، أو حفل تتويج ملكي تزينه في الغالب الشموع والأزهار التي تحملها العروس وتتزين بها في هذه الليلة المميزة في حياة العائلتين والخطيبين. وعليه يعتبر يوم الخطوبة إعلان رسمي ورمز للارتباط بين عائلتين، حيث تحمل عائلة الخاطب للمخطوبة الهدايا من اللباس والحلويات فرحا بها وبنسبها وعائلتها وبهذه المصاهرة، وقالب الحلوى " Pièce montée" الذي يعتبر أساسي وضروري لإتمام حفلة الخطبة. حيث يأكل منه المخطوبين في حضور الأهل والأقارب. من العائلتين ويتبادلان الشرب. في جو مشحون بالفرح وتتعالى فيه الزغاريد والرقصات في وسط نسوى. وفي بعض العائلات يدخل بعض الرجال مع العريس (الأخ، الخال، العم).

تتجسد في هذه الليلة مظاهر التفاخروالتباهي حيث يخترق الخاطب حلقة النساء بحياء ويجلس إلى جانب خطيبتهلأخذ الصور التذكارية، ويتباهى كلاهما بالآخرولإبراز المكانة الإجتماعية والإقتصادية لكلاهماولقد وقفنا في بعض المناسبات على صور لإحتفال يشبه الحفلات الغربية الصاخبة التي تتعالى فيها الموسيقى ويختلط فيها الجنسين. حيث يرافق العريس عروسه في هذه الليلة ، فبعدما يتبادلان لبس خاتم الخطوبة يقوما معًا بتقطيع قالب الحلوى الذي تتعدد أشكاله وأنواعه وفق للمستوى الاقتصادي ثم يوزع على الحاضرين القليل منها، والبداية بالبنات غير المتزوجات كفأل خير. لكي تتبع العروس وتتزوجن من بعدها مباشرة كما جرى العرف انه من تأكل من نفس القطعة التي أكلت منها العروس تتزوج من بعدها مباشرة، وهكذا يتم الاحتفال على الطريقة الأورُبية من حيث التجديد والعصرنة ويتلون بعادات وتقاليد الأجداد المتوارثة بحمولتها القيمية.(انظر الصورة رقم:03)

" الفيونساي Fiançailles المناسبة المهمة في حيات كل طفلة، شحال وأنا نسنى في نهار اليوم باه نديرملاك يبقاو كامل صحاباتي وعايلتي يحكوا عليه. شحال وأنا نوجد في ليقاطو... خدمت في الدار07 أنواع قاطو ولكن يما أصرت على

اننا نحطو الزيراوي هو الأول وزيد المقوظ . ودار راجلي جبولياالجهاز والذهب وصينينة الحنة وزيد (بياس مونتي، الفاكهة، القشقشة) كل عايلة حسب عاداتها ومقدورها وتاع لمدينة ماهمش كيما تاع الدوار." (مقابلة رقم:08)

لعراس تبدلت اليوم كل عروسة ولات ادير واش تحب بصح لازم علينا نحافظوا على عادات الجدود...مثلا أنا حتى وإلا الخطبة درناها في الصالة(قاعة حفلات) خاطردارنا ضيقة ومعاريضي ياسر بصح كيما تشوفي كلش تقليدي من الماكلة للقاطو (بربوشة وجاري) و(القاطو، مقروض، زيراوي)، وجبنا معانا البندير باه تغني النساء... مايحبوش DJ رغم اننا سلكناه مع الصالة لكن نحبو الغناء بالبندير *حتى لبنات كي يلقاو البندير ينساوالشطيح والرديح، وتتشارك النساء ولبنات في الغناء والترحاب خاطرش العرس الي مافيهش غناء بالبندير وترحاب مايسماش عرس (مقابلة06). (صورة رقم:04)

إن يوم الخطبة يتجسد يحضر فيه العصري الى جانب التقليدي، ليرسم لوحة تنم عن الانتماء الحضاري والهوياتي من جهة وتوحي بمظاهر التغير والحداثة من جهة قانية. ولعلى أهم مظهر لهذا الاحتفال هو ظهور العروس كملكة تتوج على عرش سلطانها بارتدائها لأنواع وأصنافالألبسة التي تتنوع بين المحلي من " الفرقان ي القسنطيني، القبائلي، الشاوي، السطايفي، العنابي، "التلمساني " و من العربي والأوربي"الساري الهندي ، القفطان المغربي، العباءة الخليجية ،السواري الاروبية" حيثارتداء العروس لهذه الطبوع والازياء مناسبة ل تظهر فيها العروس جمالها وزينتها أمام الحضور وتماشيا مع التغير الحاصل في المجتمع. كما تتنوع أطباق الأكل غير ان الأطباق التقليدية باقية بقاء الإحتفال بالعرس الشاوية خاصة اطباق "البربوشة، الجاري،الزيراوي، الشخشوخة، الطمينة". فالمناسبة مساحة شاسعة لهيمنة

*البندير: الة موسيقية رئيسية في احتفالات الزواج، يصنع الاطار الخارجي من الخشب على شكل دائري(مستدير الشكل) له ثقب من الجانب ليدخل فيه العازف الاصبع ابهامه للتحكم فيه، تعده في العادة النساء في البيت واحيانا يساهم الرجال في اعداده من جلد المعاز الرفيع بعد ذبحه ، يوضع الجلد في الماء الممزوج بالملح ومادة الشب ، ثم يلصق على اطراف الاطار الخشبي الذي يطلق عليه اسم(الطارة) ويلصق على الحواف بواسطة طراء تقليدي يصنع من مسحوق الدقيق ويعجب بالبيض (المح) ثم يترك مدة من الزمن حت يجف. لكن اليوم بفعل التحضر أصبحت العائلات في مجتمع البحث تشتريه او تقوم باستئجاره من الاهل الذين يحتفظون به خصيصا لقيام افراحهم التي لا تتم الا بصوته المصحوب بحناجر النساء والرجال ومشاركة الأطفال.

الممارسات الطقوسية بما تحمله إرث ثقافي وانتماء هوياتي يحافظ هليها مجتمع البحث في استسلامهم لاواعي لعادات الأجداد.

تتمثل التقاليد والعادات المتوارثة على السطح وتتضح من خلال مظهر العروس. نقرأ الاصالة في لباسها التقليدي، ونتذوق طعم الماضي في أطباق الحلويات التقليدية وطبق **الزيراوي** خاصة التي تتزين بها موائد الإحتفالات بهذه المناسبة الهامة سواء أقيم العرس في البيت أو بقاعة حفلات(صالة) فيحضر التقليديليزين الحدث كدليل مادي على التمسك بالأصيل رغم التقدم. .غيرأنها حداثة ممزوجة بعراقة الماضي وعادات وطقوس الأجداد. فإن كان العريس يجلس إلى جانب عروسه يلبسها خاتم الخطوبة ويقطع قالب الحلوى، ويطعمها وتطعمه. فبرغم كل مظاهر الحداثة المسيرة لاحتفالية إلا أن لباس العروس تقليدي من عمق الأصالة الجزائرية. إنه مؤشرعلىأن الإنتشار الثقافي والقطبية الثقافية بين الأصالة والمعاصرة لم تزح الماضي المروث. وانما هي مؤشراتعلىأنمراسيمالزواج مثقلة بالطقوس والممارسات الضاربة في عمق العادات والتقاليد .وتلك هي خصوصية المجتمع والتي لاحظناها في معظم الحفلات من الخطبة إلى الزفاف والتي تعد المرأة الفاعل الأساسي في نقلها واستمرارها بين الأجيال بحمولتها الثقافية والقيمية.

ب. **المهر (الشرط / الصداق):**

إنه قيمة يقدمها الراغب في الزواج، وفي الغالب تدفع من أسرة الزوج إلى أسرة الزوجة. والمرتبطين بالمصاهرة حرصا من الأسرتين على نجاح الزواج.[1]ويخدم هذا المهرالمدفوع وظائف عديدة من بينها أنه يرمزإلى المكانة الإجتماعية والإقتصادية للأسرة التي ترغب في الإرتباط عن طريق المصاهرة لضمان الزواج في المستقبل. والملاحظ أن المرأة هي من تشرف على تدبر الشؤون المالية(**المهر**) بحيث تستخدمه فيما يحقق مصلحة ابنتها وزوجهاعلى حدالسواء. فالمهرالممنوح مجرد

1محمد الجوهريوعلياء شكري، مرجع سبق ذكره ، ص11

وسيلة لمساعدة العروس"**تجهيزالعروس**" كما يعد راسب ثقافي قديمما تزال الأسر تحافظ عليه من خلال إقامة حفل الخطبة أو ما يسمى (**ملاك/ فاتحة**) الحدث المهم الذي يلي مرحلة الاتفاق بين العائلتين.

تعد هذه المرحلة بمثابة الإشهار الفعلي بأن فلان خطب فلانة. أو تمثل الجانب المادي لتوثيق الخطبة. حيث أنه تبدأ بمشاورات بين النساء وتنتهي بين الرجال ليتم إشهار قيمة المهر بينهم في حضور العائلتين، والذي هومتعارف عليه بين العائلات الشاوية. وحسب انتماء كل عائلة الى عرش معين(توابة سراحنة، بني بوسليمان، جبايلية) وبذلك فإن الخاطب إذا كان ينتمي إلى نفس العرش فإنه يعلم قيمة المهر ولاداعي للتحدث فيه وانما يبقى الحديث بين النسوة بما هو متعارف عليه لإشهاره بين الرجال.أما عرش "بني بو سليمان" بمنطقة تكوت فالمهرمحدد ومتفق عليه ومدون في وثيقة العرش (وثيقة الزواج) * التي ألغت كل الاعتبارات الطبقية والتفاخرية.

يتم العقد (الفاتحة) في بيت العروس ويتم الإتفاق بين الرجال على عدة أمور أهمها تحديد يوم الزفاف. ثم يقدم المبلغ المالي لوالد العروس أو أحد الأقارب (جدها،عمها،خالها) والذي يتولى بدوره إرجاع مبلغ من المال لوالد العريس، ويكون المبلغ رمزيا (الفين دينار 2000 دج)كرمز للكرم والاحترام المتبادل بين العائلتين. ثم تختتم المناسبة بالدعاء للعروسين بالذرية الصالحة.ذلك الذي وقفنا عليه في معظم المقابلات والإحتفالات، وما لاحظناه شخصيا في نطاق العائلة باعتبارنا احد أفراد مجتمع البحث.

> بعد ما تقبل عائلة العروس بالخطاب يحددوا يوم الملاك أو الفاتحة باه يسلكوا الشرط (الصداق)...قيمة الشرط معروفة بين العائلات في باتنة، أب لعروسة مايشرط والوا غير يقول للجماعة الشرط يتبع شرط أخر عروس .والا كيما العرش ، يعني لي تزوجت هذا العام من العايلة يعني الشرط معروف بين العايلات الباتنية، قبل عامين كان 15 مليون فيهم كلش، وألان 18 مليون فيهم كلش. وكاين عايلات وصلت حتى 20 مليونالشرط من دونمصاريف. (المقابلة: رقم:01)

يجري تحديد المهر(الشرط) في المجتمع قيد الدراسة (باتنة) مثل آخر عروس التي قد تكون أخته او أختها، اوز زوجة مقربة للإحدى العائلتين، أو مثل العرش والاقارب .أي مثل العروس القريبة

* - أنظر وثيقة الزواج لعرش بني بوسليمان في الملاحق

(**دخلانية**) وعليه فلا داعي لتحديد تفاصيل المهر. والمتفق عليه عرفا في حدود مقدور اللأسر ولا يتجاوز المتفق عليه بين الأسر أي ما بين 15 مليون الى 20 مليون لتيسيرزواج الشباب. ويقدم بطريقتين .

الطريقة الأولى:قيمة المهر تحددما بين مليون15 إلى18 مليون، والذي يسمى شرط او صداق للعروس وهو يشمل "**الذهب ، الجهاز** " أو ما يسمى بالكسوة وا اللباس " أما" **المؤونة** أو **المصروف**" تُحمل الى بيت العروس يوم الزفاف"العرس"وتقع على عاتق أسرة العريس.

الطريقة الثانية :أن يحدد مبلغ الشرط نقدا أي ما بين 03 ملاين إلى 05 ملاين تقدم للعروس في حين يتكفل أهل العريس بكل المستلومات الاخرة والتي تشمل "**الجهاز والذهب والمؤونة**" حيض تقدم الى اهل العروس قبل يوم الحنة بيوم مع شاة لحلال في جو احتفالي تتعالى فيه الأغاني والزغاريد وطلقات البارود، على شرط أن تأخد عائلة العريس الجهاز من اهل العروس قبل يوم العرس حسب ماهو متعارف عليه ويتماشى مع العادات والتقاليد.

ننيجة للتغير السوسيو ثقافي وما رافقه من تغير أقتصادي وتكنولوجي فإن الشرط (المهر) أصبح يثقل كاهل الاسر والمتقدم للزواج ، وعليه ففي إطارأقلهن مهرًا أكثرهن بركة عمدة الأسرإلى التخفيف والتقليلمن المهر وتكاليف الزواج حتى يتسنة للشباب الزواج .وذلك ما يتجسد من **وثيقة الزواج** وثيقة عرش "**بني بوسليمان**" بمنطقة تكوت هذه الوثيقة التي تضبط المفاهيم والقيم المرتبطة بعادات المجتمع المحلي وتخضع لها كل العائلات والأسر الداخلة في نطاق المصاهرة والجيرةوالقرابة. حيث مارست هذه الأخيرة تأثيرها على المناطق المجاورة (آريس، كيمل) وإنتقلت إلى المدينة باتنة. اذ يتمالمصادقة عليها سنويا في شهر أوت من كل سنة في عيد احتفالي يسمى عيد "**لخريف**"*

ج. أبعاد ورمزية الخطبة والمهر:

---

*- من ناحية العلاقات الاجتماعية يشكل هذا السوق مناسبة للنظر في قانون العرفي، يراجع في كل موسوم من كل عام حيث عن طريقه تضبط العلاقات الاجتماعية التي تربط بين الشرائح الاجتماعية وبين والاعراش والقبائل وتتفق فيه الاعراش في اطار التآزر الاجتماعي على المساهمات التي تقدمها مختلف القبائل ضمن العادات الاجتماعية السائدة في هذه المناطق كالأفراح والمواسم وكذى المأتم، ص152. انظر سليم درنوني، مساجد الزوايا والاضرحة بالجزائر، منطقة تكوت بالأوراس عينة، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد12 سبتمبر 2013

من خلال العمل الحقلي الذي جمعنا بالفاعلين الإجتماعين بمجتمع البحث(باتنة)ومن خلال مجريات الإحتفال تبين لنا أن الخطبة والمهر طريق لإتمام الزواج. فعلاقة المهر بالزواج هي علاقة تكامل وتداخل تعكس رموز إجتماعية وثقافية تقام وفقا لمراسيم وطقوس محلية.فللرمز يستهلك المادة وفي نفس الوقت المادة تحيي الرمز وتنتجه، فبتغير المادة يتغير الرمز وبتطور. وعلاقة التكامل والتداخل والتبادل تعمل على إستمرار مؤسسة الزواج.و هو الذي يتم الزواج وتابع للعامل المادي لكنه محمل بالرموز والدلالات.فالتاريخ أثبت لنا أن ال مهر في الشريعة الإسلامية رمزي ونهى عن المغلات في المهور (**والتمسوا ولو خاتما من حديد**)كما نجد الكثير من الزواجات التي بنيت على آيات من القران. وبهذا لم يحدد الإسلام ثمن المهر في المجتمعغير انه يقرعدم الإعلاء في قيمته **"اقلهن مهرا أكثرهن بركة وأكثرهن مهرا اقلهن بركة"**، وهنا يبرز عامل التنشئة الاجتماعية المبنية على القيم التربوية الدينية في إقامة النسق الزواجي والأسري للأفراد سواء حثهم أو تشجيعهم على الزواج بعيدا عن المغالاة في المهور. لكون هذا الأخير يقوي الروابط الأسرية والمجتمعية ويربطها بالمستقبل، ومنه ضرورة مراعاة بعض المعاير التي تعطي قيمة ومهابة للأفراد والمجتمع . وعليه يراعي المجتمع المحلي التيسير في المهر والزواج عرفا واتفاقاَ.هذا ما لمسناه من خلال تواجدنا ومشاركتنا في الخطبة كمرافقين لأهل الشاب(**العريس**) ووقوفنا على التداخل الرمزي لقيمة المهر الذي يتم بإعلان الخطبة.

> شرط بنتي يتبع شرط بنات العرش (بنات عمها) ديروا كيما عرايسكم والا بناتكم. خاصة الي تزوجوا هذا العام، شرطنا ما يخرج على شرط الجماعة والعرش، المهم لهنا والصلاح بيناتهم. (المبحوثة :رقم 02)

تبقى المخطوبة في بيت والدها حتى يوم الزفاف وخلال فترة إقامتها مع أهلها تعمل على تجهيز نفسها وتعتبر غريبة في بيت أهلها إذ تحاط بعناية الظيف من إحترام وتبجيل إلى أن تغادر إلى بيت زوجها وتبقفي رعاية الخاطب وأسرته بإحضار الهدايا في المناسبات(العيدين) وهذه الفترة التي تبقى فيها

العروس في بيت والدها تساير المتعارف عليه إجتماعيا وفق للعادات المتوارثة. إذ أنه لابد من فترة خطبة كمرحلة إعداد البنت للإنخراط في مجتمع النساء ودخول الحياة الزوجية مستقبلا.[1]

يعتبر المهر العقد الرسمي للزواج، أما عن رمزية هذا المهر فله علاقة بالقيم والمعايير السائدة بالمجتمع، على أنه شرط وضعه الإسلام كحق من حقوق المرأة

الرمزية الدينية:تبدو الجوانب الدينية في مرحلة الخطبة متمثلة في عامل القداسة والمهابة. وأن الغرض من هوالإعلانو والإشهار وبذلكيكون للزواج السمة الدينية والقانونية، حيث تبنى الخطبة على قراءة سورة الفاتحة كرمز ديني، إذ يعد من الرموز الدينية لشعائر وطقوس الزواج. بحيث أنه في هذه المرحلة يكون إتفاق أهل العروس والعريس عن مراسيم الزواجبقراءة الفاتحة والدعاء كما في الشعائر الدينية. وبذلك فالخطبة تضفي ذلك التعبير الرمزي من العريس بنواياه الحقيقة اتجاه عروسه،وبذلك يعطي الجانب الديني للحدث مهابة في نفس الخاطب والمانح على الإلتزام بشروط العقد المبني على نية حفظ الأمانة (كي بنتنا)فالمهر يتماشى وفق المعطى الثقافي والإجتماعي بإعتبار المهر حق من حقوق الزوجة وشرطا لإتمام الزواج.

- **الرمزية الإقتصادية** : يعتبر المهر بمثابة تعويض أي وجب لأسرة العروس عند الزواج وينظر إليه على أنه وسيلة لأمان الزواج وتأمين مكانة الزوجة ومعاملتها الطيبة، مما يؤدي إلى إستقرارالزواج وتخفيف إحتمالية حدوث الطلاق، كما ينظر له على أنه تعويض مالي لفقدان أحد الأطراف المهمين في العائلة من حيث الطاقة الإنتاجية كعنصر إقتصادي. ويعتبره الدين هدية من العريس لعروسه لتقوية مشاعر الحب والمود والسكن بين الزوجين، وتعزيز صلة النسب بين العائلتين.

تبنى الخطبة على المساومات بين العائلتين حول تحديد قيمة مهرالعروس، حيث يهيئ أهل الفتاة الجوالمناسب لإستقبال أهل الخاطب بما يليق بإستقبالهم سواء من الجانب المادي أو المعنوي وكل ما يظهر كرم الضيافة، فيستقبلونهم بالفرح والترحيب المعلن في كلامهم وكرم الضيافةوالترحاب .كما أنه في هذه

[1]- arnold –Van Genep les rites de passage.

المرحلة يبدأ ظهورعدة أبعاد منها البعد الديني والثقافي لكن أهمها هو البعد الإقتصادي الواضح والمعلن في كل المراسيم والمحطات.

" تفاهمت ماما وعجوزتي على الشرط قبل الفاتحة، يعني النساء هوما الي تفهموا عى الشرط وباقي الشروط الى تخص الدار والخدمة وكلش ومبعد خبروا الرجال.بعدها حددنا يوم الخطبة...كيما يقولوها لكبار **الملاك** او الفاتحة باه تجي جماعة الرجالة عند بابا و يسلكوا الشرط ويتفاهموا على أمور العرس... في الحقيقة العروس الي تكون دخلالنية سهلة المفاهمة لان الشرط معروف بلاما يشرطوا بصح البرانية كل عرش كيفاه يشرط وتفضل كل عائلة ادير سيرتها سواء دار لعريس أو دارلعروسة" (المقابلة رقم:12)

بفعل التغير السوسيو ثقافي نجد أن بعضالعائلات تترك المجال للشابين (**الذكر/ الانثى**) للتعارف والإتفاق على المهر وتفاصيل الزواج على أساس تعلمهم ودرايتهم بحياتهم كشريكين أساسيين يرتبط بهما الإعداد لهذا الحدث العائلي المهم.فلم يعد التفاوض حول الزواج من طرف الآباء بل أصبح الخطيبين هما المتفاوضين والشريكين الحقيقيين حول قيمة المهر ومراسيم الزواج على إعتبار درايتهما بإحتياجهما الإقتصادية والحياتية.معا يحددا ما يريدانه في تفاصيل الزواج ثم يشرك الوالدين كرمزا للسلط. وأن الإستقلال في العمل يبين إستقلاليتهم في إتخاذ القرار وفي الإختيار للزواج وكل تبعاته من (مهر، خطبة زواج ،عمل، مسكن) وهذا راجع للتغير الثقافي وأثره على مفهوم الزواج. كما يتبين لنا أن التقدم والحداثة افرزا قيم جديدة رسخت فكرة الزواج المبني على الإتفاق بين الشبابغير أنه يتم تحت سلطة الوالدين وخاضع لسلطة الضمير الجمعي المتجذر في عمق المفهوم السوسيو ثقافي للمجتمع قيد الدراسة، والذي يقام وفق مفاهيم ومعايير أنتجتها الجماعة و قبل بها الأفراد. وبذلك يبقى الإختيار من الوسط القرابي حاضر وإن غاب مثلته سلطة الأم في الرفض أو القبول وفق خصوصية تعلي من قيمة المرأة الجميلة ذات السمعة العالية والنسب الراقي .وهكذا فإنه رغم أن الإختيار يبدو في ظاهره خاضع للإتفاق بين الشباب الذي يعكس ثقافة المجتمع والتي إنتقلت إليهم عبر وسائل الإتصال و بفعل الإحتكاك مع المجتمعات الأخرى، إلا أنهإختيار مستند على قيم العائلة التي يعود لها القرار في القبول أو الرفض.

2. المرحلة الانتقالية:

تبدأ هذه المرحلة في ببيتالعريس وتنتهي في بيت العروسمثلها مثل الخطبة، إنتقال من مكانة إلى مكانة أخرى ومن وضع مشوش إلى وضع أكثر أمن. حيث يقيم أهل الزوج وليمةتجمعكل الأقارب والأحبابيومتزفالعروسإلى بيت زوجها، على شرف العروسين تقام الوليمة. ويتم إختبار العذريةوالفحولةعلىحدالسواء.فلقد جرت العادة أن يتم حفل الزفاف في فصل الصيف موسم العطلة الصيفية التي تناسب العائلتين لحضور الأهل والأقارب والأصدقاء.حيث تعمل كلا العائلتين على توجيه دعوات عن طريق الحضور الشخصي لرب العائلة إلى بيت المدعويين لدعوتهم مشافهة أو قد تسند المهمة الى أحد ذكور العائلة (الابن/ العم/الخال/الاخ/الجد) أو الأم في غياب الأب، ونادرًا ما تقدم الدعوات مكتوبة عبر بطاقة الدعوى، حيث يفضل مجتمع البحث دعوتهم شخصيا للحضور العرس. ولكن اليوم أصبحت الدعوات توجه عن طريق الهاتف النقال لتختصر عبر مكالمة هاتفية. غيرأن المجتمع المحلي ما يزال يصر على مكانة الرجل في دعوة الأهل إلى عرس إبنه أو إبنته. وبالتالي يكون هو المتصل هاتفيا لتقبل دعوته. إذ لا تقبل كلمة ودعوة المرأة في هذه المناسبة لأنهميعتبرونها إنقاص من القيمة. لأن المجتمع ذكوري يعلي من قيمة الرجل ويعتبره المسؤول عن المدعويين. ومنه فالمرأة غير مؤهلة للعب هذا الدوروعليه لا بد أن يتولى الزوج عملية الدعوة للاحتفال بالزواج أو الخطبة، في حين قد ينوبه أحد الذكور في حالة الوفاة(**الجد، الابن)** وهذا يدل على الهيمنة الذكورية في المجتمع الشاوي باعتبار المسؤولية الأسرية من واجب الذكور. كما بينت لنا ذلك النساء ونقلنه بتجربتهم في هذا المقام:

" الراجل هو لي يعرض للعرس تاع الطفلة وإلا الطفل، وإذا غاب وإلا توفى (مات) ولدوا هو إلي يدي بلاصتوا واذا كان الطفل صغير يتولى المسؤولية بلاصتوا الجد والا العم ... وإذا ماكانش يدخل الخال، لان المرأة بر راجل ما تسوى والوا" .(المبحوثة رقم: 06)

أ. معايير الزواج:

يهدف الزواج إلى حماية العرض وصون الشرف فهو يرمي إلى عدة معاني منها ما هو ديني يهدف إلى تحقيق عقد مقدس، ومنها ما هو إجتماعي غرضه إحترام المعايير والأنظمة الاجتماعية وفقا لمعايير المجتمع أعرافه. أما المعنى الشخصي أو الفردي فغرضه تحقيق غاية ذاتية خارجة عن السلطة الدينية والإجتماعية وغيرها من المعايير التي يخضع لها الفرد والجماعة ألا وهي السترة والراحة النفسية وإقامة إسرة وإنجاب أبناء .

- **المعيار الديني:** ينظر إلى الزواج كظاهرة مقدسة أو نظام إلهيمقدس خلقه الله وأكدته الشرائع السماوية والكتب المقدسة كأساس للحياة الإنسانية وهذايعني أن الإنسان ورغباته الشخصية وتطلعاته في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد تنفيذالإرادة الإلهية.
- **المعيار الشخصي :**فاذا كان المعيار الدينييركز السلطة في اتخاذ قرار الزواج في يد (الله)فإن المعيار التقليدي يضعها في يد الشخص المتزوج.
- **المعيار الاجتماعي :**هو أوسع نطاق حيث انه يؤكد على معنى الزواج والأسرة بإرتكازه أساسا حول الالتزامات والمطالب الإجتماعيةوالقيمة الرئيسية والأولى في معنى الزواج من اجل المحافظة على الإحترام الاجتماعي، وبدرجة كبيرة الإمتثال لرغبات الأسرة والأقارب والمجتمع المحلي للإحتفاظ بصورة لائقةومقبولة في المجتمع.على إعتبار ان الزواج يمنح القيمة والمكانة.

ب. **المراسيم الاحتفالية بالزواج:**

لقد عرف هذا النظام (الزواج) عدة تحولات وتغيرات مست المراسيم والإعداد له وكيفية تنظيمه والتي ترجع إلى طبيعة التحولات السوسيو ثقافية التي مست المجتمع الجزائري المكون من ثقافات متنوعة وعادات وتقاليد تختلف من منقطة إلى أخرى. إلى جانب تنوع تركيبة المجتمع الإيكولوجية بين الريف والمدينة مما إنعكس على إجراءات مراسيم الزواج داخل المجتمع الجزائري والأسرة الشاوية بالأخص والإختلاف في تنظيم عملية الزواج من ناحية العرف والتقاليد، إلا أنها تتوحد جميعها أمام الإجراءات القانونية. وعليه فإن ناظم الزواج في منطقة باتنة تحكمه العادات والطقوس التي تنظمه رغم ما أحدثه التحضر والتقدم من تغير في بعض الجزئيات والممارسات التقليدية التي ورثتها العائلات الباتنية من جيل

إلى جيل وتسهر على حضورها في كل مناسبة إحتفالية كدليل على تشبثها بالعراقة والأصالة والإرث الثقافي الضارب في الإنتماء الأمازيغي.هذه الممارسات الطقوسية من عادات وتقاليد تعدمعارف إنسانية تنتقل من جيل إلى جيل آخر وتحفظ في الذاكرة وتستمر بالممارسة (رقص غناء، لباس،طقوس ...) إنها حفريات ترفض أن تموت من خلال رواسبها الثقافية، وتعد من الأمور البالغة الأهمية في الكشف عن اللاشعور الجمعي،والنافذة التي من خلالها يمكن الكشف عن الحالة النفسية للأفراد والجماعات ويتم توظيفها لفهم سلوك الأفراد كمظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية الإنسانية التي تعكس ظروف المجتمع وواقعه المعا ش وأنحفلالزواج هذاليس مجردلقاءللأكلوالشربوالغناءوالرقصإنماينطويعلىوظائفإقتصادية ونفسية وإجتماعيةمختلفة . فهويوثقالعلاقاتالقرابيةويعيدتكويناللحمةوالتضامنوالإستمرار. كمافتحمجالاواسعالتجسيدهذهالعلاقاتفيأعملتعاونيةوخدمات وماهرات. تعكس مؤشرات هذه المرحلة ذات البعد الثقافي والفني بسمات حديثة والبعد الإقتصادي بقيم إستهلاكية

خلاصة الفصل

تختلف صور وأشكال الإحتفالبهذا الحدث الإجتماعي المهم من مجتمع لآخر . فهو يتميز ببنيته الثقافية والإقتصادية وممارساته الطقوسية التي تعكس صور التغير السوسيو-ثقافي بكل ما يحمله التغير

من تحولات في طقوسه وممارساته، والتي عملت على تغييربعض من عادات وتقاليد الزواج لتحل محلها تصورات وسلوكات وسمات ثقافية جديدة بإعتبارها طقس عبور مهم تتجسد فيه كل الممارسات التي نقرأ منها خصوصية المجتمعات وما يمثله طقس العبور من مفاهيم ودلالاتمنها التغير في المكانة والإنتقال من العزوبة إلى الزواج بكل مضامينه القيمة والإجتماعية والعقائدية وما تضفيه على الفرد من مكانة وهيبة ضمن نسقه الإجتماعي بكل ما يتضمنه هذا الأخير من تحول وتبدل يعكس الواقع الثقافي للأفراد.

لقد أثرت التحولات الإجتماعية والثقافية والإقتصادية في ثقافة الزواج، بحيث ظهرت ممارسات عديدة حديثة دخيلة على مجتمع البحث مست عاداته وطقوسه المتوارثة عبر الأجيال، والتي تعكس إزدواجية الثقافةوالصراع بين القيم الحديثة والعصرية، وأن هذا التبدل والتغير يقاومه أفراد المجتمع وتعمل المرأة كناقل لهذه الممارسات على حفظه وإستمراره عبر أساليب التنشئةالأسرية باعتبارها الفاعل الاجتماعي الأساسي لحفظ هذا الإرث الثقافي وجعله يطغى على كل الممارسات المصاحبة للزواج .

ونتيجة لكل هذا فإن الزواج يجسد البعد التاريخي والقيمي والهوياتي للمجتمعات، والتي تظهر من خلالها سماته تتجسد عبر مراحله التمهيدية التي تبنى على الخطوبة والمهر وصولا إلى تحديد القران والزواج كمرحلة إنتقالية مهمة في حياة الذكر والأنثى،بما تمثله من إنخراط في حياة الكبار.و إن التحولات الإجتماعية الحديثة ترسخ ثقافة الزواج في المجتمع الجزائري والزواج التقليدي كعامل أساسي يدافع عن الانتماء الهوياتي لمجتمع البحث .

الفصل الثالث:

الممارسات الطقوسية وظبط الجنسانية

مقدمة:

حضي الجسد الأنثوي بقدر كبيرمن الدراسات الأنثروبولوجيةكأحد موضوعات الأنثروبولوجيا الثقافية بإعتباره كيان متحرك ونسق تواصلي له إمتداد وخطاب إيمائي خاص . وكبنية رمزية وتواصلية

تنم عن علامات كثيرة تكون محل تفكيك من طرف المتلقيمن أجل إنتاج الدلالات التواصلية. أو انه خطاب أوخطابات لها قوانينها ومنطقها وأسرارها،والمبدأ المنظم للفعل والهوية التي بها يُعرف ويُدرك.ويُصنف.

وأننا من خلال هذا الفصل سنحاول الغوص في عمق هذا الجسد وممارسته الطقوسيةخاصة ما تعلقمنها بالجنسانيةوالمتمثلة في طقس" التصفاح". بالإنصات ما أمكن الى" **المُمَارِسَة والمُمَارَسْعليها** "، محاولين فك رموزها ودلالاتها. حيث إشتملالمبحث الأول : على الممارسات الطقوسية التي يشتمل عليها الحدث الإحتفالي بالزواج في علاقته بالجسد ومن خلاله نقدم قراءة لطقس التضفاح كآلية من آليات ضبط الجنسانية الأنثوية وماتنطوي عليه من مكانة في منظومة القيم المتعلقة بالعذرية والشرف من منطلق " **الفتح"** كطقس عبور تتأسس عليه معنى الأنوثة والذكورة، أما المبحث الثاني: فقد خصص لخطابات الجسد الأنثوي التمثلات وسلطة الطقسوعلاقتها ببعض المفاهيم كالشرفوالبكارة والعفة، ثم نقف على العذرية بين متغيرات الحداثة والقيم المجتمعية وما إشتملت عليه الممارسة في حفظها من مفاهيم، في حين إشتمل المبحث الثاني على : آ ليات ضبط الجسد الأنثوي بالوقوف على طقس " **التصفاح"** كأحد هذه الآليات الفاعلة في الحفاض على الشرف وإعلاء قيمته .

المبحث الأول:
آليات ضبط الجسد الأنثوي

اولا: الجسد والجنس وآليات ضبط الجنسانية:

1. التصفاحوطقوس المرورأية علاقة؟

مرحلة البلوغ هي الطريق إلى الزواج الخاضع لمنظومة القيم والمعايير الإجتماعية وعادات وطقوس تحرص عليها المرأة الشاوية. حيث أنه وقبل أن تبدو مظاهر البلوغ على الفتاة، وقبل نزول دم

الحيض تعمد الأم الى تلقين البنت أسس التعامل مع الذكور ومع جسدها الأنثوي. حيث تنشئها على الحشمة وعدم الإختلاطبالذكور. كما تبين لها قيمة العار والعيبالذي يمنحها السمعة الحسنة وتعطيها مكانة في العائلة، وتفتح أمامها الطريق للزواج مستقبلا. ومنه فإن المراة "الأم، الجدة، الخالة" تهيأ الفتاة لطقس **التصفاح** لضمان الشرف وحفظه وحمايته وبالتالي الحفاظ على البكارة رمز الشرف والسمعة لكل العائلة ورجالاتها. فالتصفاح يعد طقس مرور بإمتياز ومرحلة مفصلية في دورة حياة الأنثى عند الإنتقال من مرحلة إلى مرحلة أخرى. بقدر ما يرافق الانتقال من إعادة للتقاليد وما يرمز اليه من مفاهيم تعاقبية، وما يحققه من راحة للفرد والجماعة كلغة إتصال إجتماعية برموز ثقافية محملة بالدلالات والرموز ومصممة بعناية من أجل إجراء التكامل، ولتحقيق الحاجات النفسية للتماسك الأسري والمجتمعي كما بينته لنا النسوة اللواتي قابلناهم:

" الطفلة كي تكبر مابقالها خروج ولعب مع الذكور ولازم نصفحوها للضمان والاطمئنان ... باه الأم تطمن هلى بناتها منين يخروا يلعبوا خارج المنزل والا يقراو- الدراسة- أو حتى اذا باتوا في دار عمامهم والا خوالهم او تروح الطفلة للقراية (المدرسة) .نكونوا مهنيين من جيهتها بلي مايصرالها والوا، حتى يالوكان قدر ربي بغا يتعدى عليها أي راجل مايقدر يديرلها حاجة ومايصرالها والو، على خاطرمصفحة والتصفاح يحميها من الاعتداء على شرفها ومايقدر حتى راجل يفزدها او يتعدى عليها(الاغتصاب). " (المبحوثة رقم: 03)

تعني مرحلة البلوغ العبورمن الطفولة الى النضج ، أو المرورإلى عالم النساء والتهيئة للخصوبة، ومنه لابد من الممارسة الطقوسية"**التصفاح"** لمنع أي إنتهاك لهذا الجسد.فالحفاظ على العذرية يبنى على دم الإفتراع الذي يختبر ليلة الدخلة. من خلال فتح الطريق أمام الإباحية الجنسية المنظمةوالذي لايتم إلا بالمروربطقس "**الفتح"** الطقوسي. ومنه إستباحة دم العذرية كرهان على الإمتثال للمعايير والقيم المجتمعية المبنية على مفهوم العفة والشرف.

إنالإهتمامالشديدبالأنسابدفعالأسرفي المجتمع العربي الإسلامي عامة وفي منطقة باتنة خاصة إلى الإهتمامبصيانةالمرأةبإعتبارهاوعاءللنسب،ومنهالحرصعلىكمالالخلقوالسمعةوالعفة،

بالمحافظةعلىحسنسلوكهاوعفتها منخلالهذهالكتابةالنسائيةالتي تهدفإلىضبطالجسدالأنثوي .خوفا من فقدان المكانة والشرف والسمعة. فممارسة طقس التصفاح إعلان لإنخراط البنت في عالم النساء والإنتقال من مرحلة الطفولة إلى البلوغ ن والتهيأة لإستقبال مرحلة مهمة من حياتها. فطقس العبور هذا يمكّن البنت من الإرتقاء إلى مرتبة أخرى من مراتب الوجود. إنّه عبور من حالة الطفولة إلى حالة البلوغ، ومن ثمّة الإستعداد للتكليف والمسؤوليّة والفاعليّة في إطار المجتمع الذي س تعيش فيه.والمرور ومن وضع سلبيّ مهمّش إجتماعيّا إلى وضع فعّال وإيجابيّ وتحضير الفتاة لتصبح زوجة. فتتهيئ البنت للقيام بوظائف الزوجة. ومنها المعاشرة الجنسية المبنية على غشاء البكارة. [1] والإعلان عن نهاية مرحلة وبداية مرحلة أخرى. مرحلة الدخول الى عالم المرأة القابلة للإخصاب. هذه الممارسة الطقوسية اتي تعرف **بالتصفاح.**[2]تعتبر بمثابة ختان نفسي، كما يعتبرإغلاق نفسبيولوجي يؤدي إلى العجز إوتعطيل الجنسانيةمن الإفتراع والإختراق الغير منظم خارج إطار الزواج والمهدد للسمعة والشرف.حيث تعددت ممارساته (التصفاح) تبعا لتعدد الفعالين أو الممارسات وبإختلاف المناطق الجغرافية (**باتنة، كيمل، اريستكوت**) والتي شكلت مجال عملنا. حيث وجدنا النساء تمارسه بصمت محكم وسرية لا تتعدى مشاركة الفعالين الإجتماعيين (**أم،خالة، جدة، عمة ، او ممارسة متخصصة**). فالمرأة لها دور بالغ الأهمية والحيوية في تشكيل الثقافة المجتمعية لاسيما الأسرة بإعتبارها (**الأم، الزوجة الأخت....)**ومن ثم فقدرتها على التأثير من خلال الأسرة ونقل كافة أشكال العادات والطقوس المرتبطة بالزواج.

إن الممارسة الطقوسية نسائية تتم بمعزل عن الرجال وبعيدا عن مسمعهم ومراءهم حتى لو كان طفل صغير. ويستخدم بعدة أنواع وعدة طرق ووسائل.لكن تبقى النتيجة واحدة غلق الطريق امام أي ممارسة جنسية خارج إطار الزواج.إنه يمثل صورة من صور ضبط الجنسانية الأنثوية وحماية للتهديد

1-الزهرة إبراهيم ،**الانثربولوجيا الثقافية**، النايا للنشروالتوزيع، مصر، 2009. ، ص151.

2- صوفية السحيري بن حتيرة، **الجسد والمجتمع"دراسة لبعض الاعتقادات والتصورات حول الجسد** ، دار محمد علي للنشر، تونس، 2008، ص56.

الذكوري لهذا الجسد الأنثوي.كما يعد حالة توافقية يجد فيها الفاعلون الإجتماعيون نوع من التهيئة النفسية تبيح لهم إستعمالها والإحتكام لها على إختلاف أساليبها وآلياتها وفقا لمضمون جمعي يسعى لحفظ المكانة وإعلاء القيمة وإختبار العذرية وإشهار الفحولة. فالطقس يفصح عن غنى مدلوله وثراءه الأنثوي. ويسير وفقا لثنائية المكان والزمان المبني على (**الغلق/الفتح)** كطقس عبور إلى الأنوثة. كما يشكل ممارسة إستثنائية من خلالها نقرء المجتمع الذي أنتجها في سياقه السوسيو ثقافي. بإعتباره المدافع عن الشرف والحامي للبكارة من كل خطر، كما يمنح علامة التمايز والإنتماء للجماعة. إذ يمكن مقارنته بختان الذكورلكونه يحقق أهدافًا متماثلة ومشتركة لعلىأهمها الإنتقال من مكانة إجتماعية إلى أخرى. ورغم تعدد أساليب الممارسة الطقوسية للتصفاح وطرقه وأدواته فإنه يعمل على حفظ الجنسانية الأنثوية بكل ماتحمله الممارسة للعديد من المفاهيم النفسية والإجتماعية والأنثربولوجية، هذه المفاهيم ذات المعطى القيمي والأخلاقي تحتم علينا تحليل معانيها وقراءة مدلولتها في سياقها السوسيوثقافي بالتقرب الى الممارسات والممارس عليهن.وعليه فإن هذه الممارسات الطقوسية التي أوجدتها المرأةبإجماع مجتمعي متنوعة عبر الزمان والمكان كطقس عبور مهم في حياة الأنثى وكآليات فعالة حسب تمثلاتهم،ت جعل الأنثى (**امرأة حقيقية،نظيفة، عفيفة**) بحفظ عذريتها[1]بعدة آليات منها **حزام العفة أوالخفاض** (تشويهالأعضاءالتناسلية) أو**التصفلح** (الثقاف/ الربــط) نقطة إرتكاز عملنا هذا.

2. مراحل وآليات ممارسة طقسالتصفاح:

أ. **مراحل عملية التصفاح:** يبنى طقس التصفاح على مرحلتين أساسيتين" **غلق- فتح** " ، تبعا للمكان والزمان، والتي يعتبر"**الدم والماء**" أساسه واللغة (المقولة) شفرته ومتممها العدد سبعة(07)

- **طقس الاغلاق** : يتم عادة في فصل الصيف، حيث تستعمل فيه المرأة عدة وسائل وأدوات ويبقى الهدف واحد هوتعطيل جنسانية الأنثى وحماية بكارتها من الإفتراع خارج المسموح به عرفا وقانونا سواء كان عن طريق الكادنة(شرلية) أوبعد إنتهاء المرأة من النسج بإحداث جروح في فخذ البنت الصغيرة. اذ تتعدد طرق وآليات التصفاح بغية تحقيق هدفها واحد ووحيد أوجدته المرأة من أجل

1- مها محمد حسين، **العذرية والثقافة**،دراسة في انثربولوجية الجسد،ط1، دال للنشر والتوزيع، دمشق،2010، ص175.

تحصين البنت وحماية بكارتها كما أخبرتنا بذلك كل من مورس عليهن الطقس من النسوة ممن قابلناهم وتحدثنا اليهم، وما صرحت بتفاصيله الممارسات اللواتي أنصتنا لتجربتهم واللواتي أكدنا لنا أن التصفاح أنواع وأشكال ولكنه يبنى على لغة واحدة لنجاحه من خلال قول البنت(**أنا حيط وولد الناس خيط)**وإعادتها سبع مرات. تلك هي الشفرة الخفية المؤدية لعملية الغلق المرجوة من الطقس.

- **طقس الفتح**: تتم عملية الفتح قبل يوم الزفاف بيوم واحد ،إذ آنه قبل يوم الزفاف بعد ليلة الحنة (صبيحة ليلة الحنة) تقوم العروس، وتبعا لطريقة التصفيح بإعادة الممارسة الطقسية التي تبنى على عكس المقولة التي قيلت في عملية الغلق "**أنا خيط وولد الناس حيط** " بإعادتها دائما سبع(07) مرات . لتصبح العروس مباحة بعدما كانت ممنوعة . فالطقس يبنى على اللغة، والرقم سبعة(07)في حضور الماء أو الدم هي التوليفة الطقوسية وشفرتها التي بهم تفتح المراة وتصبح مباحة للرجل وسهلة الافتراع أمام الممارسة الجنسية بفعالية ومهيأة للزواج. ومنه السماح بالمعاشرة الجنسية بين الزوجين من دون أي مانع أو حاجز. فالطقوس كما يؤكد "بييربرديوPiere Bourdieu" تأخذ طابعا فعالا في حياة الإناسان ما يعطي للكلمات قوتها ويجعلها قادرة على حفظ الناظم أو خرقه وهو الإيمان بمشروعية الكلمات وما ينطق بها. [1]

رغم الحداثة والتقدم ما تزال المرأة الشاوية تصرعلى الإحتكام لسلطة الطقس الذي لم يبقمن مؤشراته إلا بعض المظاهر والممارسات الباقية ببقاء من مورس عليهن الطقس(**التصفاح**) من خلال الشق الثاني من الممارسة الذي يبنى على" **الفتح"** ،فتتجسد مظاهره قبل يوم الزفاف الخاضع لسلطة الفاعلين الإجتماعين. مما يخضع المنخرطات في الزواج(العروس) إلى معاودة الممارسة الطقوسية لإنجاح ليلة الدخلة ونجاح الزواج. كما صرحت به لنا الممارسة التقليدي التي قابلناها :

> تجيني العرايس باه نفتحهم قبل الزواج، خاطر الناس كامل يعرفوني يدي طيبة. أنا نفتح لعرايس المصفحين بطريقة وحدة ما يهمنيش باه الطفلة صفحتها أمها.داري فاتحتها للبنات إلي حابين يتزوجوا والي مازال ماجاهم مكتوب لأن التصفاح هوسحر يعطل الزواج خاطر يتحول التصفاح إلى سحر العاشق ويمنع الطفلة من الزواج.... علا

1- بيير بورديو،الرمز والسلطة، ترجمة عبدالسلام بن عبد العالي،دارتوبقال،للنشر الدار البيضاء،1990 ص51.

بيها البنات إلي يتعطل زواجهم كي انحيلهم التصفاح ونفتحهم تتفتح
الطريق قدامهم ويتزوجوا وأنا ما نسحر ما والواغير دار ربي الحكمة
في يدي باه تتزوج لبنات " * (الممارسة رقم: 03)

ففيالأسر التي تواجدنا معها والمقابلات التي أجريناها سواء في الريف أو المدينة بمنطقة باتنة تقاممجموعةمنالطقوسلتنفيذهذهالعمليةولكلمجتمع محلي (توابة، سراحنة، بني بوسليمان جبايلية) طرقهالخاصةوأساليبه لإنجاح ليلة الدخلة .فعلى الرغم من تعدد الممارسات الطقوسية في تصفاحالبنت (**التمر،السداية*الشرلية**) إلا أنها تتفق على أنها تقام في مكان وزمان محددين حسب ماجرت العادة عليه قبيل يوم الزفاف وفي بيت أهل العروس.والأسبابوظيفية وغائية، حيث يتم **"فتح طقسالتصفاح"** كما جرت العادة ومتعارف عليها عندهم في آخر ليلة تقضيها العروس في بيت أهلها (دار باباها، أوالأب)، أي بعد ليلة الحنةصبيحة يوم الزفاف في سرية وتكتم حفاظا على نجاح العرس واحتاما لبعض الخصوصيات

ب. أدوات واليات عملية التصفاح :

تختلفآليات وطرق عميلة التصفاح بشقيها " **غلق- فتح** " منمنطقةإلىأخروأحياناتفاعلة "امرأة" إلىأخرى. ولكنالعمليّةتتفقفيمضامينهاالطقوسيةبينمختلفمناطق مجتمع البحث باتنة (**كيمل،تكوت، اريس**)على أنها الغلقالرمزيللبنت الذي يحفظالبكارة ويبقيهاعذراءإلىحينزواجها.والتي تتطلب وسائل هامة ولاغنى لهم فيها على (**المنسج والكادنا وشفرة الحلاقةوالتمر**) لضمان نجاح الطقس.

- **التصفاح بالمنسج والسداية:**تعتمد المرأة فيهذا النوع من التصفاح على **"المنسج-السداية"** التي تعتبرها المرافق للعملية بحظوربكل وسائلها وادواتها، حيث انه وبعد الانتهاء من المنسوج الذي قد يكون اما "زربية ايزار، برنوس، قشبية" بعد الانتهاء منه وقبل نزعه. تباشر المراة عملية التصفاح للبنت الصغير الغير بالغة وفي غياب الذكور من المنزل. تهيئها لعملية الغلق ومنه ظرورة التقيد بالتعليمات

* ان هذه الممارسة محاطة بسرية تامة سواء من طرف المراة الممارسة او العروس الممارس عليه، ورغم ذلك فقد تمكنا من الولوج الى عمقا الطقس والمشاركة في الممارسة التي استخدمت فيها الممارسة الفأس التقليدي لفتح العروس في جو يتطلب السرية على اعتبار بعض المظاهر التي تستوجب من احترام خصوصية الافراد ومنه تعذر علينا نقل الصور الشاهدة على الفعل ، واكتفينا بنقل الحدث كما لاحظناه وعايشنا تفاصيله. وتلك هي سمة اطقس وخاصيته .

* السداية أو المنسج آلة تستخدم في النسيج التقليدي مثل زربية، البرنوس .. . وغيرها من الأغراض المنزلية.

المؤدية لنجاح الممارسة. وفق مرحلتين فاذا كانت الاولة تمنع المباشرة الجنسية الغير مشروعة فان الثانية تبيحها بإقامة اختفال لها. وعليه فان الممارسة الطقوسية تبنى على مرحلتين:

- **مرحلة الغلق :** تقام مباشرة بعد الإنتهاء من النسيج، تقوم المماسرة التي قد تكون إما الأم أو الجدة أو الخالة قبل قطع المنسوج نهائيا باحداث فتحات أو ما اصطلح عليه أبواب عددهاسبعة (07) ثم تأمر البنت بالدخول من خلال هذه الأبواب السبعة تحالمعلقة في السداية أو المنسج في سبعة " 07" أشواط متتالية، تتخطاها برجليها من اليسار الى اليمن ومن الخارج الى الداخل، ويعقب كل دخول من الخارج الى الداخل ضرب الرجل في الحائط وأكل حبة تمرثم ترديد المقولة **"أنا حيط والراجل خيط" .**

دخول البنت من جهة وخروجها منجهة ثانية"من الخارج الى الداخل" يعني خروجها من مرحلة ودخولها الى مرحلة أخرى، تعتبر الأولى الطفولة والثانية النضج. وتكرارالعبارة السالفة الذكرسبعة(07) مرات وفي سبعة(07) أشواط من الخروج والدخول وأكل التمرات السبعة" 07". تكون بذلك العملية قد تمت بنجاح وصارت الفتاة حسب إعتقادهم **"مصفحة"** .

- **مرحلة الفتح:** تتطلب الممارسة الطقسية حضور الماء لنجاحها، بمعنى أن العروس صبيحة الإستعداد ليوم الزفاف صبيحة يوم الحنة تقوم بالإستحمام على أدوات المنسج كاملة، حيث تقوم بالإغتسالعارية الجسد على أدوات المنسج (1-الخلالة، 2- الخشب، 3- النغاد، 4-القصب، 5-القوايم) وأن الإستحمام يكون بالماء فقط من دون صابون مع ترديد (أنا خيط والراجل حيط) سبع(07) مرات.(صورة رقم: 05)

> "صباح ليلة الحنة نجيبو حوايج المنسج كامل من عند الي عندهم السداية "" وتدوش فوقهم لعروس"تستحم"، باه يتفتح التصفاح لازم تنحي لعروس حوايجها كامل(ملابسها) وتتجرد من أي مسوغ تلبسه(ذهب) وتقعد فوقهم(تجلس) وتكب(تسكب) الماء فوق جسمها سبعة مرات(07) وفي كل مرة تلوح الماء على جسدها العاري تردد انا (**خيط و الراجل حيط**) لازم ماتكونش لعروس وحدها. لأننا نخافو على العرايس. وكي تكملتسيح الماء تاع الدوش (ترميه) في شجرة واذا ماكانتش شجرة، تلوحوا في مكان طاهر، المهم نبعد

على النجاسة لسلامة العروس " وحوايج المنسج"السداية" مهمين ولازمين يكونوا كامل باه تتحل الطفلة ويتنحالها التصفاح " (المبحوثة رقم: 01)

" التصفاح يتنحى بخيوط الزربية....والزربية هذي عندها اكثر من 44 سنة أول من صفحت بيها بنتي ومن ثمة وليت نصفح لبنات، وراني مصفحة بيها بنات خاوتي(اللإناث والذكور)ويعرفوني كامل الفامليا بلي نصفح ، والي عندو طفلة يجيبها عندي نصفحها .....وكي تتزوج نزيد نفتحلها قبل العرس بحوايج المنسج الي تدوش عليهم بعد ليلة الحنة الصباح بكري، قبل ما تروح لدار راجلها. حتى لوكان بطلنا المنسج مزلنا مخبيين حوايج المنسج ومحتفظين بحوايجو باه نفتحو البنات لمصفحات قبل الزواج " (الممارسة رقم :02)

الشيئ الملاحظ أن عملية الفتح تحمل شقين من الممارسة، الشق الأول تقوم به الأنثى لوحدها في حين الشق الثاني يتطلب مشاركة الزوج فيه لكونه الشريك في العملية الجنسية وأن الفعل الطقسي مارس عليه السحروتركه عاجز عن إتيان زوجته. ومنه ظرورةمشاركة العريس لذهاب مفعول طقس التصفاح وأثره لنجاح ليلة الدخلة. وبذلك يستسلم الرجل لسلطة الطقس رغبة في بلوغ الهدف في نجاح ليلة الدخلة المرتبطة بعذرية عروسه وفحولته. حيث يقدم لهما معا "الرجل/ المرأة" خليط من العسل وصوف الزربية الذي يحرق في ايناء على النار حتى يصبح رمادًا ، ثم يخلط مع كمية من العسل ويأكل العروسان منه سبة"07" ملاعق ليلة الدخلة، ويتطلب ذلك ترديد الزوج مع كل ملعقة"أنا حيط وأنت خيط" وبالمقابل تقول الزوجة " أنا خيط وأنت حيط" وبذلك يبطل مفعول الطقس .

قبل ما تروح لعروس لدار راجلها نحكمو الزربية نقصوا منها الصوف من كل جنب يعني من اليمين واليسار والوسط ، ونحكمو الصوف نحرقوه في مقلة فوق النار ونخلطوا بمغرف عود (لوح) حتى يرجع رماد ...هذاك الرماد نزيدولو لعسل ونحطوه في بلارة(اناء/ قارورة) تديه (نحمله) لعروس معاها لدار راجلهل، وفي ليلة الدخلة تاكل منوا هي وراجلها قبل الجماع ، ياكلو سبع" 07" هي وهو وفي كل مغرف هو يقول" اناحيط وانت خيط" وفي تقول "انا خيط وانت حيط" وبربي حاجتهم مقضية(الممارسة رقم:01)(صورة رقم:06)

❖ **التصفاح بالتمر وشفرة الحلاقة :**بإستعمال شفرة حلاقة تقوم الممارسة بفتح شقوق في فخذ البنت الصغيرة المعدّة للتصفاح، حيث تحدث ثلاث (03) جروح خفيفة في الفخذ الأيسر من الاسفل الى الأعلى وتقوم بتمرير سبعة(07) حبّات من التمر في الدم المراق وتطعمها للبنت، التي تردد في كل مرة تأكل فيها التمرمقولة (**انا خيط وولد الناس حيط**). حيث إستدعتنا إحدى الممارسات لمعرفتنا الخاصة بها لكي نحضر معها تصفاح البنت التي تبلغ من العمر 07 سنوات. ومشاركتنا في هذه الممارسة الطقوسية التي نعرفها جيدا. وموروست علينا. وللإشارة فان الممارسة تمت بيت الممارسة المقيمة بمنطقة **"آريس، عرش التوابة "** في حضور الأم والخالة تمت العملية، حيث تسنى لنا القيام بالعملية التي نعرف حيثياتها جيدا وبإرشاد من العجوز الممارسة وبأوامرها أحيانا وبكثير من الشرح والتوجيه لنا بتفاصيل الممارسة لنجاح الطقس شاركنا في الطقس من البداية الى النهاية .

لقد أحضرت العجوزالممارسة سبع حبات من التمر وشفرة حلاقة جديدة وقطعة قماش نظيفة. ثم طلبت من الجدة أن تضع البنت الصغيرة بين رجليها وطلبت من الخالة أن تلهيها عن النظر إليها من خلال إدارة رأسها قليلا إلى الوراءوالحديث معها. وبعدها قامت بدلك الفخذ الأيسر بيديها مرات عديدة ثمحملت شفرة الحلاقة وقمت بأحداث 03 جروح بسيطة على الفخذ من الأسفل الى الأعلى.وهي ترشدني كيفية حمل الشفرة وفتح الجلدعلى شكل أخاديد خفيفة في الجلد ومتساوية وعددها 03، وبعد الإنتهاء نزف الدم. ثم أحظرت التمرات السبعة(07) وطلبت مني أن أمررهم في الدم وأعطيهم للخالة لتطعم البنت وتأكلهم وهي تردد (**أناحيط وإبن الناس خيط)** والبنت تكرر هذه العملية إلىأن تتم أكل التمرات السبعة... وبعد الإنتهاء من العملية قامت الممارسة بمسح الدم من فخد البنت (الأيسر) جيدا بالمنشفة (قطعة القماش) وهي تدعو للبنت أنيحفظها الله ويصون عرضها وشرف أهلها، ثم قالت للأم الله يحفظ الأمانة حتى يجي مولاها (**وهي كناية على أن يصان شرف البنت إلى يوم الزواج**).

أما طريقة الفتح فهي تكون قبل ليلة الزفاف(صبيحة ليلة الحنة). حيث يفتح موضع الجرح ثانية من طرف الممارسة أوتقوم بذلك إمراة عارفة بالعملية، حيث تقوم بإحداث جروح خفيفة في نفس الموضع ولكن هذه

المرة من الإعلى الى الأسفل، بعدها تمرر التمرات السبع (07) على الدم وتأكلهم العروس وهي تردد (**أنا خيط وولد الناس حيط**). ولا بد من الإشار الى أن ممارسة التصفاح في المرحلتين **"الغلق والفتح"** تقوم بالإساس على اللغة الطقسية ورمزية الإتجاه" أعلى- أسفل" والعدد سبعة 07 الذي يبني التشكل الرمزي لبلوغ الغاية الطقسية. انها شفرة الممارسة في المرحلتين(الغلق- الفتح) .

❖ **التصفاح بالحمص والقطران** :تبنى العملية على سبعة حبات من الحمص الذي يمرر في القطران. ثم توضع الحبات فوق قصعة من الخشب مقلوبة (**قصعة تقليدية**) كما وضحت لنا ذلك الممارسة وممن مورس عليهن التصفاح بهذخ الطريقة أوامورس على قريباتهن. حيث لم يبخلوا علينا بسرد تفاصيل هذه الممارسة التي غابت تجلياتها من المجتمع الشاوي الاما بينته لنا الممارسة من تفاصيل:

" تحكمي قصعة تاح اللوح "خشب" وتزيدي سبع (07) حبات حمص وتفوتيهم (تمرريهم) في القطران* نحطوا حبات الحمص فوق القصعة وهي مقلوبة الى الأعلى. يعني القاعدة الى الأعلى، ونيجبوا الطفلة نقعدوها على ركابيها ونغمضولها عينيها، وبعدها طابس راسها وتلحس (تاكل) الحمص بلسانها ويديها مكتوفتين الى الوراء وعينيها مغمضتين، تأكل حبات الحمص الملطخة بالقطران وحدة وراء وحدة وفي كل مرة تقول (**انا خيط والراجل حيط**) حتى تكمل حبات الحمص في سبعة(07) ....."وكي نحبو نفتحوها... يعني نحيولها التصفاح قبل عرسها(قبل زواجها) بليلة والا ليلتين (يوم او يومين)لازم نجيبو قصعة اللوح هذه المرة نحطوا حبات الحمص في وسطها بعد ما درنالهم القطران ، وتقعد (تجلس) لعروس فاتحة رجليها وعينيها والقصعة بيناتهم تهزالحمص بيديها وتاكل بالحبة وكل ما تاكل حبة تقول (**انا خيط والراجل حيط)** حتان تكملهم في سبعة07 تفوت ليلتها على خير" (ممارسة رقم:01)

من خلال المقابلة المعمقة تبين لنا أن هذه الممارسات تتطلب السرية في إقامتها لنجاح الطقس والتي تتطلب إمتناع الأعين عن رؤية العروس أثناء طقس الفتح لنجاح العملية وذلك الذي تعرضنا له رغم معرفتنا بالممارسة والممارس عليها، هذه الأخيرة التي أبدت رغبتها في مساعدتنا، لكن خوفها على نغسها

*__القطران:__ مادة هامة تستعمل في دباغة القربة التي كانت تستعملها المراة قديما في سقي الماء، والتي تحتفظ بها واحيانا تستعملها العديد من الاسر بمنطقة باتنة كما يستعمل في العلاجات التقليدية لبعض الامراض، خاصة الروحية منها والمتعلقة بالأمور الغيبية لاعتقاداهم على قدرتها في العلاج، كما تستعمل الى اليوم في طلي الاواني الفخارية التقليدية وحتى العصرية التي تستعمل في الشرب نظرا لطعمها الذي يبقى في الماء ويعطيه طعم مستساغ .

جعلها تصرح لنا بذلك ، مما تعدر علينا الوقوف على العملية بأنفسنا وأكتفينا بسردها لنا تفاصيل الممارسة بعدما مورست عليها وعليه فرغم الظروف المهيئة الا ان الطقس فرض قانونه الخاص علينا ، ومنه إقصائنا من الحضور أثناء عملية الفتح. مما صعب علينا تدوين اللحظة الطقوسية في الواقع. وعليه فان السلطة التي يمارسها الطقس على المنخرطين فيه يجعلهم يستسلمون له في عي ولا وعي ورغبة منهم في بلوغ الهدف الأساسي والغاية للعملية الطقسية والتي تستوجب الامتثال له. وعليه فان الممارسة الطقوسية في فتح التصفاح أرغمت الممارس عليها، وأرغمتنا كمنخرطين بأن نمتثل لقانون الطقس والذي يفرض سلطته ويرغمنا على الإمتثال له، وبالتالي إقصائنا من لحظة الفعل الواقع على هذا الجسد. حيث تعذر علينا نقل تفاصيل الممارسة في الفتح نظرا لحساسية الوضع المرتبط بجسد المراة " **خصوصية المراة في حالة الإستحمام والجسد العاري** " وعليه إكتفينا بنقلها من إفواه العارفات بالممارسة واللواتي لم يبخلن علينا بما تختزنه ذاكرتهم من معاني ومعارف تفضي بمعرفة الطقس بكل تفاصيله وجزئياته. وعليه فالممارسة تجسد فعلا طقوسيا يشير في دلالته على التهيأة الفعلية للفعل، وان الجسد الذي كان ممنوع ومغلوق قبل هذا اليوم أصبح اليوم مفتوح ومباح.بناءعلىقوةالزوج وضعف الزوجة من خلال لغته المنطوقة وحركاته المتجسدة في فتح العيني والرجلين تهياة للفتح والإفتراع. ولقد إكتفينا بصورالممارسة التي حضرناها وشاركنا فيها "**السداية/ المنسج**" الذي أستعمل في عملية فتح التصفاح .

❖ **التصفاح بالشرلية(الكادنة):**تستند الممارسة في العملية على (**الكادنا أو شرلية**) التي تشتريها الممارسة أوالأم خصيصا من أجل التصفاح، حيث تكلف بنت صغيرة غير بالغة(لم تحيظ بعد) بشراءها بشرط أن لا تسأل البائع على ثمنها، حيث تعطيه النقود وتنصرف كما أخبرتنا بذلك الممارسة التي قابلناها فحسبها أن هذا النوع من التصفاح غائب في مجتمع البحث بشكل كبيرلا من حيث ممارسته في الغلق اوالفتح.أو من حيث الممارس عليهن من العرائس.

> " التصفاح"**بالشرلية أوالكادنة**"صعيب علا خاطر لازم تشريلك الكادنة طفلة صغيرة مازال ما بلغت(قبل البلوغ) من عند حانوت بلاما تسقسيه على الثمن تشريها وتخرج ... أنا نفتحها ونحطها على الأرض ونقول للطفلة أتخطاياها

(المرور) سبعة07) مرات فوقها وفي كل مرة تتخطى فيها الشرلية تقول **"انا حيط والراجل خيط"** وكي تكمل نغلق الشرلية بالمفتاح ونعطيها لأمها ولازم تخبيها وتحتفظ بيها من التودار أو الضياع حتى تتزوج بنتها وإذا تودرت(ضاعت) الشرلية تعاود تشريها كيما المرة الأولى طفلة صغيرة غير بالغة، باه نحلو لعروس قبل العرس في الصباح باكري، تحطها بين رجليها وتفتحها، وتعكس الهدرة(الكلام) وتقول (**أنا خيط والراجل حيط**) وبربي تتحل. ويتنحالها التصفاح ." (الممارسة رقم 03)

من خلال هذا الطرح لهذه الأليات الطقوسية في ضبط الجنسانية الأنثوية يمكننا القول أنفعل الغلق إشارة الى منع أي مباشرة جنسية خارج إطارها المظبوط إجتماعيا وأخلاقيا ودينيا، والتي ممكن ان تعرض غشاء البكارة لخطر الافتضاض والتمزيق،خوفا من هتك العرض خارج إطار الزواج المعترف به قانونا وعرفا. فان هذا الحرص في العناية بالبكارة إن لم يبقى بشكل معلن كما كان سابقا إلا أنه لايزال متجسدًا في هذه الممارسات الطقوسية من خلال ماتبقى من رواسبهاالتي تتطلب الفتح أو من خلال الآليات العصرية التي لمسناها عند بعض الأسر التي تصرعلى شهادة طبية تثبت سلامة بكارة البنت أو ما يسمى بسرتفيكا (sertafika)*والتي تقدمها طبية النساء والتوليد قبل يوم الزفاف بأيام بعد قيامها بفحص بكارة البنت. وكأن هذه الوثيقة حلت محل الممارسة التقليدية التي كان المجتمع يحتكم لها. فلقد أستبدل الطقس بورقة موقعة تثبت سلامة غشاء البكارة وتثبت عفة البنت وتحفظها ألى حين أختبارها ليلة الدخلة. من خلال الإعلان أوالإشهار الإحتفالي بنتيجة ليلة الدخلة من خلال طقس الحزام وما يحتويه من رموز .

رغم ما لحق المجتمع من تغير وتقدم وتحضر ورغم ما بلغه الشباب من مستوى تعليمي ووعي إلا أن مفهوم العفة والعذرية مفهوم محوري وأساسي في عملية الزواج،يقام عليه الإحتفال وتتأسس عليه الأسر. وبذلك فإن بكارة المرأة مازالت تمارس ضغطها على الأفراد والأسر والمجتمع كقيمة ورمزعلى السلامة والطهارة والصلاحية .

* - أنظر قائمة الملاحق .

ثانيا: الوظيفة السيكولوجية والرمزية لطقس التصفاح:

1. الممارسات الأنثوية وسلطة الطقس:

يعتبر طقس التصفاح من أهم الممارسات الطقوبية التي تمارسها المرأة الشاوية والتي ترتبط بالعذرية وانجاح الزواج، والتي تصاحبها لغة وشفرة ترافق الطقس وما يشتمل عليه من حركات كشرط لاكتمال الممارسة الطقسية، فلغة الطقس تلعب دورا مهما بطريقة مباشرة ومعبرة من خلال تأثيرها على الوظائف السيكولوجية للأشخاص الذين يستخدمونها، كما توصف بأنها قواعد ثقافيةيمكن اعتبارها ملكية جماعية تماما مثل دلالتها.وعنفاعليةالطقس في سؤالنا للممارسات والممارس عليهن لمسنا عجزهن في إيجاد مبرر أو سبيل لفهم المسار السيكولوجي والطقوسي. حيث لا

تقدرالنسوةتقديمتفسيرواضحودقيقللآليةالتيتمنعالرجلمنافتضاضالمرأةمندونإزالةالطقس، وان التأثير الغيرمفسر حسب مجتمع البحث انمايبنعلىالنية، وعليه فالممارسة الطقوسية تعتمد بقوة على الرموز.[1]

الممارسات الطقوسية في فتح طقس" التصفاح" قليلة الملاحظة لكونها تجري في سرية تامة وفي خفاء عن أعين ومسامع الحاضرين وحتى المقربين من العائلة لا تتعدى حدود الام والقائمة على الممارسة. وعادة ما تكون امرأة كبيرة السن معروف عليها حسن السمعة والأخلاق والنجاح الزواجي بالأساس. والتي تكون من أهل العروس" **أختها أو عمتها أو خالتها أو جدتها** "، أيام قبل الزواج تجرى العملية نفسها على نفس المكان وبنفس الأدوات والوسائل، وان هذه السرية والتستر في الممارسة ترافقه مخاوف السحر، والإضرار بالعروسين، خاصة ما تعلق بنجاح ليلة الدخلة التي تراهن عليها العائلتين [2] " **الذكر-الأنثى**". وعليه هذه المحطة قلت فيها ملاحظاتنا ومشاركتنا نظرا لخصوصية بعض الوضعيات الأنثوية التي يحظر النظر إليها عموما. خاصة ماتعلق بعملية الاستحمام.

لقد مكنتنا المقابلات المعمقة من رصد العرائس المصفحات ومرافقتهن أثناء طقوس الفتح قبيل يوم الزفافالذي اكتفينا به للتعرف على كيف تتم الممارسة الطقوسية. على اعتبار ان هذه الممارسة اندثرت

1- الزهرة إبراهيم، مرجع سبق ذكره ،ص، 180 .
2- مالك الشبل، الجنس وروح السراري، تر عبد الله زارو، افريقيا الشرق، المغرب،2010، ص82

ولم تعد قائمة بالمجتمع المحلي لعدة اعتبارات دينية ، ثقافية واجتماعية وتعليمية، وعليه فإن طقس فتح "التصفاح"هو مناسبة للقاء الممارسة والممارسعليها لتنقل لنا الفاعلة تفاصيل طقس الغلق ولننقل لكم تفاصيل طقس الفتح الذيوقفناعليه عدة مرات على إعتبار إنتمائنا إلى مجتمع البحثوعلمنا بهذه الممارسة ومعرفتنا بكل تفاصيلها. وعليهفإن العروس قبل ليلة الدخلة تقوم بتحضير نفسها للاستقبال هذا الحدث الهام والمصيري في حياتها وحياة شريكها وذلك حسب الأداة أوالطريقة التي إستخدمت في الغلق" **شرلية، حمص، منسج**"لأنه كما سبق الإشارة فإن الطقوس على تنوعها وإختلافها فهي تشترك في غرض واحد هو اثبات العذرية، وعليه فإنه بالنسبة للنساء التي مورس عليهن التصفاح فإنهم يمتثلن لسلطة الطقس بوعي ودون وعي، يحركهن في ذالك هاجس العذرية .

أ. الوظيفة وسيكولوجية لطقس :

الرمزمنألوانالسلوكالإنساني إبتدعها الإنسان من أجل التفاعل مع الآخرين بشكل مستمر من خلال رموز تسهل تفاعله وتواصله.

وينبعمنإستعمالهكوسيلةلنقلالمعاييروإبرازالقيموالمفاهيمالمشتركةوإستمرارها، ونقلهللإرثالثقافيوالإجتماعي.فلاوجود لأفكاروتصوراتمندونرموز خاصةماتعلقبإحتفالية الزواج (**الخواتم ،الشموع ...**)كشفرةمحددةلنوعالثقافةوإتجاههاوتميزهاوما تحظي به،والذي يعزز إستمرارهاوإنبعاثالمكبوتاللاواعيفيها.

و يعتبرالرمزجوهرالحياة البشرية لما له من قدرة التأثيرعن بعد. ويمكن التحكم فيه والتحصل على النتائج المرجوة منه بالخبرة والمعرفة والمهارة، كما له وظيفة إبعاد الخطر والشر ودرء التهديديقدم المجتمع على ممارستها للحصول على نتائج مستحبة او لدرء خطر ومخاوف معينة.فالرمزية هي نواة الدلالة في هذه العلامات بعضها واضح حسي والبعض الآخر يحتاج إلى تفسير.

إننا من خلال المقابلات التي جمعتنا بأفراد البحث ومنخلالتشريحالظاهرةوالولوجإلى عالمأنثويغايةفيالسرية والذي نحن منه. تعرفنا على العديد من الآليات والتي إن تنوعت فإنها تشترك في الهدف الذي أوجدت من أجله،حفظ الشرف والحفاظ على العذرية والإغلاق الرمزي أمام أي ممارسة

جنسية تسبق الزواج سواء كانت برضى الأنثى أو خارج سيطرتها (بالقوة) يمارس عليهن قبل" **سن البلوغ"** أي قبل أن تحيض البنت"**قبل الدورة الشهرية"** وذلك سر نجاعة الطقس، بهدف الحماية وحفظ عذرية بناتهن الصغيرات خارج إطار الضبط والمراقبة. [1]كمعالجة شعائرية للأنثى بعقد إجتماعي تمارسه المرأة على المرأة سواء كانت **"الإبنة، إبنت الأخإبنت الأخت، إبنت الجيران ..."** وأن إشتراك الأم في طقس الربيط أمر واجب وأساسي يستثنى منه الأب وكل ذكر سواء من المشاركة أوالحضور. حيث يستعمل عضوات الحلف الأنثوي عدة أساليب وإشارات تنم عن البلوغ للإعتقاد.إنها تضمن للمارس عليها" الأنثى"الحماية ضد كل إعتداء ذكوري. والواضح من خلال معايشة مجتمع البحث أن التقاليد شديدة الإحكام في الحفاظ على الشرف. والتي تعد الأم "الانثى" عمادها وحارسها إلى حين التأهيل الجنسي للبنت. وعليه فإن العذرية مطلب وقوة دافعة للممارسة الطقوسية، ودون مبالغة إنه طابو يعلن خصوصيته التي تثير المنافسة الذكورية.

> " كي تتصفح الطفلة تولي مغلوقة مايقدرحتى راجل يتعدى عليها. وحتى إذا قدَر ربي تحكمت بالسيف عليها، مايدير فيها والو يالوكان يدير واش يدير، يعني مايقدرش يفزدها او يهتك عرضها.علا خاطر صرات بكري في وقت فرانسا منين الرواما والقور (الفرنسيين) حاولوا يفزدو(يعتدوا)على لبنات ماقدروش ومن هذاك الوقت واحنا نصفحوا لبنات الصغار باه نتهناو من عسانهم والخوف عليهم من الذكور" . (ممارسة رقم:02)

عملية التصفاح ترمي إلى جعل جسد الطفلة مغلق أمام أي محاولة فض البكارة من طرف الرجال كما تبين لنا، فإن الطقسيحمل في طياته الأمن النفسي والإطمئنان لفاعليته من طرف الأهل ويصبح ظابط للجنسانية وحامي للشرف. ولما كان الطقس أنثوي يستهدف الفتاة فإن الممارست تتطلب معايير وشروط لإنجاحها، وأهمها إستبعاد جنس الذكر. حيث يمنع الرجال من المشاركة في الممارسة وتصل درجة الإقصاء إلى إستبعاد جنس الذكر كليا (**صغير/ كبير) (بالغ/غيربالغ**) من مكان الممارسةضمانا لنجاح الطقس.فالممارسة إنثوية تمارسها الأنثى على جسد الأنثى بحيث تجري في غيابهم وبعيدا عن

1- عبد الصمد الديالمي، المعرفة والجنس من الحداثة الى التراث، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،المغرب،ط، 2010. ص70

أنضارهم وكن بعلمهم(الأب)لظمان نجاعة الطقس كما نعرفه وندركه جيدا بحكم إنتمائنا للمجتمع المدروس،وبحكم الممارسة التي خضعنا لها وخبرناها بالتجربة(**الزواج**). ومنه فالحيطة والإبعاد للذكور شرط ظروري لنجاح الطقس والفعل معا. إلا أن لغته واحدة وهدفه واحد وهو تفادي فض غشاء البكارة خاج إطار الزواج لحفظ العرض وحماية الشرف.

" كيما تحب الأم تصفح الطفلة في دارها وإلا عند النساء الي معروفين بالتصفاح لازم مايكون حتى راجل في الدار الي تتصفح فيه الطفلةباه تتصفح وتتغلق الطفلة قدام أي راجل حتى يالوكان صغير واحد مايقدر يتوشيها ولايتعدى عليها، حتان ايجي مكتوبها للزواج ثما نعادوانفتحوها كيما غلقناها قبل زواجها صباح يلة الحنة " . (المبحوثة رقم: 02)

يخضعالجسد الأنثوي لنظام إجتماعي صارم كما ورد في حديث النسوة اللواتي قابلناهم ومن خلال إنخراطنا في مجتمع البحث ملاحظين ومشاركين فاعلين. ماهيأ لنا الجو للإقتراب من الممارسة الفعلية لطقس فتح التصفاح (الفتح قبل يوم الزواج) على إعتبار تراجع الممارسة الواقعية لطقس الغلق وذلك الذي بين لنا أن هذا الطقس يبني على ثنائية (**المكان/ الزمان**) والغرض(**فتح/غلق**) الذي يجسد البعد الغيبي للمارسةفي حديث الممارسات والممارس عليهن اللائي أطلعونا على هذه الآليات والأدوات والخطابات التي تهدف إلى صناعة الجسد وفق مفاهيم ومقاييس يحفظها المجتمع في صدور نسائهه.

إنه بمثابة إعادة تدوين لهذا الموروث الثقافي، وإعادة إنتاج لقيم وعادات وطقوس الزواج بالمجتمع المحلي. فحسب "بورديوPierre Bourdie"وحدهم الفاعلين الإجتماعيين الذين ألفوا العمل بحكم ممارستهم للطقس، ومن يدرك حقيقة الممارسة وفعالية الطقس ومميزاته.[1]

"ماكانش طفلة في الفاميليا (العائلة) ما تصفحتش على يدي.. بديتها ببناتي وبنات خاوتي كامل، الحمد لله الطفلة الي نصفحها تتزوج ونزيد نحيلها التصفاح بعدما تحب تتزوج ، إما تجي عندي وإلا نروح لعرسها ونحيلها في دار والديها. وساعات نزيد نحني للعروس ليلة

1- بيير بورديو، مرجع سابق، ص57.

الحنة لأن العائلات يستبركوا (البركة) بياويحبو نحي التصفاح ونحني للعرايس والحمد لله." (الممارسة رقم:01)

عملت الأسر في المجال البحثي لوقت طويل على ممارسة طقس التصفاح الرامي إلى تعطيل جنسانية الفتياتعن طريق زرع إعتقاد بإستحالة أدنى محاولة إيلاج أو فض للبكارة قبل إعادة "الفتح" من جديد بطقس سحري آخر يهدف إلى السماح بالممارسة التي كانت ممنوعة قبل الفتح. فإنه على الرغم من وقوفنا على حقيقة الظاهرة في الواقع الذي قصدناه،ورغم تراجع وإنحصار الممارسة الطقسية في عملية الفتح إلا أن المحافظة على العذرية وصون البكارة هاجس باقي ما بقيت الرغبة في المرأة البكر.

2. البعد الرمزي للممارسة الطقوسية:

تقومكلالمجتمعاتالبشريةعلىتنظيمالغريزةالجنسيةفمنهاما يبنىعلىإحتراماالقواعدعبر الأوامر والنواهيوالمحظورات ومنخلالعمليةالتهيئةالإجتماعيةكفرضالإحترام. أو بواسطة إجراءات إحترازيةعنطريقطقس التصفاح فبفضلهذهالممارسة يطبع فيالفتاةالمفهومالجمعيللعفةوالشرف، بحيثتشعربأمانفيالوثوقبهذاالطقسالراميإلىحمايةالبكارة. هذهالممارسةالسحريةالضاربة في عمق المجتمع الشاوي المبحوث فيمحتواها الأخلاقيوالإجتماعيترامي الى ضبطالجنسانيةالأنثوية والتيتعدالمرأةالعنصرالفاعلفيها.

إنهذهالوصفةالتقليديةوالسحرية التي غرضهافتحالتصفاحغالبا ما تستند على منتوجالمجتمعالمحلي"**زربية-عسل- تمر** "وهي بمثابةتهيئةنفسيةلنجاحهذهالليلةالتيتشكلإختبارًا مهمًا لكلا الطرفين (الذكر/الأنثى) الزوجين، ومنه فإنهذاالإنخراطفيالطقسسهلعلينااالملاحظةوالمشاركةفينفسالوقتكأفرادموثوقفيهم،ومنهالغوصفيعمقالممارسةوق راءتهامنالداخلبمفاهيمهمولغتهمووجدانهم،كمامكنناالإندماجمن الوقوفعلىدوافعالممارساتللطقس. وأن هذهالمحادثاتالتيكانتحرةنوعًاماإلاأنهاإرتكزتعلىدليل مقابلة الذي ساعدنا و مكننا من فهمتفاصيلالممارسةالطقوسية فيبعديها (الغلق/ الفتح).

معظمالعائلاتالتيرافقناهمفيحفلاتالزواجلا تزال

تمارسطقسفتحالتصفاحللعروسقبليومالزواجأيصبيحةليلةالحنة. هذا الطقس الذيمورسقبلهذااليوم على البنت قبل سن البلوغ تلكالممارسةتمتفيمرحلةالطفولةيصرونعلي إعادتها اليوم لإنجاح الزواج المرتكز على دم البكارة على لإختلافمستوياتهمالإقتصاديةوالإجتماعيةوالثقافية،ويعتبرونها رهانأساسيلإتمامالزواج كما بينته لنا المقابلاتوالملاحظاتالمستندة على المعايشةللنساء في مجتمع البحث **"أم، جدة، خالة، أختعمة أوقريبة** "بإعتبارالممارسةالطقوسية وكل العادات التقاليد المرافقة للإحتفال مورورثهم الثقافي والقيمي يعيدون إنتاجهالأنهم يرون فيها الحارس لبكارة بناتهن مقابل فحولة أبنائهم.

أ.طقس الغلق الممارسة والتمثل: التصفاح أوالإغلاق الرمزيلا هدف له إلا جعل الأنثى مغلقة أمام أي محاولة من طرف الرجال لفض بكارتها، فالإغلاق يمنع حسب المعتقدات من مباشرة أي علاقة جنسية وكاملة قد تعرض غشاء البكارة لخطر الإفتضاض أو التمزيق. ويسمى طقس الإغلاق في الجزائر (**التصفاح**) أو**"الثقاف- الربيط"** بالمغرب. أما الفتاة التي مورس عليها فتنعت بـ **"مصفحة"**، وهي في هذه الحالة يستحيل أن يباشرها أي رجل لأن الشرف في مأمن من كل خطرولأن المرأة من دون بكارة حسب المجتمع المدروس بلا قيمة وذلك يعني أن جسدها مستهلك. وبالتالي فقدان البكارة يعني أن المرأة مسلوبة الشرف ومن دون رأسمال، وعليه تعتبر هذه الأخيرة(البكارة) شرط ضروري لإقامة الزواج . هذا الطقس يشكل ممارسة إستثنائية داخل المجتمع الذي أنتجها ما يمنحه من علامة التمايز والانتماء للجماعة.

إذا كان طقس التصفاح مرحلة إنتقالية من وضع مشوش إلى وضع مستقر فإننا يمكن مقارنته بطقس ختان الذكور على سبيل المثال لكونه يحقق أهدافا مشتركة منها الإنتقال من مكانة إجتماعية إلى مكانة أخرى أكثر إرتقاء، ومن مرحلة عمرية إلى مرحلة أخرى أكثر إرتقاء. فإن كان الختان مرور إلى عالم الرجال فإن التصفاح مرور إلى عالم النساء،كما أنه جو طقوسي خاص تتألف فيه جملة من العناصر المحسوسة واللامحسوسة كما أنه يبنى على إراقة الدم وبمقتضاه تقوم الرموز والكلمات والرسومات والحركات عملها في المكون المادي والنفسي(**الجسد**) على حد السواء بمجرد ترديد الكلمات أوالحركات

وما إلى ذلك من ترتيبات قد تؤثر على سير الممارسة إتجاه الأفراد والمجتمع " **المراة-العائلة** ".[1] بإعتباره قيمة تختفي تحت ستار الصمت والتستر بمفاهيم وخصائص إنسانية لوجود هذا المجتمع.وما يجب تأكيده هنا ولفت الإنتباه اليه أنه ما يعطي قيمة للممارسة الطقوسية الرغبة في الحفاظ على العذرية وفق منظور وتوجه الفاعلين.

" كيما كان عمري 16 سنة تعرضت لمحاولة اعتداء من ولد عمي ....بصح ماقدرش يفزدني على خاطر انا مصفحة.. بصح انا خفت رحت للطبية تاع النساء وهي خبرتني باني لباس عليا رغم ان الاعتتداء كاين وستر ربي والا تمزق غشاء البكارة ... انا قررت كي نجيب طفلة نصفحا، هذي هي الحاجة الى تضمن للطفلة ما يتعدى واحد عليها." (مقابلة رقم: 08)

ربطأو تصفاح البنت تقليد طقوسي يزخربه المجتمع الشاوي على إختلاف أشكاله وتعدد أساليبه ووسائله كونه الآلية والأسلوب الأوحد الذي مورس قديما وإحتكمت إليه الأسر ولا تزال بإعتباره الحامي لعذرية البنت حتى يتم زواجها.إنه اليوم الإسلوب الأنسب و ضرورة نفس- إجتماعية لإنجاح ليلة الدخلة المبنية على إعادة طقسآخر يكمل الأول ويشترك معه ويختلف عنه في نفس الوقت. وعليه فإن الممارسة الطقوسية"تصفاح" تمرعبرمرحلتين لكل واحدة منها شروطها وزمانها. فإن كانت الأولى(**غلق**) تستدعي سنًا قبل البولغ فإن الثانية (**فتح**)تشترط الإستعداد للزواج. وعليه يبنى الطقس على ثنائيتي " **الغلق- الفتح** " وفق " **الزمان- المكان**"والتي أخبرتنا بكل تفاصيلها الفاعلات والممارسات للطقس.

بالسحر توجه حياة الأفراد والأسر والمجتمعات حسب المفهوم الجمعي والمتعارف عليه ضمن السياق السوسيو ثقافي لسكان مدينة باتنة في صون الشرف وبقاءالعفة. بإخضاع الجسد لنظام إجتماعي صارم كما ورد في حديث الحالات اللواتي قابلناهم. حيث تعمل الأم بصورة مباشرة وغير مباشر بإعادة إنتاج نمط الممارسة وإستمرار تأثيرها وديمومة مفاهيمها ورموزها.

1. - جيمس فريزر، الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين، ترجمة نايف الخوص،دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع دمشق،ط1، 2014.، ص71.

ب. طقس الفتح الممارسة والنية: فتح التصفاح كناية عن القوة والظعف المسندة لعورة المرأة والرجل، إنهابمثابة دعوة صريحة للإلغاء السلطة الممنوحة للطقس في إضعاف قوة الرجل (**القضيب**) في عملية الإفتراع وتقليص دوره إلى مجرد إتصال سلبي غيرمجدي أمام هذه الممارسةالسحرية "الغلق" أي تحويل الضعف الذي كان في عضوالرجل (القصيب) إلى عضوالمرأة (الفرج) ومنه السماح بالممارسة مبنيعلى إسترجاع القوة والقدرة على المعاشرة الجنسية الناجحة. فلا يملك كلاهما (الرجل/المرأة) خيارًاإلا إعتراف بجدوى الطقس وفاعليته في منح القوة المرجوة بعد الضعف الذي كان لحماية العذرية والحفاظ علىيها وإن منح القوة مرتبط " "تلك هي الشيفرة الطقوسية بما تحويه من إيحائات تكتسب فاعليتها من الإعتقاد في جدواها أو ما يسمى بالنية. وعليه يبنى الطقس على شفرة ومفاهيم رمزية تؤسس لنجاح الممارسة وفعاليتها وتغلف بقصد النية الضامن لها:

- **عملية الغلق تعني** تحويل عظو الرجل "**القضيب**" الى عظو ضعيف. وجعله رخوا مثل الخيط، وبذلك فهوغير قادرعلى الإنتصاب في حين تمنح العضو الأنثوي(**الفرج**) القوة والصلابة من خلال أخذ هذا الأخير لخاصية الحديد الصلبة. ومنه منع أي محاولة إفتراح خارج إطارالزواج.
- **عملية الفتح تعني:** تحويل عضو المرأة **(الفرج)** الذي كان قويا صلبا إلى عضو ضعيف ومنح القوة للذكرالذي بعدما كان رخوا غير قادر أضحى قويا صلبا قادرًا على الإفتراع، وأن النية أساس ذلك التحويل الذي يجسد في نفسيهما (المراة- الرجل) الضعف الذي يعني اللاستعداد، والرغبةوالقوة التي تعني الإستعداد للنجاح في تخطي حاجز الخوف من الإفتراع .وتعد النية المدخل الأساسي في بنية الطقس"التصفاح" بإعتب العمل وتؤدي اليه.

> " يالوكان الطفلة نهار تنحي التصفاح ماديرش النية تصعب عليها ليلة الدخلة والراجل ثاني لازم يدير النية وياكل من العسل تاع الزربية ويقول مع مرتو (انا حيط وانت خيط) على خاطر التصفاح في الأول لازم الام تعمل النية ونهار الفتح العروس ولعريس هوما الي لازم عليهم ايديروا النية باه تتقضى ليلتهم ويلوكان واحد من العرسان مايديرش النية تصعب الدخلة"(الممارسة رقم: 01)

إن عملية فتح الطقس وإزالة مفعولة لا تكون إلا صبيحة يوم الزفاف كما هو متعارف عليه ، وأن استعداها ليوم العرس ومغادرة بيت أهلها يتطلب أيضا الإستعداد له أيضا من خلال فتح التصفاح، وأن عملية الفتح تتم حسب طريقة الغلق وتستعمل أدواته ووسائله التي إستعملت في الغلق، حيث أنناوقفنا عل عملية فتح التصفاح الذي مورس بواسطة" **السداية – المنسج** " وأن الشيئ الملاحظ أن عملية الفتح تبنة على الاستحمام. وبذلك فالماء مهم الى جانب باقي المستلزمات. وبذلك يتحول الماء من ماء عادي الى طقوسي.

يتطلبت فتح طقس التصفاح حظور لوازم " **المنسج"** التي استخدمت في عملية الغلق، بمساعدة إحدى النسوة من اجل ان لاتبقى العروس وحدها في عملية الإستحمام خوفا عليها من القوى الغيبية التي يعتقد فيها مجتمع البحث لحماية للعروس من أي أذى أوالشرور. وكأن النية والقصد في العمل تعني إسترضاء قوى غيبية لتمنحهم النجاح مثلما تمنحنا النية في العبادات الضفر بالقبول وإجابة الدعوة.أما باقي العمليات فلقد شاركنا فيها كفاعلين ينتمون للمجتمع من خلال مساعدتنا لعائللات في كل المحطاتو يعتبرذلك تبجيلا منهم ووثوقا فينا وترحيبا بنا. وعليه فإن عملية فتح التصفاح وإن تعددت ممارساتها وآلياتها وطرقها "الشرلية، التمر، السداية"، تتشترك في غرض واحد اثبات البكارة وإعلاء قيمة الشرف والتي توجب إشراك الرجل في طقس التصفاح .

" لازم على الراجل" **لعريس"** ياكل هو ومرتو من العسل المخلط مع صوف الزربية الي تجيبوا لعروس معاها سبعة ا 07 مغارف ياكلوهم بالوحدة وراء وحدة حتا يكملو كامل .ومع كل مغرف يامللوها يقول الراجل انا حيط وانت خيط وتزيد تقول المراة وراه انا خيط وان تحيط ...." " نحكم الصوف تاع الزربية، من كل جنب انحي (ننزع) شوية، من الوسط والجناب في أ ربعة، لازم ما نخلي حتى جيهة ما نحيش منها وبعدها نحرقهم (الحرق) في مقلاة فوق النار، ونحرك بمغرفة خشب حتان يتحرق يولي (يصبح)هذاك الصوف كامل رماد، وبعدها نخلطوا مع العسل الحر ونحطه في بلارة (ايناء) وتديه العروس معها، وفي ليلة الدخلة تأكل هي وراجلها (عريسها) وهي تقول انا خيط وانت حيط سبع (07) مرات، ويكرر هو ورائها انا حيط وانت خيط بربي تسهل امورهم " (الممارسة رقم : 02)

فاعليةالطقسلاتقدرالنسوةتقديمتفسيرواضحودقيق لها و

للاالياةالتيتمنعالرجالمنافتضاضالمرأةمندونإزالةالطقس،وانالتأثيرغيرالمفسرانمايبنىعلىالنية:

" باه تولي الطفلة مصفحة لازم النية، كي تحظر النية كلش يصلح، يلوكان العروس ماديرش النية، ما يقد الراجل، كاين بزاف عرايس مادروش النية ونهار العرس حصلوا حتان عوادت فتحتهم من جديد .انا كي نفتح للعرايس نقلهم ديرو النية تفوت ليلتكم مقضيةديريالنية " (الممارسة رقم:02)

"التصفاح" كتابة سوسيو ثقافية بيد المرأة على جسد المرأة، انه اغلاق رمزي هدفه ان يصبح جسد البنت ممتنع امام كل محاولة معاشرة غير مشروعة من طرف الذكور، فهو حسب النساء اللواتي قابلناهم في احتفاليات الزواج قوة خفية تحمي الفتاة، ويؤكدن انهن عايشنا هذا الموقف يوم زفافهن وزفاف قريباتهن اللواتي تطلب في بعض المرات اعادة الطقس لعدم قدرة الزوج على افتراع عروسه، اما لخطاء في الفتح او نسيان اعادة الفتح، او لغياب النية في فاعلية المماسةمن قبل احد الزوجين ليلة الدخلة. كل اللواتي قابلناهم يركزن على النية للعبور الامن. وذلك تشبيه بموقف ديني يتطلب تحضير النية قبل الشروع فيه. فيتداخل الديني بالطقوسي في لحظة الانتظار للحظة الاختبار المصيري في اثبات العذرية.

"كي نحيت التصفاح ماقلتش الهدرة تاع (اخيط وانت حيك) حسبتها لعبة زعما انا قارية وندير كيفهم ... الصح ... ليلة الدخلة فاتت صعيبة ومادرنا والوا ... وتفكرت عمتي كي كانت تقلي يا بنتي قولي واش نقلك.... لكن بعدما فاتو يومين تقلقت انا وراجلي... في الأول خبيت على دارنا ولكن كي طولت لحكاية وبعد ما رحنا لطبيبة النساء وقالت لنا تعب وتوتر وما دخلتش(لم يدخل بها) بعد ثلاث أيام قررت نخبر اختي لكبيرة ، هي وعجوزتي فتحولي التصفاح، من صوف الزربية تاع دارهم والعسل، والا ماكنت ...وملي انا وراجلي الحمد لله مشات امورنا. يالوكان ماصرات معايا شخصيا ماكنت نامن بالي التصفاح صعيب لدرجة ما يقدر الراجل على مرتو حلالوا" (المقابلة رقم:04)

اذا كان الطقس السحري له لغته التي اوجدته فان النية أساس نجاحه ، فمن دون النية الغة صماء غير مفهومة ومن دون معنى، انه جو طقوسي خاص تتألف فيه جملة من العناصر المحسوسة

واللامحسوسة بمقتضاه تقوم الرموز والكلمات والرسومات والحركات عملها في المكون المادي والنفسي على حد السواء بمجرد تلاوة التعويذة"مقولة" او تنفيذ طقس من الطقوس وما الى ذلك من الترتيبات، التي قد تؤثر على مجر الاحداث بالنسبة للأفراد.[1] فالقوة السحرية للكلمات في هذه الممارسة التي يبنى عليها الوطيء ومنع الوطء ومنح القدرة على الوطء وما يتضمن هذه الممارسة من مفاهيم ومعاني ما هو الا دلالة على قيمة العذرية في اتمام الزواج المرهون بفحولة الزوج. باعتباره قيمة من القيم والضوابط الاجتماعية والتي تتحكم بشكل غير معلن بالمجتمعات المختلفة بما فيها مجتمع البحث.بما تعكسه من تحولات ثقافية ودينين وطقوسية خاصة تنم عن تفرد المجتمع الشاوي بمنطقة باتنة بعدة ممارسات وطقوس يصرون عليها. يحتكمون لها في استسلام لاواعي. والتي ترتبط بالنظام القيمي ويرتبط بالموروث الثقافي، ويعزز اللحمة المجتمعية القرابية.

يعتبر طقس التصفاح قيمة معيارية تجبر الأفراد على ممارستها حفاظا على العفة . وذلك الذي صرحت به كل النسوة ممن جمعتني بهم مقابلات معمقة شملت تفاصيل حياتهم وتصورات المجتمع لها ما بين القبول والرفض، وما بين الفاعلية السحرية في الإغلاق وما بين الإيحاء النفسي تتضارب الآراء ما بين الأجيال.فإذا كانت الجدات تحتكمن لقوة العادة والاعتقاد في حتمية وفاعلية الممارسة وما بين تجربة شخصية تنقلها الممارس عليهن في جدواها من جهة وعدم التمسك به من جهة أخرى، هذا الرائي الخاضع لعدة اعتبارات وما بين من يعتبرنه سحر وشعوذة وبطلان لا من حيث أساليبه ولا من حيث تأثيره وأننا بين كل هذه الذي يقال وقيل وقفنا على حالات عجز عن نجاح ليلة الدخلة ، وحضرنا طقس الإغلاق على رغم الوعي ، وحاورنا كبار السن أثناء ذلك ويبقى استنتاجنا الأخير أن المجتمع تحكمه العادات والتقاليد الي نمثل دستورها الغير مكتوب والمنظم للعلاقات الاجتماعية رغم التغير والتبدل الذي يشهده العالم فان العادات والطقوس راسخة في الذاكرة الجمعية ومنقولة غبر الأجيال لترسم خصوصية هذا المجتمع ومفهومه للعرض الذي تقام عليه منظومة الزواج وتبنى عليه الأسر.

[1]- جيمس فريزر، مرجع سبق ذكره ، ص71.

لغة المجتمع المحلي وتمثلاته في حضور الممارسة وفي غيابها يتجلى الضمير الجمعي المنظم والمسير لكل السلوكات ومؤطرها لغرض واحد، حماية الشرف، شرف الاب والاخوة وكل العائلة. والمانحللبنت الحصانة قبل الزواج والمكانة بعده. ورغم ادراكهم اليوم بعدم جدواها امام التعلم وازدياد الوعي الديني، يؤكدون تخليهم عن الممارسة وهجرها واستبدالها باساليب اكثر حضارة ومسايرة للتقدم الحاصل في المجتمع، الا انهم يؤكدون فاعليتها، سواء بما عاشوه شخصيا او بما عايشوه مع افراد المجتمع من اهل واقارب، فامام القديم والحداثة، وما بين القبول والرفض، مفارقة الماضي والحاضر تتجسد في صمود الممارسة المبنية على الفتح، انهنمجبراتعلىفتحالعروسقبلمغادرتها بيت أهلها لضماننجاحليلةالدخلة.

فلميكنلهذهالممارساتانتثبتوتبقىحاضرةفيكلعرسواحتفالبالزواجفيالاسرالتيطالهمالبحثوالمنتمونالىفئاتاجتماعية واقتصاديةمختلفة، لولاالاعتقادالراسخمنهمفيفعاليتهامنجهةوعدماخفاءهمانهميمارسونهاتحتوطئة وسلطةالعاداتوالتقاليدفيالوقتالحاليلهاسلطة

رمزيةوقدرةسريةفيترسيخهالمفاهيملاتتاثر،فهياكثرفاعليةمنكلتقنياتالترويضوالصيانةفيالنظامالاجتماعي (الحشمة،العار،العيب،الحرام) انهاسلطةاكبرمن أي ممارسة .

2. الحداثة وآليات ضبط الجنسانية الأنثوية:

للحداثةآلياتها وتقنياتها التي تعمل على بناء وتشكيل المفاهيم الخاصّة بالجسد الأنثوي المتحرّر من كلّ أنواع الطابوهات الجماعيّة التي قيدته وإعتبرته تابع للآخر"الرجل" فالجسد وفقا لمفاهيم الحداثة لم يعد ملكا لقوى الأصالة والتّقليد منذ أن تفرّد و إستقلّ وإنفكّ من قيود القبيلة والعشيرة. لقد أصبح هذا الجسد خاضعًا لأسس ومقاييس جديدة يحكمهاالتغير والتقدم .وان قيم الحداثة وما افرزته من تقدم في سائل الإتصال والتكنولوجيا على إختلاف انواعها المقروءة والمسموعة والمرئيّة أهمّ الأدوات والآليات التي

توظفّها ثقافة الحداثة في خلق وتسويق وترويج القيم الدّاعمة والمؤيّدة لقيم الجسد الحديث. حيث لم تصبح الممارسة الطقوسية للثقاف من الأولويات للمرأة الشاوية لجوءًا للحفاظ على العذريةأو من آليات إثبات العذرية لإنجاح هذه المؤسسة الاجتماعية القائمة على تمجيد الشرف كرآس مال رمزي وآساسي للإستقرارالأسري. فلم تعد الأسر كما كانت من قبل ترقب نتيجة هذا الإختبار المصيري(العذرية) بل أصبح الإحتكام لعنصر ثقافي جدي يحمي العذرية ويقلل قلق الإرتقاب المرهون بدم العذرية.

لقد أنتجت الحداثة قيمًا جديدة ترتبط بقيمة الشرف والحفاظ على العذرية نتيجة لتغيرالمفهوم بفعل التعلم والتقدم الذي رافقه موجة من الإتصال والإعلام الذي ينادي بحرية المرأة. فزال ذلك القلق والفزع وأصبحت شهادة البكارة التي تمنحها طبيبة النساء والتوليد مدافع عن الشرف وعليه فإن البعد السوسيو ثقافي للمارسة الطقوسية(التصفاح) والى ضرورة الإحتكام لشهادة تثبت العذرية"سرتفيكا" certificat de verginitè لإستبعاد أي إتهام في حالة العجز في الافتراع ليلة الدخلة لعدة إعتبارات،والذي غالبا ما يعزى لفقدان البكارةمسكوت عنه، خفي غير معلن إلا من المقربين الذين يلزمهم المعرفة والتتبع للإطمئنان المسبق والبعدي، نظرا لما يشكله مفهوم البكارة والشرف من ضغط على الأفراد والمجتمع.

فاذا كان التصفاح يمثل حماية للعذرية فإن شهادة اثبات العذرية المقدمة من الطبيب المتخصص اعتراف برمزيتها وانها محورقيام الاسر، تدافع عن العفة وتثبت البكارة. وعليه فإن إثبات الشرف باقي رغم الحداثة والعصرنة. والذي تدخل في صميم الإمتلاك الإجتماعي للجسد الأنثوي هاجس لقاءالعروس العذراء.

المبحث الثاني:
خطاب الجسد التمثلاث وسلطة الطقس

أولا: الجسد الأنثوي الدلالة والرمز:

يشكل الجسد الأنثوي موضوعًا محوريًا في التصورات والميثولوجيا وفي نظريات علم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا. لهذا فليس غريبا أن نلح في الحديث عنه ونتغنى بجماله ونربت عليه

وننصت إليه في قوله وفعله وفي سكناته[1]. لما يحمله من خصوصية ودلالات رمزية معبرة بالأخص لدى المجتمعات العربية الإسلامية. وتحتل العذرية منزلة عالية تميز هذا الجسد لإرتباطها بقيم أخرى داعمة له كالشرف والفضيلة والعفة. فهي ملازمة للجسد الأنثوي وتصل إلى حد الإحتفال والإفتخار بها. ويعد طابو البكارة والعذرية أحد أوجه هذا الإحتفال الذي يحمل في مضامينه المعلنة والخفية قيمة هذا الجسد وماكنته والذي يختبر بالزواج. وعليه فلقد أحيط هذا الجسد بالعديد من الممارسات الطقوسية من أجل حمايته وإعلاء قيمته، وبالتالي فجسد المرأة بصورة خاصة مادته ورمزهكموجود ثقافي يخضع لقوانين وضوابط إجتماعية.[2] بدءًا بالتنشئة الأسرية المبنية على الحفاظ على عفته وشرفه بإخضاعه لطقس التصفاح إلى أن يثبت في إختبار الزواج متجسدًا في دم العذرية.

تكتسي هذه اللحظة أهمية لهذا الجسد في إنتقاله من الممنوع المغلق إلى المباح المفتوح. إذ تعد لحظة تحليلية متميزة وبداية إنتقال يرسم التمييز بين لحظتين "العزوبة- الزواج"، وعلى مستوى التمثلات هالة أسطورية تظفي على العذرية قداسةعلى أنها قيمة إجتماعية مظافة لهذا الجسد وحاملهتتغنى بهاالأغاني وتحكي عنها الأساطير وتبرزها الأمثال وتسردها الحكايا.ونقرؤها في مستوى الواقع من خلال ما تحاط به هذه القيمة المجتمعيةمن مكانة ما بين إعتناء بها وإحتفال ومابين كبتها وإشهارها، لتتجسد من خلالهاقيمتها كإرث ثقافي يوحد السلوك والمفهوم ويعيدإنتاجه، ويعلي من قيمة الجسد الذي يستقي معناه ومكانته من معطى العذريةالطريق المؤدي للزواج .

لقد إبدعت المجتمعات الإنسانية أشكالا مختلفة لأجل هذه القيمة المعيارية المهمة في البناء الإجتماعي والتي لا تتأسس على إعتبارات أخلاقية ودينية فحسب. بل تدعم قوانين التنظيم الإجتماعي.إنها كتابة نسائية تهدف إلى ضبط الجسد الأنثوي وإعلان علني لإنخراطه في عالم النساء. ومنهإخضاعالجسد

[1]-جميل عبد المجيد، البلاغة وإلاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، د ط ، 2000 ، ص 68.

2- سامية حسن الساعاتي، علم اجتماع الاسرة، رؤية مفاهيمية لأهم قضاياها، دار الفكر العربي، القاهرة،1999، ص217.

للرقابة الإجتماعية باعتباره حقل يتم زرعه ومراقبته.[1]إذ هو الإنتقال من مرحلة الطفولة إلى لبلوغ وبذلك فهو يعد طقس عبور لتحضير الفتاة لتصبح زوجةوتهيأتهاللقيام بوظائف الزوجة. ومنها المعاشرة الجنسية المبنية على غشاء البكارة الذي يجب ان تحافظ عليه. ليس لأنه رأس مالها الرمزي فحسب، وإنما هو شرف العائلة ومؤشر لسلامة البناء المجتمعي.

لقد مورست العديد من الآليات للحفاظ وحفظ الشرف والتي يعد " **التصفاح** "أحدها كآليةلضبط الجنسانية الأنثوية في الجزائرعامة ومنطقة باتنة على وجه الخصوصوكطقس عبورللحياة الجنسية المنظمة، حيث يتم بمساهمة الفاعلينالإجتماعين"المُمَارِسَةُ" في تعطيلجنسانية الفتاة فيسن صغيرة "المُمَارَسْ عَلَيْهَا" من خلال إخضاعها لهذه المُمَارَسَةُ السحرية الطقوسية والتي تحفظ عذريتها .

1. مفهوم الشرف

الشرف سيكولوجيا هو ذلك الأساس الداخلي المهيكل بالذات الإنسانية والشعور بالعظمة والكبرياء وعبر نعه " **بيير بورديو"** بمفاهيم "كالوجه، العرض، النيف والحياء والحشمة".[2]

الشرفيعني سمو الأخلاق والمبادئ والقيم المثلىوالفضائل الكريمة.وهو كلمة متأصلة وثابتة لاتتغير بتغيرنوع الجنسسواء كان رجلا أوامرأة.غيرأننا عندما نصف الرجل بأنه شريفيتبادر إلى أذهاننا أنه صاحب كلمة صادق، ومخلص يكسب رزقه من حلال.أماعندما نصف المرأة بالشريفة فإننا نعنى بذلك أنهاإمرأة عفيفةونختزل شرفها بأنها تصون جسدها. وبذلك فالشرف قيمة سامية تعتلي سلم القيم الإنسانية والاجتماعية. إذ يقاس الشرف بصون الجسد، والمبني على مفهوم العذرية والبكارة. حيث يشكل الشرف والطهارة مفهوم مهم وجد حساس هي الهندسة الاجتماعية[3]. حيث انهما يرتبطان بمكانة الرجل والسلوك الجنسي للنساء القريبات **"أخت، ام، زوجة، ابنة، عمة، خالة"** فهو يمثل قيمة ثقافية بالنسبة للمجتمع .

1- خلود السباعي، الجسد الانثوية وهيوة الجندر، ط1، جداول لنشر والتوزيع، لبنتان،ط1، 2002،ص49.

2 - سولاف معطي ، الشرف في المجتمع الجزائري، مقاربة سوسيو انثربولوجية حول واقع تمثلات الطالبة الجامعية لحياتها الجنسية، رسالة ماجستير علم الاجتماع ، جامعة هران، 2003- 3004، ص02.

3- فاطمة المرنيسي، ماوراءالحجاب"الجنس كهندسة اجتماعية"ترجمة فاطمة الزهراء ازريول ، ط1، 2005، المركز الثقتفي العربي ، الدار البيضاء المغرب. ص182

2. مفهوم الشرف والقيم المعيارية:

أ. الشرف ومفهوم العائلة:الشرف والسمعة علاقة فيها إعلاء من قيمة العائلة. فهو العرض الذي يتطلب إحترام تتحدد ملامحه منذ لحظة الميلاد.في منع هذا الجسد من كل الذكوربالمراقبة والحراسة بإعتباره جزء من الميراث ويتطلب المحافظة عليه.والذي لايتحقق إلا بإجتناب الإختلاط بين الجنسين.[1]

ب.الشرف ومفهوم العفة: يجب على الفتاة أن تظل عذراءًا بكرإلى حين أن تتزوج. ويعد الحياء أحد السمات الظاهرة التي تعبرعن مدى تمسك المرأة بشرفها باعتبار العفةمن الصفات المحببة إلى نفوس المؤمنين جميعا،ومن ثم فإن الله عز وجل عندما رغب المؤمنين في الجنة وعدهم فيها بحورعين عفيفات قاصرات الطرف لم يفضض بكارتهن أحد قبلهم. في قوله الحق تبارك وتعالى في وصف نساء أهل الجنة(**إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (37) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (38) عُرُبًا أَتْرَابًا(39)**).[2]

ج. الشرفومفهومالنيف:ربطالشرف بالنيف" **الأنف**"و**الشلاغم**" تعني الشوارب. فالنيف مرادف للعرض والحرمة، انها مفاهيم لها علاقة بمفهوم العارالذي يلحق الشرف إذا مست إحدى قيمه. ولما كانت الأنثى"**الزوجة، البنت الام، الأخت** " ملكًا لجماعة الذكور"الأب، الأخ الزوج" فإن من يبلغ من هذه العلاقات أو حتى يقترب منها فهو يعتبر نفسه ضمن الجماعة ويحق له الهيمنة عليها.وبالتالي فهو يمتلك جسدها وشرفها ويدافع عنه. وأن أي سوء يلحق بالشرف فهو يمسه كفرد كما يمس كل الجماعة القرابية.[3]

د. العذرية والشرف:لحساسية العربي للشرف يتم التركيزعليه كقيمة جوهرية" **عذرية البنت،عفة الزوجة**"ويتعلق شرف العائلة كلهاعلى هذا الجسد المستلب والمهيمن عليه من طرف الذكور.حيث يسهر الرجل على إحترام الحشمة الجنسية للنساء من أجل لا تفسد طهارة بيته وتَحَثُ النساء الرجال على عدم

1- جرمان تليون، الحريم وأبناء العم، تاريخ النساء في المجتمعات المتوسطية ، ترجمة عز الدين الحطابي، دار الساقي،ط 1،2000 ص.148

2- سورة الواقعة (37 – 39).

3- خديجة صبار، المرأة بين الميثولوجيا والحداثة، افريقيا اشرق، 1999، بيروت ، لبنان، ص179.

الإساءة الى سمعتهن، لأن فقدان الشرف يولد العار. ولا يصبح الرجل رجلاً إلا إذا قام بالواجب ليلة الدخلة **"طقس علني".**[1]

" الطفلة ما عندها غير شرفها لازم تحافظ عليه،وعلى نيف باباها لأن البنت الي ما تحافظ على عرضها تحط شلاغم باباها و نيف خاوتها وعايلتها كاملفي الأرض." (المبحوثة رقم: 02)

إعتبرت العديد من المجتمعات العربية إن لم نقل كل المجتمعات الإنسانية تقريبا أن البكارة رمزالعذرية، فتفاوتت قيمتها ومفهومها من مجتمع إلى آخرومن حقبة زمنية إلى أخرى ومن وسط إجتماعي إلى آخر، لكن معظم الأساطير ربطت العذرية بالأنوثة.أما الدين الإسلامي فقد إعتبرها قيمة لها مدلولها أخلاقي دينيا وإجتماعي وجماليا.وموقع الشرف هو موضع العذرية البيولوجية والمتمثلة في غشاء البكارة، لذا فالشرف إنما يختبر من خلال طقوس الزواج. حيث تضفي العذرية على المرأة في نظر الرجل جمالا وتميزها عن غير العذراء ، وتعتبر المجتمعات العربية الإسلامية من المجتمعات التي تمنح العذراء مكانة خاصةلذا فالاقتران بها مدعاة للفخر باعتبارها نقية لم يلمسها الاخرون.[2]

ه. الشرف والمفهوم الأخلاقي: الشرف مقياس لخلق المرأة و نسق قيمي في المجتمعات العربية. يتشكل من انساق وضوابط إجتماعية وأخلاقية تحفظه وتعطيه المكانة وتمنحه السمعة. فشرف الأنثى هو شرف كل الجماعة القرابية ومربوط بالكرامة والقبول الإجتماعي. حيث يقصد به حالة من الإستقامة وفق ضوابط وقواعد أخلاقية. لإرتباطه بسوسيولوجيا الأخلاق والدين والقيم.

و. الشرف ومفهوم الراسمال الرمزي: يعد الشرف في المجتمعات العربية الإسلامية ومجتمع البحث على وجه الخصوص رأسمالهم الرمزي، الذي تحرص عليه جميع الأسر. كما أنه إستعداد جوهري موجود لدى جميع أفراد المجتمع"ذكور- إناث". ففي الوقت الذي تكون فيه الهيمنة والسّلطة بيد الذّكور فإنّ من تقع على عاتقهم مهمّة حماية وصون شرف العائلة هم الإناثمن خلال التحلي بالأخلاق الحسنة والسمعة العالية بتجنب أي إختلاط بالذكور خارج إطار العلاقة الشرعية"الزواج"، أوإخضاع الجسد لممارسة

1- خديجة صبار، مرجع سبق ذكره، ص59.

[2] - مباركة بلحسن، العذرية والرقابة الاجتماعية، مجلة تدوين، مجلة محكمة، جامعة وهران، العدد02 ، ديسمبر 2010، ص39.

طقوسية تحافظ على هذا الرأس مال الرمزي، ونعني بذلك طقس"التصفاح" لحفظ العذرية وحماية الشرف. بإعتباره قيمة اجتماعية- معيارية تتربع على عرش منظومة القيم الإنسانيةوتتبلور في شكل مفهوم قيمي لائق ومقبول إجتماعيا. وتتشكل في وعي المجتمع المحلي(باتنة) بمدلولاتها الأخلاقية والدينية والثقافية والتي حصيلتها صياغة قانون جمعي يعلي من قيمة الشرف في إطار البناء السوسيو ثقافي .كما تعتبرهذهالقيمة من أهم القيم الإجتماعية المتداخلة والمؤثرة والمدعمة لقيم العذرية، إلا أنها قيمة قائمة على تصنيفات الذكورة والأنوثة. فعند إقترانه بالمرأة قبل الزواج يكون تابعا لشرف العائلةوالأسرة والأب والأخ وكل ذكورة العائلة ، وبعد الزواج يصبح تابع للزوج. فالشرف شرف الزوج ولكنه لا يرتبط من قريب أو بعيد بموضع العذرية، كما أنه يتكون من مجموعة من المفاهيم الرمزية. فلا يكتسب ولا يورث بل يستمد وجوده من البناء الإجتماعي والثقافي للمجتمعات.وأن قيمته متعلقة بالتوافق والإعتراف، فهو يؤمن أشكالا من الهيمنة التي تستلزم التبعية داخل الفضاء الإجتماعي.[1]

ثانيا: البعد الأنثربولوجي لمفهوم "الشرف":

من يدقق النظر في طقوس الزواج بمدينة باتنة يجد أنها تبنى على العفة والشرف الذي يحرصه طقس"التصفاح". هذه الممارسة التي تحاط بالسرية وتحمل رموز ودلالات ضمنية كثيرة. ماكان لنا فهمها والولوج إلى عمقها لول الحقل الأنثربولوجي المبني على المعايشة والمشاركة، من خلال الإنخراط في الممارسات والأنشطة التي ترافق الإحتفال بالزواج. ومنه رصد سلوكات الفاعلين الإجتماعيين داخل الحدث وخارجة والتي سهلت علينا فحص الطقس من العمق. وفي قراءة تمثلاتالمجتمعوفك شفرات الممارسة الطقوسية للمرأةالشاوية، وفهم دلالتها المختلفة في كل محطاته ومراسيمه كعنصر فاعل ومرغوب فيه قائم بناءًا على الإنتماء الجغرافي الذي هيئ لنا قاعدة متينة من التقبل وزادت من إدلاء المبحوثات دون تحفظ أو تشويه لكل تفاصيل حياتهن. حيث لمسنا التأكيد على أن الشرف قيمة إجتماعية تسعى للحفاظ على العذرية وحفظ شرف كل رجال الأسرة " **الأب الاخ، الزوج** "وكل رجال

1- الزهرة إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص168.

الاسرة.فالشرف في مفهومهم يكمن في عفة الزوجة، والأخت وكل بنات العائلة، وأن سمعته تبنى على هذه القيمة الرمزية.التي يعززها النسق القيمي والديني بين أفراد المجتمع بالإضافة الى البعد الأخلاقي المسيربقوة العادات والتقاليد.[1]

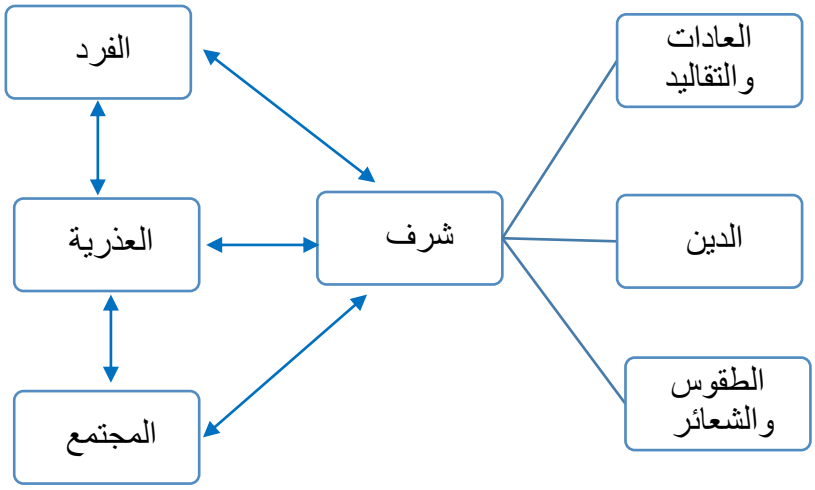

جدول رقم(01) : البعد الانثربولوجي لمفهوم الشرف .

أ. **تجليات العذرية:** تعتبرالعذريّة من أكثرالآليات التي مازالت تنتج ويعاد إنتاجها في كل المجتمعات العربية والإسلامية كأداة تؤكّد إستمراريّة البنى التقليديّة الأبويّة للمجتمع،والرؤى المعبّرةعنها. فالعذريّة في مجتمع البحث شرط للزواج. وآلة من آليات الهيمنة الرّجوليّة وماينتج عنها من نزعة للسّيطرة والملكيّة. فملكيّة الرّجل لهذا الجسد ضمن رؤية مؤسّسة الزّواج يعطيه الحقّ في بسط نفوذه على المرأة التي يريد الزّواج بهابصفته المالك الشّرعي والوحيد لهذا الجسد . فتقاس منزلة الرجل بمقدارعفة عروسه أوإبنته أواخته.

1- محمد امين العالم، أنثروبولوجيا الجسد والحداثة ،العدد،44، يوليو 1995،ص53.

لقدأعتبرتعذريةالمرأةأحدالمقاييسالأساسيةلإكتمالطهارتهاوعفتها،وربطتبالبكارةللإرتباطالجسدالأنثويبمضام ينالشرف. فالمرأةالعذراءمرغوبةوفقدانعذريتهامربوطبالعاروالفضيحة، وذلكأنعذريتها مظافة ألى العائلةوكل رجالاتها.

كقيمةتساهمفيصناعةالهويةالذكوريةوالأنثويةمعًا،وميزةجسديةترتبطبشرفالانثوشرفالعائلةورجولةالعريس والمجتمعككل.فهي مرتبطةبثقافةالمجتمعوقيمه

ومعاييره.وأنتمثلاتالمجتمعحولالعذريةأنتجتمفاهيمعدةإرتبطتبالمراةالعذراء منها:

- الحديث والصوت الهادئ والمنخفض الذي يتسم بالحياء غالبا مايرتبط بالفتاة العذراء كما يعبر عنه المجتمع ب (الحشمة والحياء) وهوإرتباط بين العذرية السلوكية والعذرية الإجتماعة.

- وضع الثقافة لبعض المحظورات الحوارية من خلال أساليب التنشئة الاجتماعية، فتمنع الأمهات الفتيات من الحديث في أمورالجنس والحب ومايخص الزواج.

- يفرض المجتمع على الفتاة نمط الزي والزينة بفرض بعض القيود بهدف ضبط العذرية، من خلال التنشئة الاجتماعية التي تحتوي على تربية دينية وثقافية قيمية، بعيدة عن آليات الضبط السحرية.

لقد قدمت

الباحثة"**مهامحمدحسين** "منخلالدراستها"العذريةوالثقافةدراسةفيأنثروبولوجياالجسد"مفهوموتفسيرلموضوعال عذرية ومختلفالتمثلاتالمعبرةعنهاوقيمهاداخلالمجتمع المدروس.حيث خلصت إلى

أهمالنتائجالمرتبطةبالعذرية.والتيتعتبرمقاربةأنثروبولوجيةمفسرةوبدقةللعذريةوالتيتمثلتفي ال خلط بين العذرية كحالة والعذرية كصفةللفتاة، وأن هناك تداخلات في التعريف بين المعنى ومواصفات الفتاة العذراء وسلوكياتها، غير أن القاسم المشترك بين الفئات الإجتماعية هو المعنى البيولوجي للعذرية التي تعني غشاء البكارة. وأن المجال الدلالي للعذرية يحمل ألفاظا واصفة للفتاة العذراء ." **بكر،وردة مقفلة، قطة مغمضة**"وهو إمتداد للخلط بين العذرية كحالة والعذرية كصفة . وفي بعضها مواصفات دالة على

العذرية البيولوجية، وأخرى دالة على الفتاة العذراء. ومن خلال الإقتراب من مجتمع البحث(باتنة) إتضح لنا أنها تتصف بألفاظ أكثر تهذيبا وأخرى غربية تتفق والسياقات السوسيوثقافية.[1]والتي يحصرها المجتمع قيد الدراسة في"**بكر،شريفة،صبية،عفيفة،عروس مراه Vierge**" كما نجد صفات دالة على العذرية منها "**متربية، متخلقة، واحد ماقاسها، بنت فامليا** "وتتباين هذ ه المفاهيم كماإ تضح لنا جليا في مفردات الخطاب.

يشتمل مفهوم العذرية على مجموعة من الإشارات والصور والرموز التي تتماشى وخصوصية المجتمع المحليوكل المناطق التي تواجدنا فيها" **كيمل،اريس، تكوت** " والتي تفسر حسب تصوراتهم بما ترمز له وتدل عليه.وبالتالي يعطي مجتمع البحث معنى معينا يمكنه من التحكم فيه والتفاعل معه ، ويسهل عملية الإتصال بإشراك كل أفراد الجماعة.وأن حماية العذرية تدخل في صميم التملك الإجتماعي للجسد الأنثوي المرتبط بإستيهامات ذكورية المرأة موضوعها وإستهامات أنثوية موضوعها الرجل، تقابلها إستهامات قلق الإفتضاض وخوف العذرية. [2] هاجس بقاء الفتاة عذراءإ يوم زفافها يوجب التعامل معه بأشكال متعددة لحراسته. ويتأسس ذلك الهاجس على عدة إعتبارات أخلاقية ودينية بل على قوانين النظام الإجتماعي لجعل جسد المرأة موضوع رقابة إجتماعية مترسخة في الضمير واللاشعورالجمعي. فحماية العذرية يدخل في صميم التملك الإجتماعي للجسد الأنثوي، وبذلك أبدعت المجتمعات الإنسانيةأشكالا مختلفة لأجل هذه القيمة المعيارية المهمة في البناء الإجتماعي التي لاتتأسس على إعتبارات أخلاقية ودينية فحسب بل على قوانين التنظيم الإجتماعي.

أ. **خطابات العذرية:** طابو العذرية يضم طابوالمحارم فالفتاة تحافظ على عذريتها الإجتماعيةأمام محارمها"**أب، أخ، العم، الخال، الجد**"وهي مقياس للتربية الحسنة[3]وأن فقدان البكارة يعني صعوبة تزويج الفتاة من رجل يليق بها وبعائلتها وبشرفها وسمعة كل عائلتها. ومنه ضرورة مراقبة الجنسانية وتحصين

1- مهاحسين، مرجع سبق ذكره، ص322..

[2]- مالك الشبل،مرجع سبق ذكره ،ص09.

[3]- مباركة بلحسن، مرجع سبق ذكره ، ص 38.

الجسد الذي هو رأس المال الرمزي، حيث أن الفتاة الغيرعذراءتتعرض للإ قصاءالأسري والإجتماعي، وجراء ذلك تحاك حولها الأحاديث وتوجه لها الإتهامات.،فتنعت بعدة مسميات منها " **ماهيش عروس، ماهيش مراه مخسرة مقعورة، فاسدة**" حيث تؤكد النسوة اللواتي قابلناهم على أهمية البكارة فهي على حد تعبيرهن ضرورية لإتمام الزواجوأن الزوج له الحق في رفض الزوجة، أواعادتها الى أهلها مالم تثبت عذريتها، وإنهاء العلاقة إذا ثبت أنها ليست بكرليلة الدخلة. وذلكلما تحمله العذرية من أهمية في منظومة الزواج.

> " أنا ربيت بناتي كامل في خمسة (05) على الحشمة والحياء. فهمتهم منين كانوا صغار بلي راس مالهم شرفهم ولازم يحافظوا عليه. والطفلة الي بلا شرف ماعندها حتى قيمة لاعند والديها ولا في المجتمع، وحتى واحد ما يتزوجها، واحد مايتزوج مراء بلا شرف. والطفلة لازم تعس روحها واحد ما يعسها. ديما نقلهم اتهلو في رواحكم وشرفكم مت(موت) والا حييت(حياة) على خاطرش عرضكم راس مالكم". (المبحوثة رقم:02)

إن هذه الخطابات تؤيدعلى الدوام بناء مفهوم موحد لجسد الأنثى، ذاك الجسد المحاط بأحكام وحدود "**الحرام والحلال** و**المسموح والممنوع**" وغيرها من الحواجز الأخلاقية. التي أنتجتها تمثلاتهم "**حشومة، عار، عيب**" هذه الخطابات والممارسات تعمل ب إستمرار على أن يبقى جسد المرأة فضاءً حاضناً لمفهوم الشرف والعذرية التي تعرف بها المرأة العفيفة الشريفةكسمة ومظهر ومكانة. في مقابل الرجل الفحل" **الراجل** " .تتبنّى هذه الخطابات بطريقة واضحة وجليّة القيم التي تعبّر على الجسد. والمستبطنة لسمات الجسد "**العفيف- الشريف**"والذي يتطلب الحفاظ عليه بعدة آليات وممارسات طقوسية. ورغم التحوّلات الإجتماعة والثقافية التي مست المجتمعات العربية، فإن العائلات التي شملها بحثنا ما تزال ترى في المرأة عورة يجب أن تُستَر وعرض يجب أن يصان. وعليه فإن طقس التصفاح يصون هذا الشرف ويحفظ هذا العرض" **الزواج سترة** " بما يشتمل عليه من أبعاد متداخلة مابين الأخلاقي الديني والنفسي والإقتصادي والإجتماعي.

ب.طابو البكارة ودلالته:

إن بكارة الفتيات في المجتمعات العربية والإسلامية كلها مسألة تهم كل رجال الأسرة **"الأب،الإبن،الأخ"** واي نوع من الخطرتتعرض له الأنثى يعتبرخطرعلى كل الذكور . ويلحق العاربالعائلة المعتزة بشرفها، بإعتباره رأسمالهم الرمزي. حيث تحرص الأسرة على تنشأة البنت على مفهم العرض والشرف والحفاظ عليه بإعتباره رأس مالها. و يعتبر هذا الغشاء الفزيولوجي منيعا أمام الإباحية والفوضى الجنسية. وإذا كان هذا الغشاء فقد قيمته الإجتماعية والأخلاقية في المجتمع الغربي، إلا أنه يكتسي قيمة مهمة في العالم العربي عامة والجزائر خاصة، كما تبين لنا من خلال مناسبات الزواج التي حضرناها، حيث لاحظنا مدى تشبث المرأة بهذه القيمة الرمزية. والعمل على الحفاظ عليها بعدة آليات، والتي مهما إختلفت تقنياتها فإنها تشترك في مغزى واحد وهدف وحيد هو تعطيل جنسانية الفتاة وحفظ شرف العائلة.

للبكارة قيمة رمزية لدى المجتمع الشاوي وغيابها يعني أن جسد العروس مستهلك وأن الزوج سبقه إليه غيره، إما لكونه زوج ثاني أو خارج حدود الزواج. ومنه فالبكارة حجرالزاوية في مجتمع البحث وشرط أساسي وإلزامي للأنثى في ليلة دخلتها، بل هو من قبل البديهيات التي لا يستهان بها. وعلى النقيض من ذلك ففقدان البكارة عار وعيب ووضع غير مقبول وضرب في الصميم للمواصفات الإجتماعية الحسنة والمقبولة ويعرض الفتاة للإقصاء والنبذ. إذ يستثمر غشاءالبكارة على أنه مصدر للمكانة والمنطلق لسلامة الجسم والجتمع. [1]وأن الإحالة على البكارة في المجتمعات العربية والمجتمع الجزائري من الأمور المرغوب فيها من قبل الجنسين إذ ينظر إليها بأنها خاصية وميزة للزوجة الكاملة.[2]

مارست بكارة المرأة على الرجل في كل الأزمنة والأمكنة تأثيرات غامضة إلا أنها مرهوبة ومرغوبةفي الوقت ذاته.فلقد فرضت نفسها على منظومة التمثلات الإجتماعية بإعتبارها مقولة ترمز إلى كائن قائم بذاتهوهو ما فرضحمايتها. وداخل هذا السياق تندرج كل الطقوس الإحترازية والتطهيرية بأشكالها المقدسة والمدنسة التي تستلزمها البكارة وذلك الذي وضحته لنا المعطيات التي إستجمعناها من

[1]- مالك الشبل ، مرجع سبق ذكره ، ص84 .
2 - مالك الشبل ، نفس المرجع، ص79.

خلال المعاينة الميدانية و معايشة المجتمع المبحوث. التي تؤكد المكانة الخاصة التي لازال غشاء البكارة يحضى بها، فمن حماية الطقس السحري إلى الإطمئنان الطبي من خلال فحص قبل الزواج"**سرتفيكة**Certificat"للإطمئنان على سلامة البكارة خارج حدود اللعبة الجنسية. ففي مقولة البكر تتداخل دلالات البكارة والعذرية مع دلالات أخرى كالشرف والسمعة ورأس المال بكل أبعادها .

" بكري كانوا يصفحوا بناتهم قبل ما يبلغوا "قبل البلوع" باه يحافظو عليهم حتان يتزوجوا لكن ذرك الناس توعات وقرات وفهمت، تخلات عليه لكن باه تحمي عرضها وشرفها تدي معاها سرتفيكة من عند طبيبة النساء ديرهالها قبل ليلة الدخلة بيومين " باه اذا صرات حاجة تجبدها. (مقابلة رقم: 15)

- **البعد النفسي للبكارة**:يتمثل في الجاذبية الجنسية والنفسية، والتمسك اللاشعوري الدافع الى حق الليلة الأولى، وأن الإفتظاظ والبكارة أنثروبولوجيا وفق المتخيل الشعبي لمجتمع البحث دليل على المكانة الذكورية للرجل ورأسمال قيمي للزوجين بواسطته يسيطر الرجل على المرأة بإعتراف جمعي.

- **البعد الاقتصادي:**إرتبطت البكارة بالملكية الفردية وعدت رإسمال مادي للمرأة ورب الأسرة ، والمحددة بقيمة المهر المدفوعة.

- **البعد الأخلاقي والديني** : البكارة مصدر قوة وبرهان على رأسمال يستثمر في إعتلاء المكانة داخل العائلة.وأن الشرف والعفة والتقديس والكرامة الذي تحضى به المرأة العفيفة على إعتبار ان الإفتضاض منصوص عليه في النصوص القرآنية.[1]

وقفت البكارة وراء إبتداع مجموعة من الإجراءات الوقائية التي تحول دون الوصول إليها خارج إطار المباح والمشروع،كاحرمة العفة التي كانت تمنع النساء من الإستمتاع الجنسي ما قبل الزواج .و يدخل هذا التوظيف لما يحملهمن حيز رمزي يجري في جسد الأنثى بتبعية الحفاظ على سلامة البكارة وإمتلاك الجسد. وعليه مسألة البكارة طرح دائم لقلق الافتضاض.[2]

1- الهادي الهدوي، سوسيولوجيا المراةوالقيم،تساؤولاتسوسيولوجية في قضايا المراة، افريقيا الشرق،المغرب1987 ،ص111.

2- ماسليا الياد، المقدس والعاري: ترجمة عادل العوا، دار التنوير لطباعة والنشر والتوزيع، 2009، ص101.

تبين لنا بوضوع من خلال المقابلات التي أجريناها مع الشابات المقبلات على الزواج وأسرهن في مختلف المحطات "الخطبة **الحنة، الملاك، ليلة الدخلة، الحزام** " مصحوبة بمخاوف وقلق مبني على طقس التصفاح وقلق الإفتراع. ذلك المقدس مايزال ماثلاً في تمثلات الأنثى، بين الممنوع والمباح .فالناظم لتلك العمليات هو حكم الدم "**لايسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على حوافه الدم"** .والذي يتحقق من خلال عذرية الزوجة والمرهون ببروز الذكورة والصلاحية الإجتماعية .

2. العذرية بين متغيرات الحداثة والقيم المجتمعية:

إن عذرية المرأة ليست مسألة شخصية فقط بل هي ظاهرة إجتماعية تتدخل فيها عدة أطرافونظرا لأن هذه الظاهرة تسبب نوعًا من القلق الإجتماعي خصوصا حول غشاء البكارة، إضطرت النساء إلى ممارسات طقس "التصفاح" لحمايته والحفاظ عليه. وذلك من أجلأ تبقى المرأةعفيفة ونقية. وتضمن شرف وإحترام عائلتها. وبالرغم من أن هذه العمليات هي غير ضرورية من الناحية الطبية لكنها ممارسة حاسمة في أهميتها من الناحية الإجتماعية. إذ تقر المرأة الشاوية أن الحفاظ على العذرية يعطيها المكانة لدى زوج المستقبل إضافة إلى تلبية تطلعات الأسرتين " **الزوج والزوجة** " بالنسبة لليلة الدخلة.ورغم الإيديولوجيات الجندرية التي تعطي الحرية للمرأة في التصرف في جنسانيتها إلا أن العذرية مازالت تعتبر مصدر قوة للمرأة في المجتمعات العربية .[1] وإن العامل الأساسي والحاسم في الحفاظ على العذرية إنما تمثل في التنشئة الإجتماعية التي تحتوي على تربية دينية وثقافية قيمية وليست آليات ضبط فيزيقية "**التصفاح** "[2]

حسب" **نوال السعداوي**" أن تتبع جسد المرأة في مجتمعاتنا والحديثعنه يتم بشكل إثارة للمفاتن، فيزاح موضوع الجسد الأنثوي ضمن هامش الجنس فقط ، فهذا التصور الذي فرضته الظروف الإجتماعية منذ تاريخ بعيد فرض أن تكون المرأة جسد فحسب.إذا فالمرأة عبارة عن بناء إجتماعي مناقض لبناء جسد الرجل وذلك بهدف تحويل المرأة إلى كائن سلبي يستخدم جسده من أجل إرضاء الآخ ر.وبالتالي فالمجتمع

1- ابتسام غانممرجع سبق ذكره، ص91.
2- مها حسين، مرجع سبق ذكره ، ص 32.

يحمل الفتاة أعباء العفة و الشرف، لأنها تمتلك العذريةو تؤمن العفة في الجنس كقيمة خلقية مرتبطة بالمرأة وحدها دون الرجل، وهذا ما يدل على أن العفة ليست قيمة كما يراها المجتمع وإنما قانون فرضه النظام الإجتماعي القائم، و الذي ينص على ضرورة أن تحافظ المرأة على عذريتها قبل دخولها في مؤسسة الزواج بإعتبار هذه العذرية رأس مال رمزي و إجتماعي يضمن الكسب المادي الذي تحققه عذرية المرأة المصانة قبل دخولها في الزواج.و كذا الكسب المعنوي الذي تحققه هذه العذرية من خلال ضمانها للفخر والشرف و ضمان إحترام العائلة التي تنتمي إليها.[1]

حسب **" بيير بورديو Piere Bourdieu"** العالم الاجتماعي ان الأجساد بوصفها واقعًا متجانسًا و بوصفها مستودعًا لمبادئ الرؤية و التقسيمات الجنسية، و يتم هذا البناء من خلال عملية التنشئة الإجتماعية التي تعززمبادئ التفرقة بين الجنسين من خلال الطقوس المبررة بالفروق البيولوجية والفيزيولوجية الطبيعية رغم أن هذه الفروق في حد ذاتها هي نتاج بناء إجتماعي يسجل و يقرر رمزيا خصائص طبيعية معينة لا تقبل النقاش. وبهذا فإنه يسهم في آليات أخرى أهمها إدراك علاقة ضمن نسق من العلاقات المتناظرة و المترابطة في تحويل ما هو تعسفي في الناموس الإجتماعي إلى ضرورة للطبيعة.[2]فحسب المقاربة الأنثربولوجية فالمرأةوالرجل يستبطنان لاشعوريا سلوكياتهما نتيجة المجتمع الذي يعيشان فيه وذلك عن طريق عملية" **التنشئة الاجتماعية** " .

1- نوال السعداوي، مرجع سبق ذكره، ص17.

2- ابتسام غانمي، مرجع سبق ذكره،ص59.

خلاصة الفصل :

تعد المراة الشاوية الحارس الأمين على العادات الطقوسبما تحمله من مفاهييم ومعايير أخلاقية ودينينة ، والتي تتجسد من خلال ممارساتها الطقوسية التي تمارسها على الجسد الأنثوية الذي تبنى عليه القوانين وتقام عليه الأعراف والتقاليد في مجتمع ذكوري لا يعترف بالمراة الا وهي تابع له، وبالتاليفمن حقه وحفظها وصونها تبعا للمعايير الأخلاقية والدينية المدركة والمتعارف عليها متمثلةفي المرأة الشريفة ن في مجتمع يبنة على العفة والشرف ويعلي من شأن المرأة العفيفة وعائلتها ككل. انها قوانين تؤسس لبعد نفس- اجتماعي في تمثلات مجتمع البحث لمفهوم الزواج الذي تسيره مفاهيم سوسيو ثقافية ثابتة ومستمرة تجعل من عذرية المراة أساس إقامة هذه المؤسسة. ومن هنا تعطي أهمية لغشاء البكارة وتعتبره من مقاييس اكتمال الخلق وكنموذج للمراةالمشتهاة التي إستوجب الحفاظ عليها بإحطاتها بتراسنة من القواني والأليات التي تحميها وتحفظها، لما لها من قيمة في اعلاء مكانة الفرد "الزوج- الزوجة والعائلة وكل المجتمع . وبالتالي اختزال كل القواني والقيم والأعراف في قطرات دم كمقياس للكمال والمكانة والشرف لكل النساء في المجتمع المبحوث وفقا لما إتفقت عليه الجماعة وقبله الأفراد.

الفصل الرابع

المضامين الأنثروبولوجية للممارسات الطقوسية

مقدمة

للجسد دور جوهري في عملية الإتصال والتواصل وكشف هوية الأفراد، فجسدنا يتكلم عن إنتمائنا الحسيوالإجتماعية وأصولنا العرقية. ولا يقف التعبير الجسدي عند حدود التمييز بين الثقافات وإنما يتجاوز ذلك معلنا عن التميز بين الأجيال والأجناس كوسيلة فعالة للتعبير والتواصلوالانتماء.

سنحاول من خلال هذا الفصل تقديم قراءة هذا الجسد في تجلياته الطقوسية وفك شفراته الإجتماعية والثقافية من خلال دلالات ورموز الممارسات الطقوسية خلال الحدث الإحتفالي بكل مظامينها القيمية والعقائدية، وعليه فلقد تضمن الفصل الأول : الممارسات الطقوسية والرموز الثقافية المؤشرات والوظائف، حيث سلطنا الظوء فيه علىالممارسات الطقوسية بين التسلط اللاوعي و الإجتماعي من خلال الثوابت الثقافية التي تضمن استمرار الممارسة خاصة التويزة سر الفعل والتمثل ثم تتطرقنا في الفصل الثاني : طقوس العبور الدلالة والرمز حاولنا من خلاله الوقوف على دلالة تلك الأفعال والممارسات التي أوجدتها المرأة الشاوية وتصر عليها كرمز للهوية والإنتماء من يوم الحنة الى مراسيم الزواج وماتعلق بها من رموز " الاعداد، الحنة، الماء، الملح، الكمون..." المتعلقة بهذا الجسد الأنثوي .وإعادة إنتاجه في مجتمع الدراسة (باتنة) في ظواهره ال جمالية والسحرية. وأبعاده القيميةوالأخلاقية ، في علاقته بمفهوم العذرية الشرفوالجنسانية الأنثويةكما يتمثلهاالمجتمع. ونبين المنظومات الرمزية كمعطى ثقافي وواقائع إجتماعية دالةتحدد المكانة وترسم الخصوصية. بإعتبارها الواجهة التي يتم بواسطتها الإعلان عن الانتماء الثقافي والإجتماعي.

المبحث الأول:

الممارسات الطقوسية
والرموز الثقافية المؤشرات الوظائف

أولا:الممارسات الطقوسية بين التسلط اللاوعي والإجتماعي:

إن تواجدنا المكثف بميدان البحث داخل الحدث وخارجة جعلنا نقفا على بعظ مظاهر التحول والتغير التي لامست حياة الأفراد والجماعة، خاصة ما تعلق منها بعادات وتقاليد والزواج. والقيم والمفاهيم المرتبطة به. وما أنتجه التقدم والحداثة في تغييرالبعض منها وإختفاء البعض الآخر بالسم العصري الحديث وإن لم نقل يهددها بالزوال كما نقله لنا الفاعلون الإجتماعيون. حيث أكدوا لنا أن هذا التبدل والتغير يهدد عاداتهم وطقوسهم التي يعتبروناها إرثهم الثقافي المادي واللامادي، كماغير في بعض عادتهم وتقاليدهمالإجتماعية خاصة تلك التي مست جانبهم الإحتفالي بالزواج، كإستجابة للتغيرفي الجانب الثقافي الرمزي والمادي الإقتصادي الحاصل في المجتمع و تماشيا مع الظروف الإجتماعية التي تغيرت نتيجة التعليم والعمل، وتطور وسائل الإعلام. لكن في المقابل نلحظ تشبثهم العميق بأصالتهم ومعتقداتهم وممارساتهم الطقوسية خاصة الحميمية منها واللسيقة بمفاهيم الشرف والحسب النسبويبدون رغبة في إبقائها وحضورها. وإنما تبرز كرموز تنم عن المكانة والتفرد وتدافع عن القيم وتعلي من مكانة تلك العادات والتقاليد، الأمر الذي يدفع بهم إلى المحافظة عليها كآليات وأساليب تحفظ ماضيهم وتراثهم، وتبقي عاداتهم وتقاليدهم حاضرة في كل مشهد إحتفالي، وتساير متطلبات العصر مع الحفاظ على رموزها ومعانيها.

لازال ت الأسر والعائلات بمنطقة باتنة والتي شملها عملنا "كيمل، اريس، تكوت" تحافظ على تلك الرواسب الثقافية التقليدية المتوارثة عبر الأجيال . مقابل ثقافة العصر الحديث ،وأحيانا تجمع بينهما.وبذلك فهي "تقاوم التغير الثقافي وتنزع إلى الثبات" وهذا الثبات النسبي للعادات والتقاليد ومسايرتها للعصر يساهم في إنتقال الإرث الثقافي بحمولته القيمية والعقائدية لجيل الشباب، عن طريقأساليب التنشئة والمشاركة في اللحظات الاحتفالية. الذي أكسبهم خبرة وإستعدادات ثقافية جديدة تتماشى مع الثقافة التقليدية وفق ثقافة الزمن السابق لجيل الأجداد والآباء.ومقاومة التغير الثقافي للممارسة الطقوسية التي تعد المرأة الفاعل الأساسي وحجر الزاوية فيها، فهي تعمل على إستمرارها وحضورها في كل إحتفالية زواج وعبر

محطاته المختلفة منذ بدأ التحضير إلى حين الإنتهاء، بكل ما تتضمنه الممارسة الطقوسية وبنيتها من معاني ومراسيم تفرض على المنخرطين الإمتثال لها ولمفاهيمها ورموزها.

1. التويزة المفهوم الأنثروبولوجي :

إستمرار العلاقات الحميمية في نطاق الاسرة والقرابة تظهر جليا في الحياة اليومية وتتجسد في التحضيرللإحتفالات والإعراس، فهي تعد من المظاهر التي تستوجب التوقف عندها والوقوف على ما تبديه الاسر من تماسك وتعاون ومساندة، تتضح من خلال العمل التشاركي الجماعي منذ بدأ التحضير الى حين إتمام العرس، كما أخبرتنا كل النساء بذلك.

" تتعاون العائلات الباتنية في التحصير للعرس بداية بالبربوشة "الكسكسي" تعيط مولات العرس للنساء تاع لا فامي وإلا الجيران باه يتعاونوافي الفتيل "التحضير" وتعاونهم الصبايا. وهي فرضة للبنات يتعلموفتيل البربوشة.وتتعالى الأغاني والزغاريد والنقاشات في أمورهم الخاصة ومشاريعهم.،ماننساش كاين ساعات تتخطب لبنات، ممكن النساء تعجبهم طفلة تخطبها لولدها والا لخوها او سلفها(اخ الزوج)، كيما انا بنتي تخطبت في دار سلفي كي كانو يوجدو في القاطو(حلوى).عجبتهم خطبوها. (المبحوثة رقم:01)

" نتعاونوا في خدمة **القاطو*** ..ونوجدو **للشخشوخة*** و **الزيراوي***. منين يقرب العرس بأسبوع أو اسبوعين .تتعاون الصبايا (البنات) مع النساء الكبار. وهي فرصة للصبايا يتعلموا الحوايج التقليدية قبل الزواج، لان الطفلة القافزة هي الي تتعلم كل التقاليد قبل ما تتزوج وتقوي المحبة بين العايلات (مقابلة رقم: 16)

ماأثارإنتباهنافيهذهالمرحلةالتعددوالتنوعفيالعاداتوالطقوس في هذهالليلةمابينالعصريوالتقليدي . والملفتللإنتباههوذلكالتعاونبينالأسرقبلالإحتفالوأثناءهوبعده،والذينشبههبالتويزة التي كانت تقام في أوقات الزرع والحصاد قديما.

*

*الشخشوخة: انظر في الملاحق الصورة رقم

*الزيراوي : طبق تقليدي يرافق افراح المنطقة ، انظر في الملاحق الصورة رقم

يتجسد التعاون بدءًا من **"تحضير الكسكسي والزيراوي والحلويات ،خياطةلاجهازالعروس** "قبل الدخولفيالإحتفالثميستمرفيأوجالإحتفال من كلا الجنسين ومن مختلف الأعمار، بمشاركةالعروسين، تعبيرًاعنرغبةالأهلفيالمعاونةفيإتمامالزواج، وأحيانا يتجسد التعاون من خلال تقديم الهدايا التي تقدم للعروسين.سواءتقديممبالغماليةللعائلةأوبعضالهداياالتيتدخلفي تأثيثالمنزل **(تلفاز،ثلاجة،زربية،اواني منزلية....)**او**"قطعة ذهبية للعروس"** أويساهم أصحابها في الوليمة **(شاة، خظار، فواكد)** وغيرهامنأنواع التعاون المادي والمعنوي. المتعارف عليها في هذا المجتمع تبعاللقرابةوالمكانة،وأحياناتردالهديةبالهدية، وتتواصل التحضيرات في المناسبات القادمة لترسم صورة من التعاون الواضحة في لحظة الحدث الإحتفالي.

إحتفالات الزواج من بين أكثر الظواهر الإجتماعية التي يظهر فيها التكافل الإجتماعي، حيث مكنتنا المشاركة والتواجد ضمن الإطارالإحتفالي من رصد كل انواع السلوك من جهة ، وقراءة الجانب السيكولوجي ودلالاته من جهة أخرى. إنها شكل من أشكال التساند الوظيفي، حيث ترتبط وظائف العادات والطقوس ببعضها البعض في المجتمع وتتحدد وظيفة كل عادة بناءًا على العادات الأخرى ووظائفها التي تعمل على إشباع حاجات الأفراد المتنوعة المتسقة من ثقافة المجتمع ككل.وأن هذا اللقاء التعاوني بالنسبة للمشاركات(النساء) فرصة للتحاور وتبادل الخبرات.ومناسبة للتعلم والتعاون و تنتشئة البنت على أساسياتهتا. حيث تربى على خصوصيات متعلقة بدورها المستقبلي بدءًا من أعمل المنزل اليومية والمناسباتية التي تحدث بين الأسرخاصة تحضير المؤونةأو ما يسمة **بالعولة**.*وعليهاالتعاون لايقتصر على سن وإنما هو مساحة شاسعة للقاء والتعلم ونقل الخبرات من جيل الأمهات والجدات الى الأبناء من خلال ترسيخ قيم التعاون والإعتماد على التقليدي والمحلي في كل الممناسبات والالإحتفالات والتأكيد على قيمة العادات والتقاليد في حياتهم .

*العولة: كل ما تحضره المراة من كسكسي لكي تحتفظ به وتستعملع طيلة السنة .

إن هذا الإجتماع والتعاون يشبه أشكال التويزة *كممارسة تعاونية لاتزال حاضرة في منطقة باتنة. و لم تزعزعها هبة العصرنة وتغيرالذهنياتوطغيانالفردانية التي عرفت طريقها إلى المجتمعالجزائري. فمناسبات الزواج تقرب الأسر كثيرا وتربط أواصر القرابة من جديد. وعليه فالمرأة الشاوية الوعاء الحامل لهذه الممارسات التقليدية والناقل لها والمحافظ عليها من خلال " **الكسكسي، وتحضير الحلوة والزيراوي والشخشوخة..."** خاصة "**البربوشة** " الحاضر في حياة المجتمع الشاوي اليويمة والمناسبتية. وأن هذا الإعداد والتعاون والتشاركوماهو حاصل إلا صورة مصغرة من صور التعاون والتضامن والتكافل الإجتماعي التي تتضح في المناسبات اليومية والإحتفالات خاصة الزواج. وباقي المناسبات الأخرى، وذلك بحرص من النسوة علىأ تظل مرافقهم في الأفراح. فلا يمكن للنظام الإجتماعي الإستمرار إذا إنتهت وظيفته، وعلى هذا فإن أي تغير في إحدى أجزاء النظام سيتتبعه بالضرورة تغيرات في باقي الأجزاء الأخرى التي ترتبط به من أجل تحقيق التوازن والتكامل ، وعلىبيه إنهذهالمظاهرالتيوقفناعليهاإمتزجفيهاالعصريبالتقليديليرسملوحةفسيفساءتنمعنالتنوعالثقافيوالحضاريفيلحظةا لعبورالطقوسية. إنها عقد التزام بالقيم المتعلقة بالتسامح والتضامن والإندماج الإجتماعي والثقافي. يفقد الفرد إستقلاله الذاتي ليندمج في الجماعة والمجتمع ويوظف قيمه الثقافية والدينية والعرفية عن طريق الحضور والمشاركة، وأن الإختلافات فيسلوكات الأفراد تذوب وتضمحل في الحشد، وتجد مبررًا لها بفضل الذوبان فيالجماعة، والإتصال المؤسس للتوازن النفسي والإجتماعي. وأن لها دور كبير متعلق بالموروث الثقافي المتوارث من الأجيال السابقة كونها تمثل نظامًا دقيقًا للعلاقات الإنسانية داخل الجماعة الواحدة. فتتيح لهم ما يجب فعله ومالهم من حقوق وما عليهم من واجبات إتجاه أنفسهم وإتجاه الآخرين. وهذا يؤدى إلى الكثير من الإستقرار والإنضباط داخل الجماعة الواحدة وفي علاقتها بالجماعات الأخرى.

2. **المونة(المصروف) البركة والتقرب:**

لايقام أي احتفال ليلة الحنة إلا بوليمة.تقام على عاتق أاهل العريس من خلال إحضار" **المونة"** أو مايسمى بـ **"المصورف"**الذي يحظره أهل العريس إلى أهل العروسيومًا قبل ليلة الحنة .من أجل تحضير

*التويزة/ هي التشارك في الاعمال ، وعرف منذ القدم في الحصاد والعمل الفلاحي ، وتقزوم به النسوة في الاعراس لتتم اعمالها بسرعة .

الوجبة التي يدعى لها الأهل والأقارب والجيران والتي عادة تكون وجبة عشاء.هذه اليلة المفصلية في حياة العروسين تبنى على أهل العريس،أي أن كل ترتيباتها وإنجاحها يقوم على أهل العريس بما يقدمونه لأهل العروس من مستلزمات مادية ومعنويةوالمتعارف عليها بـ **"المونة"**. والتي هي تشمل كل المستلزمات الخاصة بوليمة يوم الأحتفال (العشاء)الذييعدخصيصا لهذا اليوم، سواء كان مقترن بيوم الملاك" **الخطبة-الفاتحة"**أو بيوم الزفاف"**العرس"**غيرأنه ونظرًا للتغيرات الإقتصادية والإجتماعية التي مست هذا المجتمع على غراراباقي المجتمعات والمجتمع الجزائري، فان المونة " **المؤونة** "المتعلقة بيوم الخطبة(فاتحة، ملاك) إستغني عنها، وعوضت بمبلغ مالي يحسب ضمن المهر، أي أنها أصبحت تقدما نقدا لوالد العروس قي يم الخطبة ضمن مبلغ الشرط . وبقيت المونة مقتصرة على يوم الزفاف فقط .

ينتقل أهلالعريس من المقربين ألىبيتالعروس يوم المونة وهو اليوم الذي يسبق يوم الحنة بيوم والذي كان قديما يوم"الثلاثاء "على إعتبارأن يوم الحنة سيكون "بالأربعاء" ويوم الزفاف "الخميس" ليكون يوم الحزام ا"لجمعة". غير أن التغيرت السوسيو- ثقافية والتكنولوجية التي حدثت في المجتمع غيرت في مفهوم الأيام فلم يعد مجتمع المبحث متقيد بيوم لإقامة إلاحتفال سواء كان خطبة أو زفاف. نظرًا لظروف العمل والدراسة والسفر وغيرها من الغلتزامات التي وضعت الأيام في محك التخلي رغم ما تحمله من مفاهيم ودلالات قدسية وطقوسية . فمظاهر الحداثة فرضت على الأسر إختيار اليوم المناسب للعائلتين والاقارب وأحيان يحدد يوم الزفاف وفقا لإختيار العروسين(العمل) وعليه فإن الأيام كلها أصبحت تمثل فضاء للإحتفال.وعليه يتجه أهل العريس إلى بيت العروس يوما قبل ليلة الحنة آخذينمعهم المؤونة والتي تحوي أنواعمن "الخضاروالفاكهة" وكلمايلزملتحضيرالعشاءالمعدخصيصا للحدثبالإضافةالىكبش" **شاة "** يليق بمقامالعروسوأهلهاأومايسمى **"بشاةلحلال** ".ففيهذااليوموهذهالممارسةتتباينالمظاهرالإحتفاليةالتي تسهرالنساءعلى إشهارها، تتباهى وتتنافسفيتبيانخصوصيةوعاداتوتقاليدتخصهموتنمعنإنتمائهم (**سرحانيبوسليماني،توبي،جبايلي**) ، وتعد المؤونة المجال الواسع لإبراز المكانة بإعتبارها الجانب الأساسي المهم الذي يبنى عليه الإحتفال بليلة الحنة.

" دارلعريس يجيبو**المونة**كل ما يزم "بطاطا، طماطم، بصل، جريوات ، خيار سلاطة، زيتون، حمص ، سكر، قهوة،الصابون، والديسار تاع الموسم" الاالثوم والفلفل والزلاميت (عودالثقابا، الولاعة) ما يجبوهمش خاطر فال مهوش مليح،ويزيدو معاها دراهم الخبز، خاطر بكري كانوا يجيبوا الدقيق وذرك عوضوه دراهم (النقود) ومعاهم شاة لحلال وهي الأهم. (مقابلة رقم:11)

إن ليلة الحنة تبنى على الذبيحة وإسالة الدم. حيث يقومأ العريس بذبح الكبش(**شاة**)، أو ما يسمى **"بشاة لحلال"** التيأحظروها ألى بيت العروس، يقوموم بذبحها أحد الذكورمن عائلة العريس إما " **الأب أوالأخأوالجد أوالعم** ".كما وقفنا عليه بأنفسنا في كل المناسبات ، أعتبرت الشاة الرهان الحقيقي لنجاح الزواج وفق ترتيب مستعارتحرصه العادات والطقوس بكون الذبح من قبل أهل العريس كما هو متعارف عليه أمر مهم ومبارك بإسالة الدم كطقس مستحب ضمن تراتبية الشعائر الدينية.

الشاة يذبحوها دارلعريس وينحولها الكبدة قبل كل الاحشاء، دار لعروس يقسمو الكبدة على نصفين ، نصف يطيبوه لدار لعريس ياكلوها الرجال الذين قامزا بالذبح والناص الباقي تاكلو لعروستيوم عرسها... بعدها يقدم اهل العروسة الغداء وكي يحبو يروحوا (يرجعوا) يهزوا معاهم الشورة تاع لعروس أوالجهاز،خاطر لازم يبات الجهازفي دارلعريس ومعاه الذهب . واذا حبت ام لعريس تنعت الجهازللمعاريض كيما بكري... واذاخافت على عروستها تقفل عليه في الشومبرة تاع لعريس. امالذهب تنعتوا كامل باه تتفاخر بالذهب الي شراتو لعروس،وغدوة كي يروحوا للحنة يعاودو يرجعوا الجهازوالذهب معاهم للعروس باه تحني عليه وينعتوه في الحنة لأهللعروسة اوتنعتوامها بعدما يروحو ادارلعريس " .(مقابلة رقم :13)

أن هذه الذبيحة أساسية في عملية الإنتقال من العزوبة إلى الزواج. فعملية الذبح فداء لأهل الزوجة جراء أخذ بنتهم، ففي مقابل ذلك تقدم الشاة ويراق الدم،و أن إختيار من بين الأعضاء الكبد ليؤكل دلالة على التشارك في المحبة . هذه العادة المترسخة في المنطقة تعتبر رمز للحب والمحبة، حيث أن أكل " **الكبد"** يشعرهم بحب العروس، وكأن الحب محله الكبد وليس القلب، فحسب ما يتضح في تعبيرهم وحوارهم وأقوالهم (**إبني كبدتي)** فموضع المحبة كبد والمعني بالحب قلب. فإن كان القلب دلالة الحب فإن المحب

تستوطن في الكبد، وفي ذلك تشبيه الى إن العروس محبوبة تسكن الكبد. أما الفدية بإراقة الدم فإنها تشبيه بطقس الذبح الديني فيي الفداء بكبش، وهنا يتضح تشابك الديني مع الطقوسي في لحظة العبور.

3. **جهاز العروس "الشورة" الهيبة والمكانة:**

إن حديثنا عن جهاز العروس أو "**الشورة**" كما تسمى في مجتمع البحث،يعتبر الخطوة التي تلي عملية الذبح، حيث عندما يغادر أهل الزوج يغادرون محملين بجهاز العروس" الشورة" التي ما هيغرث للزوجة من بيت أهلها.و يتضمن الإنتقالإحتفال و تباهي وتفاخر بما تحمله العروس من بيت أهلها الى بيت عريسها من لباس وأثاث يزيد في رفعتها بين قريناتها وعند أهل زوجها، حيث تأخذ معها كل اللوازم من (**لباس أدوات تجميل، اثاث، اغطية، افرشة**) وغيرها من المستلزمات التي لعبت الحداثة والتحضر دورًا كبيرًا في إيجادها وتنوعها بإستمرار. وتبعالتغيير ملامح الحياة الإقتصادية والإجتماعية لمجتمع البحث زاد من أعباء تجهيز العروس لما يتطلبه الجهاز من أموال طائلة من إجل لبسها وإغراضها الخاصة التي تتنافس فيها العرائس يومًا بعد يوم مقارنة مع المهر والمحدد والذي يشتمل كل التكاليف (ذهب – جهاز).

إن التقدم والعصرنة مس كل البنى وغيرها بما فيها الأسرة كاحد هذه البنى وأهمها. حيث أنه وأمام تسونامي التغير السوسيوثقافي ما يزال مجتمع البحث يتماشى وفقا لما تمليه عليه العادات والتقاليد بما تفرضه من إمتثال لقانون الجماعة والعرف، وتبعا لذلك فإن العائلات الباتنية إتفقت على أن يكون حمل الشورة أو جهاز العروس بيوم قبل ليلة الزفاف كما هو متعارف عليه، وعليه فإن الجهازالذي يحمل كل معاني التفاخر والتباهي والمغالاة والإشهار بحمله ليلة قبل الزفاف، محمولا أمام الأهل والأقارب بات مرفوض ومستهجن من طرف العديد من الأسر لما له من تبعات تتنافى ومبائ الأخلاق والدين والعرف وتفاديا لهذه المغالات ونبذها فلقد باتت الأسر بمنطقة الشاوية تستهجن هذه الممارسات وعملت على التخفيف من التثاقف والتغير الذي بات يهدد إرثهم الثقافي وماضيهم الضارب في عمق إنتمائهم للأجداد. وبناء على ذلك فلقد تقرر نقل شورة العروس ألى بيت زوجها قبل يوم الحنة في تكتم وسرية لا تتعدة أهل العروسين وأعتبرت الشورة أمر خاص بين العائلتين ولامجال للتفاخر والتباهي المفرط الذي قد يسبب

عواقب وخيمة، ومنه فإن هذه الأخيرة(الشورة) تؤخذ الى بيت العريس في عشية اليوم الذي يحضر فيه اهل الزوج "**شاة لهلال والمونة** " ومنه فإن من مظاهر التغير التي باتت واضحة التكتم على الشورة التي تحمل بعيدا عن رقابة الأنظار. ويتفق مجتمع البحث على أن هذه العادة التي تضرب إقتصاد الأسر وتزيد في أعباء وتكاليف الزواج لابد من ضبطها بقانون التكتم والتستر وإبعاد طابع الإشهار والمغالاة. وهو الأمر الذي إتفق عليه عرش بني بوسليمان في منطقة تكوت والموضح في و"ثيقة الزواج" حيث إحتوت الوثيقة في موادها ما ينظم بعض الممارسات منها ماتعلق بعادة الشورة.كضابط ومنظم لمجريات الإحتفال، وإعتدت به كل الاسر التي تدخل في إطار القرابة والمصاهرة لما يحققه من ضبط للمراسيم وتعديل الممارسات وتنظيمها والذي إرتاحت له العديد من الأسرممن شملها عملنا **(كيمل، اريس، وبعض مناطق مدينة باتنة)** (انظر المادة 05 وثيقة الزواج)

> " الشورة تاع لعروس نهزوها قبل ليلة الحنة، يعني ندوا المونة وشاة لحلال ونجيبوا الذهب والجهاز. في ستر ربي خير من الفوخ والزوخ ...وباه تتهنى لعرايس من المعاندة تاع بعظاهم (التقليد) خاطر كلش غالي والشرط ما يدير والو.... 18 مليون وين يلحقو للذهب والى اللبسة او الفراش خاصة اذا كانت لعروس ماهيش خدامة .... وين يلحق باباها مسكين .... علا بيها كل عروس تجيب قدرها خاصة الشورة ولات تتهز في السترة. وذرك الحمد لله راحت العادة تاع هزان الشورة مع لعروس يومالعرس– الزفاف-" (مقابلة رقم: 05)

إننا عندما نتحدث عن جهاز العروس أو ما يسمى بالشورة في منطقة باتنة فإننا نقصد جانبًا اقتصاديًا وآخر ثقافي يتطلب منا التحليل الأنثروبولوجي في سياقه السوسيو ثقافي، وأننا بذلك نقصد المرأة، ما تنتجة وتعيد إنتاجه. وعليه فإنها تعمل على انتاج ثقافتها بما يخدم كينونتها ومكانتها، وتعمل على إعلاء قيمة أهلها بالشورة التي تمنحها مكانة عند أهل زوجها. وأن كل هذه المحطات التي وقفنا فيها ملاحظين ومشاركين بينت لنا عمق التحول الحاصل في المجتمع المدروسوالتي مست عادات وطقوس الزواجفي كل محطاته

خاصة ما إقترن بشورة العروس وما تبينه من مغالاة ومباهاة والتي جسدت لنا صور" **الانسلاخ الثقافي"**التي تحدث عنها نور الدين طوالبي. والتي تسيرها العادات وتقومها وفقا لمعطياتها المتوارثة.[1]

ثانيا : الممارسات الطقوسية والرموز الثقافية الثابت والمتحول :

1. **ليلة الحنة ثنائية الجمالي والسحري:**

اليوم الفاصل في حياة العروس بما تحمله من دلالات اجتماعية ونفسية هو يوم الحنة ، والتي تهيمن عليها العادات والتقاليد بشكل واضح لتتعدد الممارسات الطقوسية السحرية والجمالية معا. والتي يختار لها يوم محدد. حيث ما تعارف عليه المجتمع المحلي من الأيام هما يومي " **الاثنين والخميس** " ، لدلالاتهما الدينية في تمثلاثت الأفراد. ولكن اليوم ونظرًا للتغير الحاصل في المجتمع منه العمل والدراسة ...الخ تغيرت النظرة للأيام، فلم يعد يعني لمفهوم اليوم رمز أوإرتباط فكل أيام الأسبوع صالحة لاقامة أي إحتفال سواء خطبة أو زواج.

> " الحنة تاع لعروس مليحة تكون اما بالاثنين أو لخميس ...هاذ اليومين ملاح في الدين لان الرسول صل الله عليه وسلوم زاد بالثنين وحثنا على صيام الخميس، علا بيها ولينا نديروا فيهم لعراس، لكن اليوم تبدل كلش ماوليناش مقيدين بيهم، لان الناس تخدم وولادها تقراء وبالاك لعريس يكون خدام ومايقدرش علا بيها رجعت لعراس تصلح كل يوم ، نديروا برك النهار الي جاء يصلح الأيام كامل تاع ربي" (مقابلة رقم:10)

الحنةالحاضروالمرافقلكلمظاهروأفراحالعرسالشاويفيمدينةباتنة.

حدثتتخللهمظاهرإحتفاليةمتنوعةتبديفيهاالمرأةعاداتهاالتيورثتهاجيلابعدجيل،فتتنوعالألبسةوالأطعمةالمعدةخ صيصًالهذاالحدث .

وتظهرالعاداتوالتقاليدلترسملوحةفنيةمتعددةالمظاهروالألوانالطقوسيةمفعمةبالمعانيوالدلالات.

[1]- نور الدين طوالبي،مرجع سبق ذكره، ص24.

هي أمسية تجريفيبيتالعروس وغنيةمنالناحيةالتراثيةبالعاداتوالطقوس.

تجريمراسيمهاوفقالماتعارفتعليهالجماعةوتوارثته الأجيال

منطقوسلمشاركةالعروسفرحتهاوالاطلاععلىالجهاز الذيتحظر هعائلةالعريسلهامن" **مجوهرات،لباس،عطور، .**

."غيرانهذاالإحتفال

ومحكومبترتيباتدقيقةيستوجبإتباعهاتسلسلهامن"**المونة،ربطالحنة،الكورتاج،ليلةالدخلة** "كلهامحطاتتطلبتمناا لإقامةفيمجتمعالبحثورصدكلالتحركاتالعامةوالخاصةداخلالفضاءالاحتفاليوخارجة.

ومنذالتحضير **"الكسكسي، الحلويات الزيراوي الجهاز"** وغيرهامنالأعمالالتي تبنى

علىالتشاركالوجدانيبينالأسروالعائلات . والتيلاتزالالكثيرمنالأسرتحافظعليها لحد اليوم.

فهيمعبرةوموجهةبشكلمباشر منطرفالمعطياتالثقافيةوالسيكولوجية . لمالهامنحضوروجدانييرقىلمعنى القرابةواللحمةالمجتمعية.

في هذه الليلة تتهيأ العروس لوضع الحنة، حيث خصص لها يومين.الأول في بيت أهلها قبل يوم الزفاف ويسمى **"حنة باباها"**. ثم تضعها في اليوم الذي يسبق ليلة الزفاف ويسمى " **ليلة الحنة"** ، والذي أخذت منه تسمية اليوم بيوم الحنةأو **"يوم ربط الحنة"**. ولا نستثني الرجل أيضا من هذه الليلة، الذي يحتفل بها ليلة العرس بعد قدوم العروس،غير أن هذه اليلة إرتبطت بالمرأةوإعتبرت عند المرأة الجزائرية والعربية عامة رمزاً من الرموز المعبرة عن فرحها وسعادتها.لما تعطيها من مهابة وتزيد ها مكانة بين أهلها.فتصبح محل أنظاروإعجاب الحاضرين ومن جهة ثانية فقد تصبح سهلة الأذى ممن يريدون بها الشر من حسد أو سحر. وعليه فإن ليلة الحنة التي كانت تتم في جو من الفرح التشاركي أصبحت لها اليوم ممارساتها وطقوسها الخاصة، حيث تحاط العروس بحماية وحراسة شديدة خوفا من أن يؤخذ من حنتها ويستعمل لأغراض سيئة من تفريق او حرمان من الانجاب... الخ.

إنها ليلة طالما مثلت فسحة للتنفيس والفرح، هي اليوم أقرب للزوال، وإن وجدت فقدت بعض معانيها . فقد لفها الغموض وطوقها الشك والخوف، وعليه تحرص المرأة خاصة الأم والأخت على حماية العروس وحراستها طيلة ليلة الحنة ومنها توكل مهمة التحنية (**الحنة**) لإحدى قريبات الزوج والتي يوثق فيها وحبذا

لو كانت الأم أو الأخت نظرًا للحرص الشديد على حياة العروس مستقبلا . والتي تعمل على وضع الحنة وفقا لترتيبات معينة يختلط فيها الديني بالطقوسي كما لاحظناه.

2. **ربط الحنة الطقوسي والديني:**

الحنة من النباتات التي عرفتها المجتمعات الانسانية منذ القدم، حيث ورد استعمالها من طرف الفراعنة في واد النيل، إستخدموها في الجمال والصحة [1]وإقترنت بها ليلة الحنة، الليلة التي تستعد فيها العروس لمغادرة بيت أهلها إلى بيت زوجها وما يرافقها من ممارسات طقوسية. فلقد أ عتبرت بالنسبة لها رمزاً من الرموز المعبرة عن فرحها وسعادتها .وحاضرة في تقاليدنا حضورا قويًا في كل المناسبات الإحتفالية "**زواج، ختان، أعياد** " وصولا الى ليلة الزفاف، بل وأصبح لها ليلة مخصصة تسمى **"ليلة الحناء".** بما تتطلبها من ممارسات وما تحمله من رموز ترافق وتعبرعلى هذا الإحتفال والمفعمة بالمعاني والدلالات. يختلط فيها المقدس بالمدنس والديني بالطقوسي. ولا نقدر مهما حاولنا أن نجردها من معاينها التي تضرب في عمق الإنتماء الهوياتي لهذا المجتمع.

هذه الليلة التي تسبقها جملة من التحضيرات والترتيبات لإنجاحها، تعد جزءًا أساسيًّا من الطقوس الإحتفالية التي ترافق الزفاف داخل العوالم الحميمة للنساء، وتوتبط بإستمرار تداول القيم الرمزية التي تمزج الدين بالثقافي لتمنحها نوعًا من القداسة . فحضورها مهملتخضيب يدين ورجلين العروس بلون الحناء المتعدد الألوان والأشكال المرسومة، هي عنوان البركة والفأل الحسن والإستبشار، إذ أن تخضيب يدين العروس"**ليلة الحنة** " بالحناء يؤدي إلى الفرح ويفتح باب السعادة والبركة والطمأنينة في الزواج ويرافقه الإحتراس من إستعمالها في إفساد هذا الفرح مثلما تتفق وتتعارف عليه كل النساء.حيث تحرس العروس على حمل "**الملح والسنوج"** لدرء العين الشريرة و كوقاية وحفاض على زواجها ، حيث تحمل العروس طيلة أيام العرس سرة من "**الملح والكمون الأسود(سنوج)"** وبالأخص عند دخولها بيت الخلاء

[1]- مرفت العشماوي، مرجع سبق ذكره، ص263

وعند الخروج من بيت أهلها منعًا لأي مس أوأذى قد يلحق بها، ويحتل الملح مكانة بالغة الأهمية بأعتباره وسيلة إعتقادية هامة لطرد الشياطين أو صرف القوى المحيطة التي يخشى على العروس منها.1

"الحنة صعيبة لازم على العروس تخليها في يديها... انا مثلا كي خرجو دار لعريس غسلت يديا من الحنة... قالولي النساء فال مهوش مليح عليك، بصح انا مسمعت قولهم... واليوم دفعتها غالية عشر"10" سنوات زواج بلا أولاد بسبت الحنة الي نحيتها من يديا ومخليتهاش.خرجت في حزامي وظنايتي "الانجاب" ولحد الساعة ما رزقني ربي باذراري. "(المبحوثة رقم:07)

ينتقل أهل العريس في يوم الحنة إلى بيت العروس، حيث يجدون أم العروس في إستقبالهم وهي ترش عليهم ماء الزهر وحفاوة الإستقبال تتبعها زغاريد من الطرفين والغناء على وقع **البندير***... حيث تقدم لهم القهو والشاي وأنواع من الحلويات المختلفة الأشكال والأذواق. غيرأن العائلات الباتنية تصر على " **الزيراوي**" الذي يقدم مع "**اللبن**" سيدا المائدة على مرالعصور من دون منازع. إلى جانب "**المقروض**"* **وأنواع من الحلويات والمشروبات.** أما وجبة العشاء فهي لاتخرج عن (**شربة فريكأو الجاري، بربوشة، سلاطة، فواكه حسب الموسم**) حيث يحافض المجتمع المحلي عليها كوجبة تقليدية، تنافس كل أنواع المأكولات والحلويات العصرية مثل التي تقدمها بعض الأسر وترافق إجرائها في قاعات الحفلات.، وما تبعها من طرق التقديم العصرية، ورغم هذا التحضر والتبدل إلا أن كل المناسبات التي حضرناها سواء أقيمت بالبيت أو في قاعة حفلات تصر على ان يقام العرس بطابعه التقليدي "**بربوشة- جاري، زيراوي**" ولا مانع ان يرافقه العصري، وإن تواجدنا إالى رفقة المدعويين جعلنا نقف على تفضيلهم للتقيدي، فهم يعتبرون كل هذا التحضر مغالات وتبذير ويصرون على أن الإحتفال الذي يتم بطرق تقليدية له نكهة خاصة.

[1] جيمس فريزرن، مرجع سبق ذكره ، ، 2014

*البندير : اطار دائري مصنوع من خشب، مغلف بجلد الماعز، في جنبه ثقب ، يوضع فيه الاصبع عند الضرب علي البندير

*المقروض: حلويات تقليديت ، تحضر من السميد المظاف له السمن او الزبدة ، يشكل معينات محشوة بالتمر وبعد الطهي تعسل وتقدم

" لعراس تاع ذرك مافيهم حتى بنة، تقولك رحت للوتيل hôtel والاروستورون restaurant سيرتو الماكلة " طواجن، زيتون، رولي، سلاد فروي، مسي دوان" ومزية مزالنا نديروا في لعراس البربوشة والجاري والمقروض والزيراوي ... الحاجة المليحة كي مزالو محافظين على عاداتهم حتى ولو تلقاي العرس في صالة حفلات تلقاي كل التقاليد حاضرة سواء في الماكلة والا الغناء وكلش... انا تبالي لوكان خلاو غير البربوشة والجاري والله ايجي العرس هايل، خيرلهم من التبذير والفوخوالزوخ، مهي عاداتنا ما تخرج علينا ، غير نعاندو ونقلدو.ومبعد نشتكي " (مقابلة رقم: 13)

كل هذه التصريحات فيها رفض شديد لكل مظاهر التغير التي طالت عادات وطقوس الزواج بما فيها الأكل المقدم ليلة الحنة الذي لامسه بعض التغير تماشيا مع الحداثة وما رافقها من المظاهر والتي بدت واضحة في ليلة الحنة من تقديم لأنواع الأطباق العصرية ، ولكن رغم مظاهر التغير إلا أن التقليدي حاضر ماثل من دون منازع سواء أقيم الإحتفال بالمنزل أو بقاعة حفلات إلا أن وجبة العشاء تقليدية متعارفعليها وإن رافقها بعض العصري فإنها محببة لأنها تضرب في عمق العادات وتشعرهم بالراحة .

تتعدد وتتنوع مظاهر التغيروالثبات في هذه اليلة ما بين العصري والتقليدي ويظهر الإنتماء والإنسلاخ خاصة في لحظة الحنة (حنة لعروس) حيث بدت العديد من الممارسات التي تعتبر دخيلة على المجتمع المحلي. ففي بعض الأسر تحولت ليلة الحنة ألى سهرة فنية صاخبة ، حيث يقتحكم العريس حلقة النساء ليجلس إلى جوارعروسه التي تتزين بزي عصري إمام محلي أوعربي أو أروبي، وعلى حسب درجة الإنسلاخ يكون المظهر، حيث يحمل العريس لعروسه باقة ورد إما تكون طبيعية أوإصطناعية يرافقه عدد قليل من الذكور (أخ، صديق، زوج أختعم....) لتظهر كل مظاهر التقدم والتغير والحداثة .

إن المشهد الإحتفالي بليلة الحنة تتجسد فيه كل مظاهر التثاقف والإنسلاخ الثقافي التي تكلم عنها نور الدين طوالبي في كتابه **"الدين والطقوس والتغيرات"** فالتثاقف يبدو كموقف إنفعالي بمكوناته السلبية والإيجابية في نفس الوقت،وأن الأحكام المتناقضة تتواجد معًاويمكن لأحدهماأ يحل محل الآخر[1]

هكذا يظهر التقاطب بين رغبة الإبقاء على العادات والتقاليد وبين مسايرة الركب والأخذ بالحداثة والعربية، وعليه فإنه على الرغم من جلوس العريس إلى جانب عروسهوتبادل لبس الخواتم" **الخاتم**"وما يرافقه من تقطيع لقالب الحلوى piece mentee المتكون من عدة طبقات وتبادل الأكل منها و شرب العصير أو الحليب كل حسب الإختيار. وما يتخلل هذا المشهد الإحتفالي من صور فوتوغرافية من هواتف المدعوات أوعن طريق آلة تصوير وفديو من قبل متخصص يحضرونه خصيصا ليرافقهم لتخليد المشهد اللإحتفالي ويؤرخ الحدث للذكرى. إلا أن التقليد يزين الحدث ويزيده متعة من خلال إصرار النساء على الغناء على صوت البندير في صفين تشترك فيهما الصبايا والبنات الصغيرات رفقة الأمهات. كما تصر كل المدعوات على الرقص على أغاني محلية (شاوية)على صوتdj رقصاتهم الخاصة والتي يظهر فيها الضرب بالأرجل مثل رقصة (الرحابة) أو يقال (أن المرأة تسوج). كلها مظاهر تدل على التشبث بتقاليد وعادات المجتمع المحلي،وأن المتتبع لمشاهد الإحتفال من خلال الصور والفديو يخيل إليه أنه يشاهد مقاطع لحفل فني ساهرأو فيلم أعدت مشاهده وضبطت.

لقد تجسدت القطبية الثقافية بوضوح في حفلة ليلة الحنة رغم الإستهجان البادي من الأولياء لكل ما هو غريب عن تقاليدهم التي ورثوها عن أبائهم وأجدادهم أمام إصرار العروسين على تخليد ليلتهما تبعا للتغير والحداثة. غير أن الحديث الجانبي مع الحاضرات بين لنا رفضهن الشديد لهذه المظاهر التي لا تمت لا للدين ولا للأخلاق ولا للعادات ولا للتقاليد بالصلة وإنما هي تقليد غربي أجوف يستهدف قيمهم وتقاليدهم. ومنه ظرورة العودة للعادات التي تتبنى الحشمة والحياء للتقليل من هذا الاستسلام والتي تضمنتها بنود وثيقة الزواج.

[1]- نور الدين طوالبي، مرجع سابق، ص20,

ليلة الحنة تتنوع فيها الممارسات حيث تحرص العروس على أن تظهر جمالها للمدعوين وتسمى ليلة **"دفوع الجهاز"** نسبة إلى حمل أهل العريس الجهاز خلال ذهابهم ليلة الحنة إلى العروس، وتسمى النسوة اللواتي يحملنه**بـ "دفاعات الجهاز"** ويقولون **"ندفعوا الجهاز"**نسبة الى الفعل. أي تسليمه للعروس أما النسوة اللواتي ذهبنا مع الجهاز يطلق عليهن إسم " **الفزعة**". حيث يتم وضع الجهاز أمام العروس وإشهاره أمام الحاضرات. لكن اليوم أصبحت العائلات تتكتم على اللباس وتشهر الذهب فقط ليتم تلبيسه للعروس أمام الحاضرات من العائليتن .

تروح الفزعة لدار لعروسة ليلة الحنة ويدوا معاهم الجهاز والذهب... وكاين الي يدي معاه **"الطمينة"** والا **"الرفيس"** وذرك ولا بوكي الورد"باقة الورد" هو الرسمي .... وكي يدخلوا لدار لعروس يستقبلوهم بالغناء.

"بسم الله وبالله قدمنا رسوه الله°°°°° بسم الله وبالله قدمنا رسوه الله
الصلاة على النبي °° الصلاة على النبي°° الصلاة على النبي
الصلاة على النبي محمد وعلي °°° الصلاة الصالية والنجوم العالية"

"يستقبلوهم بماء الورد والغناء... بعد القهوة والزيراوي واللبن يجيبو لعروس من البيت الي قاعدة فيها مع صحاباتها ...يجيبوها بالغناء والزغارين على صوت البندير، وزوج بنات هازين الشمع وحدة على اليمين والثانية على اليسار وحدة من عايلتها (اختها) والثانية من عايلة العريس(اختة، قريبته) كي تدخل لعروس يقعدوها مقابلة القبلة ويحطو طبق "صينية" لبتات (القشقشة)قدام لعروس والجهاز يبداو بالذهب ينعتوه بالحاجة " مسايس،سنسلة، خاتم،فلايك" وهوما يغنو والرجال يضربو البارود."(المبحوثة رقم:05)(صورة رقم:06)

" طفلة صغيرة دارت المقياس اتهلاو فيها ياخيار الناس "
" صغيرة مابهاها شعرها غطاها °° بغاتو وبغاها سنيا باباها "

هذا الجو الإحتفالي تعلوه الزغاريد والاغاني المهللة الفرحة بالعروس، ويختلط فيه الديني بالطقوسي **" البسم الله ، التوجه الى القبلة في جلوس العروس، الصلاة على النبي"** للعبور إلى الحياة الجنسانية بإعتراف المشاركين.

تتمايز في هذه الليلة الطقوس والممارسات مع الحرص على أن تتلون يدين العروس بالحناء سمتها الظاهرة. ففي بعض الأسر يشارك العريس عروسه هذه الليلة وفي البعض الآخر من الأسر تُقْصِيه العادات والتقاليد التي تبنى على الحشمة والفصل بين الجنسين في المجالس وما إلى ذلك من العادات الدخيلة على المجتمع الجزائري عامة ومجتمع البحث على وجه الخصوص. حتى باتت بعض الأسر تتبنى قوانين صارمة إزاء هذا التغير الذي أباح الإختلاط في حفلات الزواج تحت لواء الحداثة كما أخبرنا الأهالي. ومنه الإتفاق على التقليل من التغيرات والتحولات الجوهرية التي مست مجريات هذه المناسبة بفعل التغير الإجتماعي والثقافي الذي يضغط على الفاعلين الإجتماعيين لتبني قيم ثقافية يفرضها التثاقف والمتعلقة بعادات وتقاليد مجتمعات أخرى،تحت تأثير العولمة والحداثة إو بفعل الإتصال الثقافي ووسائل الإعلام.

يوم الحنة يشكل لوحة تشكيلية تتلون بألوان الممارسات التي تتنوع بين التقليدي والحديث حسب مستوى الأسرة وإنتمائها، والشيء الملاحظ أن هذه الليلة تتفق على أن " **الخاتم وربط الحنة"** ميزتها الحقيقية. وعليه فإن بعض العائلات والأسر عملت على إيجاد ضابط لهذا التغير الذي يهدد قيم المجتمع وثوابته الأخلاقية والدينية، حيث تعد وثيقة الزواج التي تعود لعرش بني بوسليمان من بمنطقة " **تكوت" ببانتة** باعثًا على ضبط هذه التغيرات بما يتلائم مع العادات والتقاليد التي تخضع لها كل الأسر بالمنطقة والمنتمين بالمصاهرة أو القرابة أو الجيرة من أجل أن يبقى الإحتفال مسايرًا لعادات الأجداد ومحافظا على القيم الدينية والأخلاقية التي أوجدته.

ليلة الحنة تتشابه في دزاير كامل، قبل ما تحني لعروس تلبس الخاتم. احنا في عرشنا التوابة في اريس العريس ما يدخل ما يلبس خاتم ، يماه والا جداه او

اخته الي يلبسو للعروس الخاتم ويحنولها على زوج 02 لويزات، والنساء تغني وتزغرت، ومبعد ايحجبولها النساء ويحطولها الدراهم.(مقابلة رقم: 08)

يالحنا لحنينة جابوها الرجال ○○○ وتحني لعروسة عينين الغزال

يالحنا لحنينة جابوها الرجال ○○○ وتحني لعروسة وتربي لولاد

تحني لعروس على اللويز(قطعة نقدية من الذهبية) وقدامها " **طبق**" او سني لبتات" **القشقشة** " كي تبدا تحني للعروس تحط الحنة دورو (دائرة صغيرة) في اليد اليمنى وتزيد فوقها قطعة لويز وتربطها بقطعة قماش سواء كان لونها **ابيض** او **وردي***، ثم تنتقل الى اليد اليسرى وتحنيها باللويز وتربطها والنساء تغني" (مبحوثة رقم:03)

هذا يوم الفرح عنا ديروا للعروس الحنة○○○اعطاها ربي ما تتمنعريس زين ولد حلال

مدي يدك للحنا نعطيك ذهب صافي○○○ يا لالة لبنية بنت العرش الوافي

مدي يدك للحنا مدي يدك ○○○ طفلة صغيرة وفرحانة مدي يديك

هذه اليلة تتنوع فيها الممارسات الطقوسية بتنوع الفاعلين الإجتماعيين وإنتماءاتهم الجغرافية والقبلية غير أنها تتوحد حول مفهوم واحد أن العروس لا بد أن تخضع لسلطة العادات وتسايرها ومنها جاء معنى" **السيرة**" ويعنون بها سلطة العادات، حيث تصر كلا العائلتين عل حظورعاداتهم " **سيرتهم**" للإبراز ذلك الإنتماء والتمايز "**سرحاني ، توبي، بوسليماني، جبايلي**" حيث تقوم بمهمة وضع الحنة في كفي العروس" **الحناية** " وهي في العادة أم العريس أو أخته أو إحدى قريباته التي يعرف عليها البركة والحظ الوافر. خاصة الإنجاب كفأل خيرعلى حياة العروس القادمة.

" كي تكمل الحناية من التحنية، تنحي قندورة من الجهاز تاع لعروس وديرها كيما الشاش فوق راسها وتهز شوية من القشقشة * وتحطها في وسط الشاش وتحكم القشقشة من وسط الشاش تعطيها للعروس وتقلها خبيهم هذوا ولادك تاع

* نعود الى رمزية اللونين "الأبيض والوردي" في فضل الممارسات الطقوسية في الحديث على رمزية الألوان ودلالاتها في الفصل الثالث.

*قشقشة: تحتوي على العديد من الحلوى مضاف اليها الكاوكاو ، الجوز، اللو، العلك، التمر،، تحضره المراة في كلتا اعائلتين خصيصا للمناسبة لكي تاخذه لبيت العروس من اجل مراسيم الحنة ، اما ام العروس فتقدمه للمدعات . تعتبر القشقشة امر ضروري وهام بالنسبة للعروس .

المستقبل كوليهم انت وراجلك، ثم تاخذ حفنة من القشقشة ترميهم للحاضرات والي جاتها حبة حلوة من العازبات في حجرها من الصبايا تلحق لعروس وتتزوج بعدها، و يبداو النساء يحجبوا للعروس (الحجبة/ النقود) يحطو لها الدراهم في سدرها. "(الصدر) . (مقابلة رقم:15)

إن ما تقوم به النسوة من وضع الحناء على كفي العروس بمثابة إعلان وإشهار للتخلي عن مرحلة وإستقبال مرحلة أخرى، تؤهلها للإنخراط في عالم النساء. وبذلك فالحنة وليلة الحنة عنصر فاعل ومهم في طقس العبور. وذات طابع روحي يحضر الفتاة لموعد الزفاف بمشاركة الصديقات اللواتي يضعن قليلا من حنة العروس ليكون دورهن بعدها. حيث كانت الحناية قديما لما تنتهي من حنة لعروس تضع قليلا من الحناء المتبقية في أيدي البنات اللواتي من دون زواج " **العازبات** " لكي يتزوجن بعد العروس.ثم تقوم صبيتان بالرقص بالشمعتان حتى تنطفئانمن جراء الرقص.وهو تعبير عن حياتهما التي هي بيد الله وعليه تعارف مجتمع البحث على أن الرقص بالشموع حتى تنطفئ لوحدها دلالة على ان الحياة تستمر حتى تنطفئ بالموت أي فراق القدر، وأنه لوأطفئت باليد أو الفم "النسفعليهما" يعد نذير شؤم على حياة الزوجينونذير فراق وإنطفاء حياتهما. وعليه فإن الرقصات المتمايلة يمينا ويسارًا إلى أن تنطفئ هي حفاظ على حياة العروس من أي أذىً ، ثم يوضع فوقهما حبة حلوى(دراجي) دلالة على السعد والفرح والسرور،ثم تحتفظ بهما الزوجة من يوم الحنة الى يوم الزفاف حيث يعاد إستعمالهما في رحلة الإنتقال إلى بيت الزوجية . وأن الاإحتفاظ هذا يرميإلى بقاء العشرة وان حدث لهما مكروة وتم استبدالهما بشموع أخرى يوم الزفاف فإن ذلك دلالة على حياة غيرآمنة، فالإحتفاظ بالشمعتين لسيق بإستمرار العشرة الزوجية. وعليه الإحتكام لهذه المعتقدات يغذي الإحاسيس والمشاعر المتعلقة بمفاهيم وقيم أنتجها المجتمع وإستدمجها في نظام حياته وأصبحت قانونه المسطر الغير مكتوبة .لكن هذه العادة تخلى عنها مجتمع البحث لعدة اعتبارات، منها الخشية من إستعمالها (**الحنة**) في إيذاء العروس. و مع ذلك فإن الفأل بالعروس بقي مستمر وعليه إبتدعت النسوة طقوس جديدة تحاكي التقليدي كأن تتسابق البنات للجلوس في مكان العروس، أو تلبس خاتمها وأحيانا تتعرض البنات للقرص من العروس أو لبس حذائها وغيرها من

المظاهر ... ولقد وقفنا على بعض مظاهر الإنسلاخ الثقافي من خلال رمي العروس لباقة الورد إلى الخلف لتتسابق عليها الصبايا والتي تمسك بها يكون دورها في الزواج .

" كانت "**الحناية**" بكري تحط الحنة في يد لعروس والي يتبقى منها تزيد تحني بيه للصبايا (**غير متزوجات**) باه يتزوجوا بعد العروس" **تعرس**"، انا كي حنيت من حنت مرت خويا تخطبت بعدها بشهرهذي عادة مجربة وتجيب الراجل.او تلبس الطفلة الجبة تاع لعوس بعد الحنة تبات بيها الحنة ، اوتجلس في مكانها. بربي يجيها مكتوب، وكي عاد الحنة صعيبة، لازم الحناية تمسح الصحن تاع الحنة مليح باه ماتبقاش فيه الحنة، يعني تعجني شوية حنة قدرما تحطي للعروس دوروا(قليلا) في يدها ماذا بينا ما يبقى والوا في الصحن.ونمد وا الصحن لأم العروس تخبيه باه تتطمن على بنتها وتتهنى الحناية من أي اتهام ،حتى يديها تمسحهمليح، علا خاطر الحنة تاخفيها في السحر. (الصورة رقم:07)

الحديث عن الحنة وليلة الحنة يقودنا للحديث عن مظاهر التغير التي مست هذا الجانب الجمالي رفيق المرأة منذ القدم، حيث إنتشرت اليوم العديد من منتجات الحنة المختلفة الألوان والأشكال التي تبنى على تلاقح الثقافات، فلقد إستبدلت الحنة التقليدية بأكياس جاهزةوأضحت العروس أكثر توقا لمثل هذه المنتجات العصرية رغم إصرار الأمهات على الحنة التقليدية لفوائدها الطبية والتجميلية والإعتقاد ببركتها.فلقد تحولت وظيفة الحنة من تخضيب اليدينإلى رسومات دقيقة مختلفة الأشكال والأنواع والألوان تشبه الوشم الذي طالما تزينت به الجدات (العجائز) قديما. حيث أننا لاحظنا الإنتشار الواسع للتزين بالحنة على شكل وشم يغطي مناطق في الجسم نتيجة للتقدم وما أفرز التغير السوسيوثقافي من مظاهر جديدة تتعلق بوشم الحنة على مناطق عديدة من الجسم (الظهر، الصدر اليدين، الارجل ..) تتجلىتتوق العروس اليها. حيث ترسم على جسدها نقوش ورسوم التي تستعملإ من خليط الحنة التقليدية أو تشترى من محلات خاصة أو تستعمل العروس ما يسمى " **بالحرقوص التونسي**" الذي غالبا ما يحضره لها الأهل أو الأصدقاء من رحلاتهم ألى تونس.أو من المنتوج المحلي الذي سمى (المدة) الذي تتحصل عليه من الأهل نتيجة المصاهرة أو الدراسة. فرغم التزين بهذه النقوش الاأن باطن يدين العروس ورجليها يلونان بالحنة

التقليدية التي تضعها ليلة حنة باباها وبعدها حنة العريس ليلة ربط الحنة، لتبقى الحنة رمز الجمالوالفرح والسحر.

لقد توشمت" **الوشم**" المرأة الشاوية منذ القدم كغيرها من النساء العربيات والإفريقيات وإن العروس اليوم بوشمها للحناء تحاكي ذلك الوشم الذي يزين وجوه الجدات. فالوشم سمته الجمالية تجعل من العروس مركز إهتمام ويبرزجمالها ومكانتها بالإظافة إلى ما تلبسه وتتزين به. فإذا كان الوشم يبرزها فإن ذلك لخاصية الحنة الجمالية.إنها ممارسة قديمة في منطقة الأوراس كما أشارت له Thèrèse Riviere على أن الوشم إشتهرت به المرأة في العديد من المناطق في الأوراس عند"التوابة،أولاد داود، السراحنة"على اختلاف أشكاله وأحجامه ورموزه التجميلية [1].

ج. التصديرة الأناقة والتمايز:

الحديث عن الحنة وليلة الحنة يقودنا للحديث عن مظاهر التغير التي مست هذه الليلة بكل مجرياتها خاصة ما تعلق بلباس العروس أو ما يسمى " **بالتصديرية".** حيث تلبس العروس أنواعًا من الألبسة التي حظرتها خصيصا لهذه اليلة، والتي تتنوع ما بين المحلي" **قبايلي، قسنطيني، عنابي عاصمي، شاوي، وهراني.."** وغيرها من مناطق الجزائر ألى العالمي "**هندي، خليجي، مغربي، تونسي و الاروبي..."** هذه العادة الدخيلة على مجتمع البحث، حيث تتزين العروس لتظهر للمدعوات في أبهى حلة بأنواع الحلي والثياب وكأنها ملكة بالتصديرة وببروز المكانة وتعزيزها [2] خاصة عند إرتدائها للتاج الذي أصبحت تفضل إرتدائه العديد من العرائس كمظهر جمال وتمييزها من بين النساء الأخريات المدعوات للعرس، كما أن العودة إلى إرتداء الرديف هو عودة لماضي المرأة الشاوية التي كانت تلبس الخلخال (الرديف) في رجليها وتتزين بالوشم في مناطق من جسدها.

" لعرايس تاع اليوم يلبسو الجبين والا التاج التقليدي ، ويزيدو " **الرديف"** في رجليهم خاصة كي مع **الملحفة** تولي هايلة ، كي تشوفي لعروس تعجبك

[1] -Thèrèse Riviere ,,o bsit67

[2]-نور الدين طوالبي،مرجع سبق ذكره، ص114.

احسن من كي تلبس العصري، وكي تزيد توشم بالحنة. تولي لعروس متميزة وباهية، وتولي الحنة وشام يوالم لعروس(مقابلة رقم:09)(صورة رقم:08)

إن طقس الحناء يعني دخول مرحلة الإستعداد للرحيل ومغادرة العروس للبيت الذي تربت فيه وقضت أجمل أيام عمرها مع أخوتها ووالديها وكل الأهل، حيث تبيت الليلة الأخيرة في بيت أهلها غريبة تحرصها إحدى قريبات العريس (**الجدة، العمة، الخالة)**، تتجسد في هذه الليلة كل ألوان الطقوس وتتنوع حسب العائلات. حيث يتفق مجتمع البحث على مبيت النقافة (**الحارسة**) التي تحرس العروس لأنها أصبحت ملك عائلة الزوج، فهي تعتبر غريبة في بيت أهلها منذ أن وضعت الحنة في كفيها ولبست الخاتم في أصبعها. لقد دخلت في ممتلكات الزوج ومن واجبهم الحفاظ عليها وحراستها إلي حين إيصالهاإلى زوجها. ولكن رغم أن هذه العادة لم يعد لها بقاء إلا أننا رافقنا بعض العائت من منطقة " **آريس وتكوت** " تجسدت فيهم المحافظة على هذه العادة وإفتخارهم بها، ويستندون في ذلك إلى تداخل الديني مع الطقوس في الحفاظ على الأمانة إشارة إلى العروس بأنها أمانة. فبعد ليلة الحنة هي أمانة لابد من أخذها إلى صاحبها (الزوج)و منه الحفافظ عليها فتحرص النقافة على حراسة العروس وجهازها معًا. فتنام وبجنبها(العروس) والجهاز معا.

" لازم علينا نباتو مع جهازنا ومرتنا"الجهاز والعروس"، خلاص ولات ملكنا ولازم علينا مانخلوهاش وحدها هذي عادتنا من بكري ولليوم نديروهاالا اذا مالقيناش شكون نخليوه والا العروس من بلاد بعيدة،انا مثلا كي جيت نجيب مرت بني مابات حتى واحد عندها لان مالقيتش شكون نخلي ،والنية هي كلش."
(المبحوثة رقم : 05)

إن هذه الطقوس الممارسة من أجل إنجاح ليلة الحنة تحوي العديد من الرموز والدلالات التي يبديها الفاعلون الإجتماعيون، ويصرون عليها لما لها من مكانة في نفوسهم، حيث تتجسد في كل مظاهر

التشارك والقبول والإندماج في وضع جديد ومركز جديد، وعليه أن مد العروس ليديها لوضع الحنة ما هو إلا إعلان صريح وإشهار للجميع بقبولها بالزوج وعائلته الذي يليق بمكانته ونسبها وعائلتها بما توحي كلمات الأغاني وتدلي به من مفاهيم .

مدي يدك للحنة نعطيك ذهب صافيoooo يا للالة لبنية بنت العرش الوافي

تتغنى العائلة فرحا بها وتشهرإعترافهم بالهدية التي تليق بها (**نعطيك ذهب صافي**) فخرًا بنسبها (**بنت العرش الوافي**) والذي أقيمت حوله الوليمة ، وإستدعي إليه الأهل لمشاركة العروسين الفرح. ذلك التصريح العلني بقبول الإمتلاك وتبادله بالرضى الذي تبنى عليه الحياة وتتشارك العشرة ، بعد مشاركة قطع الحلوة وشرب العصير، إنها دلالات على القبول في مد اليد للخناء ، وأن اختيار اليد كونها دليل العطاء والأخذ والقبول بمباركة الأهل والأقارب.

القراءة الانثربولوجية للطقس الإحتفالي تحمل العديد من عالامات التمايز و التميز للمرور الآمن إلى مرحلة أكثر إرتقاء ونظج ، وعليه فإن الإنسان لا يتخلى عن مرحلة ويندمج في مرحلة أخرى إلا بطقوس تؤمن مروره ، وذلك الذي تجسد في ممارسات المرأة الشاوية بكل ما تظمتنه من من مفاهيم ورموزودلالات والتي ما تزال ماثلة في الوجود الإنساني وأن انسلاخها لا يبدو أنه نهائي وحاسم.[1]

[1]- مرسيا اليا، المقدس والعادي، ترجمة عادل العوا ، دار التنوير للطباعة والنشر والنتوزيع،2009، 89.

المبحث الثاني:

طقوس العبور والثوابت الاجتماعية الدلالة والرمز

- **أولا. طقس العبور المؤشرات والوظائف:**

1. مراسيم الزواج بين الثبات والتغير:

يوم الزفاف أوكما يسمى" **العرس"** طقس من طقوس العبورومحطة هامة وفاصلة في حياة العروسين، يأخذ مظهرًا إحتفاليًا مثقلا بالممارست والرموز والدلالات تتعدد أدواره الإقتصادية والإجتماعي والجمالية في يوم إنتقال العروس وقريباتها إلى بيت العريس و الأسرة الجديدة التي ستنتسب إليها . هذا الإنتقال ترافقه ممارسات طقوسية عديدة، تصرعليها المرأة لما تحمله من معاني تحقق العبورالأمن وتجسد الهوية والشخصية والمكانة سواء الفردية منها أو الجمعية. وأن هذا الإنتقال يفرضعلى العروس الخضوع لسلطة العادات والتقاليد خاصة الطقسية منها والتي تربت عليها تعرفها وتؤمن بها، وإستدمجتها في ذاتها عبر التنشئة الأسرية وتطلعت على خفاياه من حديث النساء ومن السلوكات التي تمارسها المراة ن وما برافق هذا الإنتقال من عادات وتقاليد متوارثة عبر الأجيال.

أ. موكب العروس :

تغادر العروس بيت أبيها في موكب رهيب تتعالى فيه الزغاريد والغناء ويمتزج صوت النساء بصوت البارود وبكاء العروس وأهلها على هذا الفراق السعيد والمحزن، على فراق إبنتهم التي تربت لسنوات بينهم. هو يوم مثقل بالمعاني حيث تخرج العروس باكية بحرقة تذرف دموع الفراق للبيت الذي تربت فيه، ويزداد بكائها نسبة إلى الزواج داخلي أو خارجي، حيث أن هذا الأخير يزيد من موقف الفراق والحزن هي أهلها،ويزيدها البكاء تألقا وبهاء ومكانة. فحسب" **مالك الشبل"** فإن البكاء خاصية وميزة لشخصية الزوجة الكاملة الأوصاف.[1]ويتبع هذا الخروج أو المغادرة العديد من الممارسات والطقوس.

تخرج العروس من بيت أبيها مغطاة الوجه (**مستورة**) إشارة الى " **السترة"** ، فتلبس إما **"برنوس" الذي اقترن قديما بجناح البرنوس والغته وثيقة الزواج (المادة)**

[1]مالك الشبل، مرجع سبق ذكره، ص79

او **"حايك"** يغطي كامل جسدها وفستانها الأبيض والذيأقترن بمفهوم السترة والحشمة والحياء . [1] حيث كانت النساء ترتديه قديما عند الخروج من المنزل، وإلى جانبها على اليمين واليسار صبيتان تحملان االشمع وقبل تخطي عتبة الباب تتنوع الممارسات والطقوس بحسب الإنتماء، غير أن المتفق عليه في مجتمع البحث أن يسلم الأب إبنته للزوج عند عتبة الدارأو قد يكون الجد أو الأخ أو الخال، يسلمها الى عريسها وتتبعهما تلك الصبيتان حاملتان الشموع وباقي النسوة، تتعالى حناجرهم بالغناء والزغاريد وعلى طلقات البارود تركب العروس وقد يركب معها العريس أو تركب معها تلك الصبيتان ، وذلك حسب درجة التثاقف او التسك بالتقليدي. هذان هما المظهران الغالبان في كل العائلات التي تواجدنا معها . ثم تنقل العروس على متن سيارة مزينة ويرافقها داخل السيارة **"أب أو جد"** العريس. لكن بفعل التحضر والتمدن إختفت العديد من العادات والممارسات الطقوسية التقليدية حيث ان الغالب مرافقة العريس لعروسه على متن سيارة واحدة إما الى بيت الزوجية اين يقام العرس(الأهل)، أوإلى قاعة حفلات أعدت خصيصا للإحتفال .

نستقبلو لعروس بالحشيش لخضر وعادة يكون دبشة خضرة وإلا
عرف نعناع أو أي نبات اخضر، وزيدوا نرشوها بماء الزهر... كي
تدخل هي وأهلها والي جاو معها. ونقولها (أرواحي ليا....أوراحي ليا
يا لبنيا بالمال والذرية) ونزيد نلوح على المحفل **البتات** أو ما يسمى
القشقشةفال مليح على العروس لأنه فيها تلقاي(تجدين) الحلوة
بأنواعها والسكر والكاوكاو والجوز واللوز والتمر.... وغيرها يعني
كل إلي فيه حلو باه تولي الحياة حلوة (مقابلة رقم:03)

تستقبلأم العريس موكب العروس وهي تحمل بيدها نبات أخضر **"دبشة او نعناع"** وهي تشير بها ألى العروس قائلة **" أرواحي ليا يا لبنية بالمال والذرية"** ، وتتعالى الأغاني المستقبلة للعروس بالفرح والدعاء.فالغصن الأخضر روح الأشجار وروح الطقس. فهو متجسد في روح الشجرة التي تبارك للنساء في ذريتهم. ففي شمال الهند إنها رمز الخصب. وان هذه الممارسات هي شفرات إجتماعية وثقافية متفق

1فلتن شريف- الأسرة والقرابة-دراسات في الانثروبولوجيا الاجتماعية –دار الوفاء لدنيا الطباعة،الإسكندرية، ط1-2006،ص 27

عليها ومنه فالنبات الأخضر طقوسيا يرمز الى الإخضرار والحياة المثمرة.[1]ثم تتعالى الأغاني عاليا تصف العروس وتثني عليها وعلى نسبها لما تحمله من معاني وتوحي بالمكانة. (مبحوثة رقم: 06)

"آي لا لي لا لي سعدي بالنسب الغالي"

"فرسان الخيل هزوا لمكاحل سارو في اليل اداو الزين وراحوا"

"ياعين الحجلة ماسعد ايامها يجعلها مبروكة على الي جابها"

هذه العادات والممارسات والتقاليد بينت لنا أنالمجتمعيأخذرموز الحياةوالسعادةمنالطبيعةالتييعيشفيهالكونهمجتمعرعويفيالماضيلهصلةوثيقة بالطبيعة وعناصرها **(حيوان نبات)** مفتخرينبهذهالحمولةالرمزية. المستمدة من رموزالطبيعة وعناصرها، ذلكالذيورثهالأبناءعن الأجداد ويتماشى ويساير التقاليد حيث أن العائلات تصرعلى القشقشة المعدة في البيت خصيصا. رغم إنتشار في الأسواق العديد من الأنواع والاشكل والاحجام المعدة خصيصا للحدث، إلا أن الشيء الذي شد انتبهنا هو إصرارالمرأة(**الجدة/الأم**) وحرصها على أن تحضرالقشقشة في البيت برفقة الأهل وبمشاركة الأطفال خاصة حيث يتشاركون جميعا في تحضيرها وجمعها وتوزيعها.مما يعتبرهذا الفعل مساحة شاسعة لتمرير العادات والتقاليد بحمولتها الثقافية. وإن هذا التعاون والتشارك يعتبر بمثابة رسائل خفية تمرر للجيل (الأطفال) لترسيخ التمسك بالعادات والحرص عليها حينما يكبرون. حيث يكون الإجتماع في بيت العريس (**غرفة النوم**) طيلة أيام العرس لتحضير القشقشة وغيرها من التحضيرات. لأنها حسبهم فأل خير على العروسين من جهة ومن جهة ثانية لكي لا تترك غرفة العريس فارغة خوفا عليه من أي أعمال السحر والربط والأذى. فحسب إعتقادهم أن العروسين ضعيفين طيلة فترة الاحتفال ومن السهل إختراقهم من العالم الغيبي وعليه فإنهم يجدون في هذه العادات والتقاليد الحماية والحصانة من كل أذى أو شر.

1حسن ايراهيم عبد العظيم الابعاد الاجتماعية والرمزية للممارسات الجسدية، تحليلي سوسيولوجي لظاهرة ختان الاناث، نقد وتنوير مجلة محكمة تربوية فصلية محكمة ، العدد 03 شتاء سبتمبر يناير فبراير .2015 ص164

تعمل المرأة الشاوية على إعادة أنتاج عاداتها الموروثة والممارسات الطقوسية خلال مسيرة هذا الحفل الهام في حياة الزوجين. و تشغل الطقوس موقفا داخل مجالات التجلي الرمزي والمقدس والذي تتباين محطاته منذ وصول العروس إلى بيت عريسها وما تتطلبهمن الإمتثال لقوانينه الخاصة بإعتبارها أضحت تابعة لهم ويحكمها عرفهم وقانونهم" **العتبة، ليلة الدخلة،الحزام"** لتتوج على مملكتها بعد الدخلة.

ب. طقس والعتبة:

إن عملية العبورعلى العتبة تلفها معتقدات مثلما تضبطها قواعد وطقوس متنوعة بشكل ملموس ليصبح الطقس مقدسا وإلزاميا يتطلب إحترامه لحظة المرور.[1]

قبل أن تدخل العروسإلى بيت زوجها لا بد لها من المرورعلى العتبة.والتي تتطلب طقوسا خاصة، حيث تستقبلها إم العريس أوإحدى قريباته بطبق" **صحن**" فيه الزبدة التقليدية (**دهان**) وقبل تخطي العتبة إلى داخل البيت تقوم بحمل قليل من الزبد (الدهان) وتقوم بوضع القليل منها في أعلى العتبة. ليبقى زواجها عاليا ومستمرًافي حين تطلق النساء الزغاريد وتتعالى الأغاني المرحبة بها وبأهلها، والتي تعدد خصالها ومحاسنها الجمالية والخلقية وعلو حسبها ونسبها، وتصف مكانتها عند أهل زوجها بوصفها كنز أحضره الرجال.

> " كي توصل لعروس لدار راجلها قبل ما تدخل تحط الدهان في العتبة باه يرضاو عليها صلاح الدار وتولي حياتها مهنية ، العتبة صعيبة والي ما يديرش النية تخرج فيهفي سيرتنالعرايس كامل الي قاريةوماهيش قارية كي تدخل لدار راجلها تحط الدهان في العتبة يالوكان عتبة تاع الصالة. انا مثلا دارو عرسي في الصالة لكن درت الدهان في العتبة " (مقابلة رقم: 10). (صورة رقم:09)

تصر النسوة على طقوس مرافقة لهذا الدخول خاصة تجليس العروس إلى القبلة حيث يحضر الديني مع الطقوسي، وما بين طقوس العتبة وطقوس الجلوس خيطان رفيعان الإعتقاد في السحري الغيبي الذي يعتبرونه صُلاح **(أهل الدار)** والديني البركة والإقتراب من لله في إستقبال القبلة.

[1] - نور الدين الزاهي، المقدس والمجتمع، افريقيا السرق المغرب،2011، ص76ص66.

" ياي سعدي فرحي دار خويا عمرت °°°° نهدي بوكي نوار لحباب جات تبارك
ياي سعدي فرحي دار خويا عمرت °°°° جبنالو بوكي نوار لميما ربي يكمل

تحتل عتبة الدار حيزا هاما ضمن الطقوس الممارسة، وتقترن بالدار (عتبة الدار) وتعبرعنها **"لْعتبة"**هي إنتقال من فضاء خارجي إلى فضاء داخلي وحسب " **بورديو"** أن أول دخول للدار يعد تهديد لسلامة العالم الداخلي حيث تضم رمزين:

- **رمز الإنفصال** عن عتبة باباها " **واش يخرج لعروس من دار باباها "** يرافق هذا الإنتقال والمرور ذرف الدموع والبكاء، فتزف العروس بالدموع في موكب مهيب وكأنها ماتت.إنه موت رمزي فيعائلتها الأبوية وانفصال طقوسي بإنتقالها الجسدي من اللاخصوبة إلى الخصوبة.
- **رمز الإندماج**عند عتبة زوجها **" أرواحي ليا يا لبنية بالمال والذرية"** يرافق الإنتقال إستقبال **"بماء الورد والنبات الأخضر والزبدة والقشقشة"** مكونات أساسية للعبور والإندماج مستخلصة من الحياة الطبيعية البحث ومن عناصر الخصب والحياة المثمرة والتهياى للإنجاب.

2. **ليلة الدخلة التكتم والاشهار:**

الطابو الذي تحيط به المحرمات والممنوعات، ليلة الدخلة طقس عبور بالمتياز وامتحان حقيقي للزوجان لانهما مجبران على اثبات اهليتهما"عذرية- فحولة" وهومن المراحل الطقوسية التاسيسية والانتقالية بعد الخطبة، والخط الفاصل بين العذرية والرجولة وبين الشوق والخوف.

للبكارة والرجولة في الوسط الإجتماعي تأثير على الإنجاز الذكوري، وهو ميزة العبور من العزوبة إلى الزواج. ويتعلق الأمر بعملية الفض الخاضع للحكم الجماعي[1]،وهي المدخل الرسمي والعملي لدى معظم الأمم والمجتمعات.إذ تمثل هذه الليلة تغيرًا جذريًا في حياة الزوجين وإنتقالهم من مرحلة إلى أخرى جديدة في حياتهم. والمعتاد أنه في هذه الليلة يتم فض غشاء بكارة الزوجة العذراء وإشهار شرفها وتثبيت فحولة ورجولة عريسها. وأن الأهل أيضا يتلهفون بدورهم لمعرفةأخبار غشاء البكارة ، لأنهم

[1]Adel fouzi OPSIT.p08

يحبون أن يتيقنوا أنهم إختاروا عروسا تعد **بحقثروة** ومكسبا فيأخلاقها وعفافها وطهرها قبل أن تكون ثروة ومكسبا من الناحية الإقتصـادية أو الجماليـةمثلا.[1]

يعد فقدان البكارة أو العذرية حدثا تاريخيا في السيرورة النفسية والإجتماعية للفتاة ، فغشاء البكارة ليس مجرد عضو جسدي صامت،إنه عضو محمل بالدلالات والرمزةوزالتي تجعل منه أساس الصورة الإيجابية عن الذات ومن الآخرين،يؤدي فقدانه قبل الزواج إلى إعتبار الفتاة سلعة مستهلكة.هكذا يصبح الجسد المستهلك مرفوضا إجتماعيا وغير مرغوب فيه، وحسب اللغة المحلية إن الفتاة **(مفسدة، مقعور ماهيش مرا، ماهيش عروس، ...)** يعني أنها مستهلكة من طرف الآخر الذي أفقدها حرمتها وعفتها ومنه تزويج الفتاة لأي شخص دون أدنى إعتبارات(**السن، الاخلاق،المستوى)** ففقدان البكارة يعني فقدان الرأسمال الرمزي للفتاة ولكل العائلة [2]

3. **طقس الحزام الأنوثة والذكورة:**

يرمز التحزام إلى الإغلاق...إغلاق جسد المرأة بعد الإفتراع الذي يمثل الفتح حسب الممارسة الطقوسية المبنية على فتح التصفاح. وعله يرتبط الطقس بالمخيال الشعبي بمرحلة مهمة في حياة المرأة وهي إنهاء العذرية في ليلة الدخلة، حيث أن العروس لاتضع الحزام في خصرها إلا في صبيحة يوم الزفاف،. هذه اللحظة الإحتفالية تتوج العروس من طرف أحدى ذكور العائلة (أخ الزوج، العم، الخالالجد...) حيث يضع في خصرها حزام من الذهب " **محزمة لويز** " والذي منعت من وظعه بسلطة العادات طيلة أيام الإحتفال بالزواج. ويرتبط عدم وضع الحزام طيلة الأيام الماضية والتي تسبق ليلة الدخلة بطقوس العبور كعلامة بارزة تبنى على إستعداد نفسي. وبالتالي فهي (العروس) تتحررنفسيا ورمزيا من القلق الذي مورس عليها بفعل طقس الغلق "التصفاح " المقيد لجنسانيتها وتعبر لطقس إغلاق رمزي**"الحزام"** للعبور إلى حياة جديدة ومميزة، ويعتبر هذا المرور والإمتثال للعادات ظروري في مجتمع البحث، يعتبر توقيع على جسد الأنثى بالإمتلاك الذكوري يعلوه الإعتراف بالسمعة والمكانة.

---

[1]- فوزيةذياب. ، سبق ذكره، ص.300

[2]- عبد الصمد الديالمي سبق ذكره، 76.

فعندما يقوم أحدى ذكور العائلة بتحزام العروس فإنه يعلن إنتساب العروس للعائلة وتقييدها، وأن إختيار الخصر دون أعضاء الجسم كرمز على الإنجاب.فطقس الحزام كتابة رمزية على جسد المرأة،أنها أصبحت ملك فلان دون غيره من الرجال وأنها موشومةبلقب فلان " **مرت فلان** "والإنتماء للجماعة **"عروسة فلان- عروسة فلانة"** بعد أن أثبتت عفتها وعذريتها.

مزال الإحتفال بالحزام قائما بمجتمع الدراسة الى وقت إقامة هذا العمل.حيث يقوم أحد رجال أهل العريس **"الأخ، العم، الخال"** بوضع الحزام **" محزمة لويز "** في خصر العروس والتي يفضل أن تكون إما ملك أم العروس أو أم العريس تبركا بهما، حيث يضعها الذكر في خصر العروس ويبارك لها (يهديها) بمبلغ مالي أفتخارًا بالبكارة التي صانتها (**حمرت وجه باباها**) ورفعت رأس عايلتها ، وهي ترتدي لباسا تقليديا بلون وردي رمزا على الفرح . فلا يتم زواج من غير لباس أنيق وفستان أبيض ومحزمة لويز**"حزام من نقود ذهبية"** *تلف خصر العروس في صباح ليلة الدخلة بعدما منعت من وشعه قبل ذلك.فلا ينبغي للعروس وضع الحزام في خصرها إلا بعد الدخول بهاكدلالة على انتمائها لمجتمع النساء.

الحزام رفيق النساء، يرمز الى الانجاب " **ربي يحل حزامك** " يعني يرزقك الذرية. ومنه تتحزم الانساء للانجاب، لأن ظاهرة الإحتفال بالبكارة ضرورة حسب **"راضية طوالبي"** وعليه فإن العروس قبل ليلة الدخلة لايحق لها أن تضع حزام في خصرها خاصة الحزام الذهبي "محزمة لويز" كذلالة على العزوبة.والذي تكلمت عليه Th èrese Rivier في عملها عن الأوراس حينما قالت أن نساء الأوراس يتحزمن(يضعن الحزام)إلى جانب الخلخال(**الرديف**).[1]ورغم التحضر الذي لحق بأصناف اللباس الذي يستوجب وضع الحزم المكمل للباس مثل " **القفطان المغربي، البلوزة الوهرانية"**

*- محزمة اللويز: عبارة عن حزام يحتوي مجموعة من النقود الذبية والتي تسمة (لويز) نسبة الى لويس العاشر، حسب النساء. وذلك لمرور فرنسا على الجزائر تاركة بعض من بقاياها والمتمثل في هذه النقود التي تعد كنز المراة الشاوية وكل نساء الجزائر، حي ان المفارقة العجيبة، الاستهجان للتواجد الفرنسي تاريخيا خاصة وان المنطقة احتضنت الثورة , غير ان نساءها تتزين بهذا المعدن الذي يحمل صورة تعود لحقبة

[1]Th èrese Rivier ;posit; p 11

المرأ ة ممنوعة من وضعه بسلطة العادات والتقاليد، حيث تضع المحزمة في رقبتها كإشهار على امتلاكها لها وتفاخر بين. وذلك الذي ورثته الصبايا في مجتمع البحث وتعرفه وتمتثل له من دون طلب أو أمر.إذ تبقى ميزة العروس الحزام. الذي تنتظره ليعليها على عرش الشرف والكرامة والذي خصص له يوم إحتفالي.

يحتفل بنتائج ليلة الدخلة علنا وتمنح للعروس شهادة الكفاءة لبدء مرحلة جديدة، والتي تتجسد في ذلك الحزام الذي يوضع على الخصر. إنه كتابة رمزية على هذا الجسد بالامتلاك الذكوري ، حيث يضع الحزام ذكر من ذكور عائلة الزوج، إنه فعل رمزي على منح العروس القوة واللإنتقال إلى الزواج. إنه فعل رمزي يبين علاقة الذكورة بالأنوثة، ومنه علاقة الحزام بالإخصاب والإنجاب. خاصة وأن المانح "إمرأة ""أم العريس- أم العروس" ، حيث تمنحها الانجاب والانوثة كما تورثها الخضوع للرجل ، فيصبح الجسم ملكا للذكور بهذا التتويج ووضع الحزام ومنه تقييد الجسد وإمتلاكه.

> " العروس في صباحها لازم تلبس اللون الوردي ، ملي كنت صغيرة وانا نشوف لعرايس يلبسوه في الصباح ، وإلا تلبس الفرقاني،. لكن معظم لعرايس يلبسوقندورة وردي تقليدية حسب لامود تاع العام ، ويدخل سلفها(اخ الزوج) او رجل من اهل لعريس يحزمها بمحزمة لويزن ويحجبلها ،ولعروس تمد ليه (تعطيه) هدية حسب مقدورها " (مقابلة رقم: 12)

الملاحظ أنه حتى وإن لم يتم الدخول بالعروس لأسباب بيولوجية (الحيظ)أو نفسية، فإن الإحتفال بالحزام لابد منه ليكتمل العرس، فطقس الحزام رمز الإغلاق الإجتماعي والربط بالمعايير المجتمعية . بشحنة إنفعالية أوجدها "الإفتخار بدم العذرية"، ورغبة العبور الآمن إلى مكانة أخرى ووضع اخر، حيث تبنى على تمثلات الجماعة والتي تفرض حالة من الغموض الإجتماعي للإندماج.[1] وفق رموز ومعطيات جمالية وسحرية تتعلق بالجسد.

[1] ستيفان شوفالييه، كريستيان شوفيري، معجم بورديو، ترجمة الزهرة إبراهيم، الناية للكراسات والنشر والتوزيع الجزائ، ط1 2013. ص61

" الصباحة أوحزام لعروس هو العرس تاع الصح خاطرش تتهنى لعروس وعايلتها وتفرحهم... بكري كانو يعلقو قمجة لعروس في البيت الى ويحطو(يضعون) فيها الدراهم نساء ورجال ويتفاخروا بيها على أساس بنتهم وعروستهم عروس، وذرك نحاو هذه العادة وبقاو يحزمو لعروس برك ، يحزمها سلفها والا شيخها ، بمحزمة تاع اللويز يا اما تاع ام العريس او ام لعروس ، ويحجبلها وي تمدلو هدية حسب مقدورها .(الصورة رقم: 10)

لا يكتمل عرس في مدينة باتنة من دون الحزام أو مايصطلح عليه **"بصباحلعروس"**، عرس ثاني وإحتفال آخر.على شرف العروس تحييه عائلة الزوج. وعلامة السرور لأهل العروسين، حيث تظهر فيه العروس بين أهلها فرحة بنتيجة ليلة الدخلة وبفحولة زوجها ، و تتصدر وسط الدار بين الحاضرين وهي تلبس لباس تقليدي تحرص على أن يكون **لونه وردي"** ، هي العادة المتوارثة منذ القدم أن اللون الوردي يرافق الحزام . إنها ثنائية (**اللون، والمعدن**) **" الوردي - الذهب "** فيختزل الجسد في ثنائية الجمالي والسحري، حيث لابد للون الوردي أن يحضر، إنه اللون المرافق للحدث وما يحتويه الحدث من إحتفال يقام على شرف العروس وأهلها ، حيث تقدم لهم عائلة العريس وجبة الغداء والتي عادة تكون طبق تقليدي (شخشوخة) إلى جانب الحلويات .

ثانيا: الممارسات الطقوسية الثوابت الإجتماعية والثقافية الدلالة والرمز :

1. **الجسد وسلطة الرموز السكون والرغبة:**

الجسد إنه الكلام في حالة الكمون خزان الدلالات من خلال حركته وسكونه، يعلن عن رغباته من خلال أشكاله. فلباس العروس شكل من اشكال التواصل الثقافي والحضاري يفرض وجوده وتميزه الرمزي في آن واحد من خلال أنماط اللباس بتعدد ألوانهوأشكاله منها المحلية " **قسنطيني، وهراني تلمساني، نايلي** " والعالمية" **التركي، المغربي، الهندي،الاروبي** " فهو علامة ككل العلامات ينم عن رغبات وحاجات تتصل بالأفراد والجماعات **"الرقي، الذوق، التفاخر"**.

إكتسبت ثنائية "**الدلالة والرمز**"أهمية كبيرة في الحقل الأنثربولوجي، وعليه حاولنا قدرالإمكان إستنطاقهذه الرموزالمصاحبة لعادات وطقوسالزواج التي تمارسها المرأة الشاوية بما تحويه من دلالات ذات أهمية تحدد الخصوصية، بإعتبارها رموزمهمة في سيرورة التفاعلات الطقسية للمجتمع المدروس"باتنة" حسب تمثلات وممارسات الفاعلين الإجتماعين"المرأةالشاوية"في طقوس دورة الحياة "الزواج"سواء كانت "ممارسة- وممارس عليها".هذه الظواهرالحياتية جميعها تشيرإلى غاية موجهة وفق نظام ثابت ومحدد تؤثر في كل عضو من الأعضاء الآخرين. وعليه فإنهم يسكنون لتلك التأثيرات لغاية الإستمرار الحياة الإنسانية.[1]وأن الممارسات المتعلقة بالجسد ضمن إحتفالية الزواج والتي تمارسها المرأة على المرأةهي رموز تحوي عدة معاني إجتماعية وتفاعلات تتجدد داخل النسيج الاجتماعي. ومادام الجسد بناء رمزي فإنه يوضح لامحال مكنزمات الفعالية الرمزية.[2] والتي نقرء من خلالها بعض رموزها **" دم، ماء، الوان غناء، رقص، لباس، طعام، تجميل، مكان جلوس العروس،..."** وغيرها من الرموزالحاضرة وفق تراتبية الإستمرار التي تفرضها العادات والتقاليد، وتدخل ضمن البناء التركيبي والوظيفي لقيام هذه المؤسسة بكل رموزها ومعانيها ودلالاتها .

أ. مكان جلوس العروس:

فخامة مكان جلوس العروس وهيبته يؤدي دورًا رمزيًا يترك أثره على الوجدان.إنه يدعو الحضور إلى توخي الهيبة، كما ويؤدي دورإستلاب المدعوات ويعطي العروس إحساس بالقوة والسيطرة والمكانة **"اعتلاء العرش"**. فغالبا ما يحظى مكان جلوس العروس بالعلو والإهتمام، سواء كان مكان جلوس تقليدي أوعصري " **كراء كرسي مخصص لجلوسها"** لهذا فإن فخامة المكان وأناقة العروس والألوان التي ترتديها وتتزين بها المختارة، تلعب دورًا رمزيًا في إستلاب الاخر.تتشابك فيه معاني الديني بالعادات والطقوس في حرص على أن تجليس العروس متوجهة إلى القبلة، حيث تخضعها العادات "الجلوس"

1- زينب حسن ، الانثربولوجيا علم دراسة الانسان طبيعيا اجتماعي حضاريا،ط1 ، عمار ، الأردن، 2015،ص251

2دفيد لوبروتون،مرج سبق ذكره، ،ص65.

لسيطرة الدين"القلبة" وفي كل مجريات الاحتفال باعتبار القبلة هي الوجهة الأساسية في إقامة العبادات فتظهر كمعطى له قيمته في جلب الخير والرضى والبركة.

ب- **المظاهر الجمالية والمدلول الطقوسي :**

التزين بكل آلياته يمثل أداة إتصال حضاري وتعبير يحمل في ذاته معنى إتصالي شديدة اللإرتباط بالسياق الثقافي والهوياتييحمل خصوصية محلية. [1]ويظهر هذا التزين الجسد بعلامات الإنتماء ودرجة الإمتثال للعادات والتقاليد من"لباس، تجمل،.." فزي العروس جزء من الموروث الثقافي يتسم بالأصالة والعمق الحضاري ويعبرعن وجدان الجماعة وثقافتها، تتوارثه الأجيال المتعاقبة جيلا بعد جيلوتتناوله بالإظافة والتعديل والحذف أحيانا بما يتوافق مع ظروفها والإحتياجاتهامع إبقائها على سمته الخاصة. حيث تسهرالمرأة الشاوية بإعتبارها الناقل لهذا الإرث على حفظه وبقائه وإستمراررموزه من خلال مظاهره الجمالية التي تعطي للعروس هيبة تشعرها بتفردها، كما يرتبط بنظرة الآخرين برؤية الفعل نفسه فيما يتعلق بكيفية التواجد والحضور والتمثل. فالمظهر نوع من رأس المال.[2] تعدى الحدود الفردية والشخصية والإجتماعية والمحلية بإعتباره رموز تعبر عن ميولات وإختيارات.فهي تلبي مطمع شخصي تسعى العروس إليه في إشباع تلك الحاجة في إظاهر الأناقة والتفاخر، غقيمة اللباس جذب إنتباه الآخرين وإستجلاب رضاهم ، وهي فعل إجتماعي مؤقت إستحوذ على إهتمام العروس ويمارس سلطة رمزية عليها من خلال الإذعان والإمتثل لها.[3]

الإتصال الحضاري له دور في تغير نمط اللباس ونقل قيم جديدة نتيجة التغير الحاصل في المجتمع وفي أنماط اللباس، غير أن رموزه باقية لإرتبطها بمفوهم الحدث وقيمه، كمايعبر عن المضمون الإجتماعي والثقافي وله رموز ودلالات تعبر عن القيم والخصوصية.فرغم أن البرنوس يعتبررمز شجاعة الرجل ترتديه العروس في انتقالها الى بيت زوجها.

1صوفية السحيريين مرجع سبق ذكره،، ص233

[2]- دفيد لبروتون،، سوسيولوجيا الجسد ، ترجمة عياد ابلالوادريس المحمدي، روافد للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2014 ، ص146

3- ثريا ناصر، تاريخ أزياء العرب ، عالم الكتاب، المصري، مصر،1998، 34.

اللون الأبيض مرتبط بمفهوم الطهارة قبل الزواج ويتجسد في لبس العروس للفستان الأبيض والذي سرعان ما يتحول إلى اللون الوردي الذي يحاكي لون دم البكارة المائل الى اللون الوردي وبإرتداء العروس للون الوديفإن ذلك إشارة الى الإفتراع" **عذرية/ فحولة** "فالون الوردي والأبيض لهما دلالات تعبيرية ورمزية معلنة وخفية إتفق عليها المجتمع.ويعطيها الفاعلون الإجتماعيون مكانة في وجدانهم وسلوكاتهم. وان هذان اللونان لهما دلالات تعبيرية ورمزية معلنة وخفية اتفق عليها المجتمع. فهي رموزمشتركة تعطي معنى لاشتراكهم وتفسرالتفضيل لها، فتصبح لغة نفهم من خلالها مقاصد السلوك التي ما هي الا تجسيد للرموز المتفق عليه من قبلهم كإشارات ذات مدلول اجتماعي.[1] ظهر معه " **الحلي"** بمنحه العلامة الظاهرة للجمال الأنثوي، حيث يعتبر الحلي زينة المرأة منذ القدم، فلقد تزينت المرأة الشاوية بنوع من الحلي يعتمد على الفضة واليوم حل محله الذهب بأشكاله وألوانه وأنواعه لكن تبقى بعض المجوهرات التقليدية سمة المجتمع يتمسك بها ويصر على حضورها خاصة " **المظفور بالخمسة** " الى جانب **"خلخال، مقياس..."** فلقد ظلت المرأةالأوراسية إلى وقت طويل تضع في رجليها خلاخال"**رديف**"، والذي غاب اليوم بفعل الزمن والتقدموالحداثة التي فرضت قوانينها، غيرأن المرأة اليوم إتجهت إلى التزين به " **الرديف"** كمظهر للحداثة. فبات التقليدي رمز للتقدم والحداثة . حيث أنها تحيي معتقدات غيبية تنافس قيمتها الثقافية كمظهر للحداثة لتستمر كارث ثقافي يستمر باستمرار التقاليد.[2]

ج. **الحناء والتوشم ثنائية الجمالي والسحري:**

من الممارسات المتعلقة بالجسد والتزيين " **الوشم والحناء** " ثنائية الجمالي والسحري ذلك التعلق الأنثوي بالجسد،.تطورت أساليب العناية به وتجميله مع المحافظة على إمتداده التقليدي المتوارث. فلقد عوضت المرأة الوشم بنقوش الحناء، وهي تحاكي بذلك الوشم الذي مورس قديما، والذي يظهر في وجوه العجائز"الجدات"في بعض مناطق من الجسم.إنه إنبعاث للماضي في شكل جديد بما يتماشى ومتطلبت التقدم والتحضر، حيث تتزين العروس كما لاحظنا بالحناء مخظبة اليدين والرجلين وترفقها

1- دافيد لوبروتون ، مرجع سبق ذكره،ص11.

2الزهرة ابراهم ،مرجع سابق، ص124.

نقوش دقيقة متعددة الاشكال والألوان توضع على مناطق متعدد من الجسم **"ذراع،صدر،كتف"** والتي فرضت نفسها في الجزائرعامة ومجتمع البحث خاصة، وأن الوشم في حدود تحققه الجسدي المادي إنه مفهوم يتجاوزمداه الفزيولوجي إلى ما هو ثقافي فهو كسلوك،إستجابه لفروض الإندماج للتكيف والإنسجام مع المنظمة الثقافية التي يتأطر داخلها، وهكذا فهو لغة ثقافية غرضها التزين وشفرة تواصل بين أفراد المجتمع ومفهوم جمالي وسحري. حيث أن المرأة بالوشم تحيي معتقدات غيبية تنافس قيمتها الثقافية كمظهر للحداثة لتستمر كإرث ثقافي يستمر بإستمرارالعادات والتقاليد. [1]يستثمرليجعل من حامله لوحة تسلب الحضور بشفرات ثقافية.(انظرالصورة رقم: 11)

د. الأغاني والزغاري لغة الإتصال والإندماج:

الأغاني تعبير عن قيم الجماعة " **جماعي- فردي** " وإنتاج رمزي على نحو منطوق وحركي تتميز بالإستمرارية والقدرة الكبيرة على الإنتقال عبر الزمان وتحتفظ بكيانها لعدة أجيال. فلقد رافقت الحياة في كل محطاتها " **الثورة، الأفراح،الأقراح** " تغنى بها أفراد المجتمتع ولازال يتغنى بها وبحقبها وتاريخا ورموزها. ضلت موجودة حتى مع زوال السبب الذي أدى إلى ظهورها و بقيت بعض سماتها محافظة على الإستمرار،لما لها من أدوار نفسية من تحقيق للراحة لمؤديها ومتلقيها. تلك الأغاني هي بمثابة أدعية شفويةلماا للكلمة من قوة سحريةمؤثرة. فمفعولها سحري يبعث على البهجة، حيث تتغنى النساء والرجال على صوت البندير فرحا وبهجة وسرورا بإعتبارها وسيلة للتفريج الأنفعالي مساحة لإدلاء الصريح، وتفريغ المشاعر السلبية عبر نبرات الصورت ونظم الكلمات، ويسهر المجتمع على تاأديتها في جماعة**"صفين متقابلين"** هذه الحالة مفعمة بمشاعر النشوة والإبتهاج الفردي والجماعي وهو ما يجعل الرقص مختلفا عن الحركةفي صورتها الاعتيادية.[2] وينم الغناء الجماعي عن ذوبان الفرد داخل الجماعة والإنصياع لقوانينها القائمة على الكلمات والإيقاع الخاص والمتبوع بضرب البندير وتعالي الزغاريد والذي يشعر المؤدي والمتلقي بالفرحة والبهجة. فالزغرودةمن اللغة المنظومة الى اللغة

1- الزهراةابراهم ،نفس المرجع، ص130.

[2]- عبير السيد، " التعبير الحركي والرقص "، مجلة الحداثة، المجلد ،11العددان ،2007،47-48ص129.

الرمز"الوظيفة الترمزية" بنيتها الأولية هي الإخبار والتي تترتب عليها كل الوظائف الأخرى الفرعية من إفصاح عن رغبة في اللقاء وربط جنس بجنس آخر تعتبرسلوك إجتماعي أكثر من كونها صراخ، إنها تعبيرعن مشاعر ورغبة في تقاسم الإحساس مع الآخرين ووسيلة تعبير كامل. [1] وهي نتاج عمل جماعي وثقافي تتعلق بـ **"الفخر، المكانة، الجمال، الحياة"** و وسيلة للتواصل والإتصال الجماعي تصب في وعاء العادات وتحفظ الذاكرة الجماعية. وبذلك تدخل الأغاني والأمثل والحكايا في تحديدها وتثمينها كرأسمال رمزي مظاف إلى السمعة والخصال الحميدة. [2]

2. الرموز الثقافية الدلالة والرمز:

أ. الأضحية والرموز الثقافية :

تعتبر الأضحية" **شاة لحلال** " المقدمة للعروس والمضحى بها في بيت العريس فعلا طقوسيا أساسيا وبلغة أنثربولوجيةهو هبة مبتغاها وفاء يقطعه الفاعل على نفسه.إنها (الشاة) ليست لغرض الإستهلاك أو النحر" **الذبح** " لذته بل لأجل إخراج عناصرها البيولوجية لتصبح غذاءًا طقوسيًا قدسيًا. [3] حيث يراد منها إسالة الدم للتقرب الذي يبنى علاقة الألفة والمحبة بين العائلتية ، يظهر من خلال تقاسم أكل الشاة التي تستخدم في تحضير الوليمة "العشاء" سواء في بيت أهل العروس أو في بيت أهل العريس والتي يحضرمنها الطعام الذي يتحول من وجبة أكل ألى ضرب من الرضاعة المشتركة يترتب عنها ضرورة الإحترام لمشتركي الطعام بعضهم البعض والتحالف. فتناول الطعام له مدلول رمزي شعائري عبر التاريخ، حيث ينتج عن تقاسم الطعام وتشاركه تضامنًا داخل المجتمع فهذه الرضاعة الإجتماعية توجب المحبة في حين تتحول بعض العناصر " **الدم**" إلى رموز ثقافية وطقوسية .

"**الدم**"ذلك الموكن الذي تبنى عليه الطقوس في علاقتها بالجسد، فعندما يتعلق بالرجل فهو مرتبط بالشرف والقرابة والأبوة والتضحية.أما حينما نتحدث عن دم النساء فإنه يوحي مباشرة إلى عالم

---

1 جرمان تليوم ، مرجع سابق، ص36.

2 - محمود عبد الله الخوالدة، محمد عوض الترتوري، التربية الجنسانية، علم نفس الجمال،ط1، دار الشروق، للنشر والتوزيع، عمار الأردن، 2006، ص17 .

3نور الدين الزاهي، مرجع سابق،ص110 .

مدنس كما تقول المغربية "**رحال بوبريك**" في كتابها "**بركة النساء**"أن دم المرأة بالذات يدفع إلى الخوف والرهبة وعلى المرأة أن تعمل على إخفائه. وتحث المعتقدات الشعبية على تجنب أماكن الدم سواء كان آدميا أو لحيوان فهو مصدر القوى الغيبيبة والشريرة ، والدم الآدمي أكثر من غيره ذا حمولة رمزية وأسطورية، فالدم قرين للحياة والموت والأساطير والتمثلات حول الدم في الثقافات الإنسانية تعكس قيمته الرمزية الخطيرة[1]، له علاقة كبيرة بالمرأة، حيث لا تعتبر المرأة إمرأة في المفهوم الثقافي للمجتمع إلا بالدم "**دم العذرة،دم الحيظ ، دم النفاس**"ووحده من يمنحها المكانة والدور (**البكر، العاقر، الولود**) وهو الناقل للنسب والهوية والقرابة. إنه رمز الأنوثة.[2]

فالمرأة لصيقة ومصحوبة في مراحلها بالدم.دم الحيض عند البلوغ ودم البكارة عند الزواج، ودم النفاس عندما تمنح الحياة. ونحن نظيف إلى ذلك كله دم "**التصفاح**" الذي يرافق طقس العبور من الطفولة إلى البلوغ ومن العزوبة إلى صنف النساء. وهو"**الدم**"الحجة القاطعة على الإستقامة ومقابلاً رمزيًا لشرف تفتخر به العائلة والزوج "**دم البكارة**"ويبرهن الزوجان على"العفة والفحولة " بالدم الذي أضحى طقوسيًا مقدسًا. [3]تتحقق به هوية الزوجة بإعتبارها دليل ماديعلى جودة أنوثتها ومناسبة تسمح لهما بالبروز والصلاحية الإجتماعة.

ب. دلالة الماء الطقسي والقدسي :

الماء رمز الحياة والنظافة والطهار [4] وهومحور الممارسات الطقوسية، هذا العنصر مفعم بالدلالات والرموز التعبيرية، فهو يشكل ظاهرة إجتماعية وثقافية بسبب إرتباطه بإعادة إنتاج مجموعة من الظواهر السوسيو ثقافية التي تحملها مختلف الحقول الدلالية المرتبطة به، والحامل لدلالة الخصب.[5]الماءعنصر طبيعي فعال في كل الممارسات سواء اليومية منها او المناسبتية .القدرة التطهيرية

- [1]رحال بوبريك، بركة النساء، افريقيا الشرق ، الدار البيضاء، المغرب،2010 ، ص33

2 - جي. سي. كوبر ، الموسوعة المصورة للرموز التقليدية، ترجمة مصطفة محمود، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، 2014 ،ص60.

3ادمون دوطي، مرجع سابق، ص90.

4صوفية السحيري مرجع سابق.ص 194

5حناء حمودة، الماء كمنشط انثربولوجي لانتاج الطقوس بواحة سكورة، جنوب المغرب، مجلة إضافات العددان33-34 شتاء-ربيع 2016.ص144

لهذا المكون الديني (**ماء زمزم**).فهو يستعمل في طقوس الزواج للسماح بالممارسة الجنسانية في إطار الزواج كمعطى سحري يزيل مفعول الغلق الذي مارسه "لتصفاح" على الأنثى.

الملاحظ أن تركيبة طقس التصفاح تبنى على ثنائيتين(**دم/ماء**)هما البدل للحياة والمانحان معا لمفهوم الزواج، فسكب الماء على الجسد يعني تطهيره ومحو أثار الطقس. إنه تشبيه لمفعول الماء على الأرض (**اهتزت وربت**) فلقد شبه الجسد اأانثوي بالأرض التي تسقى بالماء (**جسد-أرض**) إنها دلالة على الإستعداد الأنثوي للإخصاب. فتحول الماء العادي إلى ماء مقدس يطهر الجسد من تأثير وأثار الطقس الذي مورس قبل سن البلوغ. أما الدم فيمثل من حيث الرموز والوظائف الإنطلاقة الجنسية والضامن للأخلاق والإستقامة في سوق العرض والطلبعلى الشرف والطهارة[1].

قداسة الطقس وفاعليته إرتبطت بالماء فهو حاضر بقوة كرمز للطهارة بالنسبة للمرأة .فصور الماء في المتخيل الشعبي مطهر وحامي وهو مساكن للقوى الشريرة. وعليه فلا يقترن الماء إلا بمكان طاهر "رمي الماء في نبات أو مكان طاهر" يستقي قيمته القدوسية من كونه عنصر للحياة ، فالماء يغسل الأرض ويعدها للبذر، إنها رمزية على عملية الزرع للأرض. وقدرته على تسهيل حياة العروس لتصبح مهياة للإخصاب.

ج. دلالة الأرقام التصوروالمعتقد :

إحتلت الأعداد مكانة مهمة في نفوس وأهالي المنطقة فوردت قيمتها في طقوس الزواج منها أن يكون الجهاز مبني على العدد إثنين(02)أي يتكون جهازالعروس من كل شيئ اثنين"**زوجين**" كل اغراض العروس خاصة اللباس ويجب الإبتعاد عن العدد الفردي الذي ينفرون منه ويعتبرونه شؤم. لاعتقاد ديني أن الله خلق من كل زوجين اثنين، فعدد الأشهرإثنا عشر شهر منها أربعة حرم ، وأن كل أعضاء جسم الإنسان بنيت على الثنائية الزوجية "عينان، اذنان، رجلان" عدد الأصابع عشرة...الخ ومنه ندرك بوضوح وجلاء الأهمية التي تحملها الأعداء بالنسبة للمجتمع محل الدراسة. حيث يشكل الرقمين"03-07" أكثرالأرقام خصوصية لدى الكثيرمن الشعوب لما لها من خاصية سحرية، وعليه فإن الرقم سبعة ويعتمد

1 نور الدين طوالبي، مرجع سابق، طوالبي ص49

عليه التصنيف الإسلامي فلقد خصه الله سبحانه وتعالى بأسرار ودلالات منهاتكوين الإنسان في سبعة مراحل" نطفة، ماء الدافق، النطفة الامشاج، العلقة، المضغة العظام، اللحم، نفخ الروح"

ونجد "سبع سموات، وتسمية الإبن في سبعة أيام، الحج سبعة أشواط ،الطواف والسعي بين الصفا والمروة .." فلقد منح الله رقم 07 شرفا لا يضاهيه شرفمن حيث الرمزية الإيمانية. وهوأكثرالأرقام تكرارًا في القرآن الكريم لما له من دلالة قدسية، كما أنه مقدس في معظم الديانات السماوية. ففي البدء خلق سبع سموات والأرض ، وخلق الإنسان في سبعة أيام. فنظام الكون كله قائم عليه في نظام محكم، كما إرتكزت عليه العديد من العبادات والمعاملات.

تتجسد طقوسية الرقم (07)في طقس التصفاح بوضوح ، حيثأنه أساسي للمرورإلى المراهقة وأساسي للبوغ. فلا تقام ليلة الدخلة الا بحضور الرقم سبعة.فالعروس تحاط بعناية منها سبعة أيام وغرفة العروس محاطة بالاهتمام فلا تنظف أو تكنس، وحتى وإن نظفت يحتفظ بالمخلفات فلا ترمى إذ يجب أن تحتفظ بها العروس في غرفتها حفاظا على العشرة الزوجية لأن عملية التنظيف"الكنس" توحي بخروج العروسأي"كنسها" من بيت الزوجية خشيةعلى العروسين، فالرقم سبعة إرتكز عليه الطقس السحري في عملية التصفاح "سبع تمرات سبع أشواط" فأكل البنت لسبع تمرات ومرورها على المنسج سبع أشواط سر عملية الغلق، وأن سكب الماء سبع مرات في الإستحماموأكل سبع ملاحق وسبع تمرات أساس الفتح تلك هي رمزية الرقم سبعة وفعاليته في نجاح الممارسة والطقس.

د. دلالة الهدية :

يقتضي الحدث"**الزواج**" تبادل الهدايا بين العائلتين حسب العرف الاجتماعي،التي تتخذ أسماء حسب مانحيها ومتلقيها. فمن جهة أهل الزوج تسمى " **قنادر لنساب** " والتي غالبا ما تكون مجموعة من الأقمشة التي تقدم لأهل العروس بعدد النساء المقربات من أهلها " الأخوات، العمات ، الخالات الجدة" في حين تقدم هدية خاصة لأمها تدعى "كسوتها" شكرًا وإحترامًا لمنحها لهم إبنتها ومن جهة العروس تقدم هدايا تسمى "**قنادر الصباح**"حيث تحملهم العروس معها إلى بيت زوجها، حيث تقدم مجموعة هدايا إلى "والديه وإخوته "بنات- ذكور، جدته " وهدية خاصة للقائم بوضح الحزام يوم الصباح ، وإحيانا يرافق

طقس الحزام "الصباح" حضور بعض الذكور من المقربين من أهل زوجها "الأخ، العم، الخال،..." تقدم لهم العروس هدايا ويقومون بدورهم تقديم مبالغ من المال للعروس تعرفبـ " **الحجبة**" ويشترك النسوة في تقديم الحجبة أيضا للعروس يوم الحزام. هذا اليوم الذي كان في الوقت الماضي يتم فيه إشهار لباس ليلة الدخلة (**القمجة**) غير أن مجتمع البحث تخلى عن هذه العادة التي يعتبرها مساس بالأخلاق والدين،

الاحتفال بهذا اليوم المرتكز على العذرية والبكارة، غيرت في مظاهره الاحتفالية الحداثة والتحضر. حيث تخل مجتمع البحث عن الاشهار بلباس ليلة الدخلة او ما يسمة (قمجة) واعتبره امر خاص بين العروسين ومسالة شخصية بين العائلتينن بالإضافة الى انه مساس بالقيم والأخلاق لما يحتويه من تشهير وفضح واختراق لحرمة . (المادة 14 والمادة 15 من وثيقة الزواج).

وبقي الإحتفال رمزيا بقيمة العذرية من خلال الإحتفال بها وتقديم الهدايا في الصباح يوم الحزام. وتشتراك العائلتين في وليمة الغداء التي يقدمها أهل الزوج إلى الزوجة وأهلها في جو إحتفالي آخروعرس آخر يلتقي فيه الأهل فرحين بالغناء والزغاريد بالصباح ، ثم تقدم والدة العروس الحلويات التي أحضرتها خصيصا للإحتفال بإبنتها التي إحتفظت بشرفها " **حمرت وجه باباها وخاوتها** " وأن هذا التبادل للهدايا بين العائلتين حسب المتعارف عليه رمزًا للمحبة واللإستقرار العائلي وإقامة علاقة بين أسرتين مانحتين (الزوج- الزوجة) كل منهما منح لآخر إبنه أو إبنته فيتبادلان أيضا الهدايا رمزًا وتوثيقًاللتبادل وإعلاء العلاقة بينهما بما تحمله من تمايز إجتماعي وطبقي.حيث تحرص النساء من كلتا العائلتين على إختيار هديته بما يليق بمكانة العائلة .ويشارك المجتمع هذا التبادل بتقديهم الهدايا لتعزيز هذا التبادل ودعمه على الإستمرار.

خلاصة الفصل :

تهيمن العادات والطقوس علىإحتفالات الزفاف بطريقة واعية لاواعية، حيث تعتبر الطقوس التأسيسية وطقوس الزواج خاصة ما تعلق بظبط الجسدمن بين أهم الوسائل التي ركز عليها المجتمع من أجل ترسيخ قواعد إجتماعية أو إعادة إنتاجها بما يخدم المقدس الاجتماعي. وهي تمثل تتابع الأجيال في خضم الحياة الفردية والجماعية، وبناء على ذلك إبتدع المجتمع طقوس وآليات لظبط الجنسانية (التصفاح) وتوجيهها من أجل حفظ البناء الإجتماعي باعتباره فضاء للتواصل الحضاري والثقافي وبمثابة هوية للإنتماء الإجتماعي يطرح كنص لغوي قابل للقراءة والشرح والتفسير والتأويل الأنثربولوجي في سياقه السوسيو- ثقافي من خلال "اللباس، الأكل، الرقص، التزين...." وغيرها من أشكال التواصل غير اللفظي التي تتخصص فيه بوصلة البحث في ثنائية الرمز والدلالة، والناطق بالمعاني في الخطابات والتمثلات [1]. في علاقته بمفهوم العفة والشرف كمعطة نفس- إجتماعي .

إن الإتصال والإنفتاح الثقافي والضخالإعلاميالمتواصلالمرافق للعصرالحالي، والذي يعرف بعصر العولمة والحداثة والتحضرنسج العديد من التغيرات التي مست القيم والعادات والتقاليد التي بات الأفراد والمجتمعات يحاولون التصدي حفاظًا على إرثهم الثقافي من هذا التسونامي الذي بات يهدد بقائه وإستمراره، ومنه محاولة الإنغلاق والإكتفاء بالثقافي المحليليس كرد فعل سلبي إزاء التقدم والعصرنة وإنما كآلية تحفظ بقاء الماضي التقليدي وتقوي الصلة بين الأجيال بغرض الحفاظ على الهوية.وبالتالي فإن التغير السوسيو- ثقافي الذي مس عادات وطقوس الزواج يعد غزواً واستتباعاً ثقافيا وهيمنة إحتوائية أكثر منها عملية تقدم وتحظر وتبادل ثقافي.

[1]-.عبد الرحيم العطري، مكر االبسة، مجلة الدوحة العدد66 قطر،افريل2013،ص28

خاتمة عامة

لقد إحتلت العادات والطقوس والتقاليد حيزًا كبيرًا في مخيلة الفكر الإنساني، فلكل أمة عاداتها ومعتقداتها التي توارثها الخلف عن السلف. هي المرآة التي تعكس صورة الماضي وتمارس داخل المجتمع وتحافظ على كيانه. وتعتبردراسة العادات والتقاليد والممارسات الطقوسية بكل تجلياتها من أهم المتطلبات لدراسة المجتمعات الإنسانية في تمثلاتهم للعالم، فهي تشكل البؤرة التكوينية الكاشفة للشخصية الجماعية في عملية إستهلاك الأنساق المادية والرمزية وتوزيع الوظائف.

فالعادات تعكس أنماط التمثلات والإعتقادات وتساعدنا على ضبط وتحليل الفعل الإجتماعي.

وتعتبر المرأة العنصر الفاعل في إحياء كل الرموزالتي تحترم التقاليد وتعيدها بصورة فنية تبعث على التمسك بها رغم ثنائية المكان والزمان وتبعث على الراحة والإطمئنان والإرتياح نفسيمن حيث إخضاعها لمنظومة قيمية مجتمعية . وهكذا فالرجوع للعادات وممارستها يظهر دوما كوسيلة دائمة للحفاظ على الهوية وإستمرارها أمام سيل الحداثة الجارف. إنها إعادة إنتاج لاواعي للحفاظ على توازن ثابت في مقدار المعايير القيمية الموجودة في المجتمعونقل لهذا الإرث الثقافي والحفاظ عليه.

تعتبر الأسرة إحدى المؤسسات الإجتماعية و التي من خلالها يتم نقل هذا الإرث للأفراد باعتبارها بناء إجتماعي يتمثل في نسيج العلاقات الإجتماعية الدائمة والمستقرة في المجتمع،كما تعد المنفذ الأساسي لدراسة تمثلات المجتمع ومدخلاً مهمًا من أجل إقتحام فضاءه العقائدي والفكري وممارساته الطقوسية المختلفة الباطنة منها والظاهرة، وهي المدخل لقراءة المشهد الطقوسي وفهم النسق الثقافي.

إن البنية المورفولوجية لبيئة المجتمع المحلي "باتنة" خصبة للإستمرارية هذه العادات والطقوس التي هي إستمرارية الحياة بذاتها. ففيها جزئيات تموت وأخرى تولد ونماذج تفقد وظائفها ودلالاتها فتختفيونماذج تكتسب وظائف جديدة ودلائل جديدة. وأن فيها ما يبقى حاضرًا ثابتًا تتوارثها الأجيال "و/أو" لا تصمد وتتبدل وتتحول وتمتزج بالعصري وتحل محل التقليدي. وإن هذا السيل من المد والجزر

ومن النشوء والإختفاء والاستقرار ومن التوليد والتجمد والاشتقاق والانطواء، وبين الثابت والمتحول هذا السيل المتدفق يطرح قانون البدائل، يجعل عادات وطقوس الزواج تتلاءم وتتماشى وحاضر الحياة التي تندرج فيها،.تعاد صياغتها وفقا لمعطيات الواقع والزمكان. فعملية إعادة الإنتاج تفرض تكييف بعض عناصر التراث المادي واللامادي المستمدة وجودها من عادات والتقاليد حتى تستطيع أن تكتسب أرضا وتعيش في عصر جديد مما جعل التغير حتمية العصر. إنعكست على مؤسسة الزواج الخاضعة لسلطة العادات والتقاليد التي يتمسك بها أفراد هذا المجتمع وتأصلت في نسيج ثقافتهم حيث تلعب المرأة عنصرًا مهمًا في نقل هذا الإرث الثقافي والمحافظة عليه من خلال حضوره في كل المناسبات اللإحتفالية من خلال ممارساتها الطقوسية. والتي مست الجسد الأنثوي في بعديه الجمالي والسحري، كنموذج إجتماعي ومعطى ثقافي وبنية رمزية معبرة عن خصائص الجماعة. تلك التعبيرات من **"غناء، رقص، لباس، تزيين..."** تعكس العلامات الفردية والجماعية بطريقة رمزية كمادة تنتجها العلامات الاجتماعية ويستخدمها الجسد كأداة كشف وتحليل تقرء من خلالها التمثلات الجماعية لممارسة الرقابة والهيمنة والإمتلاك لهذا الجسد ومنه ضبط تحركاته وحركاته منذ التنشئة الأولى للأنثى، وممارسة الرقابة على هذا الجسد من خلال إحاطته بترسانة من القوانين بدءا من " الفصل بين الجنسين، الحشمة" وغيرها من الأساليب وصولا إلى آلية ضبط الجسد الرمزية المبنية على طقس التصفاح. لزيادة الإنتاج والحفاظ على الرأسمال الرمزي الذي هو الشرف، وتقوية المكانة الإجتماعية للفرد(الزوج/الزوجة) والمجتمع (أهل العروسين) وكل ذكور العائلة ومنه تدبر حركاته وتوجيهها لما تسهم به في زيادة الرأسمال وإستثمار النسق الإجتماعي.

إلا أنه رغم هذا السعي من المرأة والحرص في صمود هذه العادات والطقوس إلا أنها لم تسلم من بعض مضاهر التغير والتبدل الذي مس بعض جوانبها المادية واللامادية ويعد طقس التصفيح أكثر هذه العادات التي لم تصمد، حيث محته العصرنة وأنهاه التحديث كآلية للحفاظ على العذرية إعتمد عليها الجيل السابق ولم يبقى من مؤشراتهاإلاّ بعض المظاهر والممارسات الباقية ببقاء من تعرض لسلطة الطقس

" التصفاح"من خلال الشق الثاني من الممارسة الذي يبنى على" الفتح" ، فتتجسد مظاهره قبل يوم الزفاف بخضوعه لسلطة الفاعلين الإجتماعين كطقس عبور تتجسد فيه كل مظاهر العادات والممارسات الطقوسية فلم تصبح الممارسة الطقوسية للتصفاح من الأولويات للمرأة الشاوية لجوءًا للحفاظ على العذرية أو آلية من آليات إثبات العذرية لنجاح هذه المؤسسة الإجتماعية القائمة على تمجيد الشرف كرأسمال رمزي وأساسي للإستقرار الأسري.

رغم قيم الحداثة والتغير السوسيو- ثقافي الذي لاح في أفق هذا المجتمع إلا أن العادات والطقوس واضحة على السطح تنافس كل عصري أحيانا وتتماشى معه أحيان أخرى. إنه تأرجح بين ثنائية الثبات والتغير بين التقليدي العصري، ما بين البني التقليدية الآخذة في التفكك والبني العصرية الحديثة الأخذة في التشكل،حيث تعد المرأة العنصر الفاعل فيها من خلال إعادة إنتاج هذا النمط التقليدي وإستمراره والعمل على ترسيخه وتعزيز الحفاظ عليه كرواسب ثقافية أساسي مهم .

إن التغيرات السوسيو-ثقافية الحاصلة في مجتمع البحث تنعكس علىالممارسات الطقوسية في الزواجتصبح الأكثر ثباتًاوحضورًا وأكثر تمسكًابهامن خلال تبنّيهم لهذه القيم. وتصبح هذه الممارسات الطقوسية أقل حضورا وتمسكا بها من طرف المرأةوإن كل تحوّل للمجتمع الكلي تظهر تأثيراته على بناء الأسرة. وأن الحالة العكسية يمكن أن تكونصحيحة، فكل تحول هام في الأسرة لا يتوانى في التأثير على بناء المجتمع ككلولهذا فإن فهم مجتمع البحث لا يمكن أن يتم دون معرفته معرفةكاملة أو على الأقل المعرفة الكاملة للخليةالأساسية فيه(الأسرة) الشيء الذي ينطبق على كل المجتمعاتالإنسانيةعلى إعتبار أن الأسرة هي نتاج إجتماعي تعكس الصورة الكلية للمجتمع الذي تتواجد فيه وتتطور ، مجتمع ثابت البنية الأسريةداخل مجتمع متغير الأسرة بوتيرة وظروف المجتمع العام.كما أنإستمرار تأثير الأسرة كمؤسسة إجتماعية يرجع إلى الوظائف التي تؤديها للفرد والمجتمع.

إن العادات والطقوس تعرضت لتغيرات واسعة النطاق مع تغير المجتمع وثقافته سواء كانت مادية أوغيرذلك، فإنه دائمًا يحدث تغير في ثقافته وإنتاجه الثقافي، وأن المجتمع قيد الدراسة له خصائصه الإقتصادية والإجتماعية والسكانية والثقافية الخاصة التي من الممكن أن يكون لها دورفي تغير هذه العادات أو طمسها أو إستمرارها وبقائها، ومنه فإن الثابت من العادات أو العودة للعادات والتقاليد القديمة إنما أوجده المجتمع كآلية للتقليل من التثاقف والإنسلاخ الثقافي. فرغم التحول والتغير ال ذي طر أ على العادت والطقوس في البيئة البحثية إلاأنه هناك إتصال بين التقاليد التقليدية والحديثة تتضح في مشهدها الثقافي من خلال الإحتفال بالزواج ،ولعلها من أهم الضرورات التي وجهت إهتمامنا بدراستها لما تحمله منطقوس وممارسات. وعمومافعلىالرغم م ما يبدو من تعارض حول هذه الممارسات فإن العودة إليها رمزيايتجلى في ليلة الحنة وما تحمله من ممارسات وفي يوم الصباح " الحزام" وما يتبعة من إبتهاج وإشهار للفحولة والأنوثة ماهيإلا التفاف من أجل الإتساق الإجتماعي والتوافق النفسي للممارسين وللفعالين على حد السواء ضمانا للوحدات القرابية.

ورغم التمايز ما بين الحضري والريفي خاصة في الممارسات الطقوسية والعادات المتعلقة بالزواج إلا أن عاداتهم وتقاليدهم ومورثوهم الثقافي حاضر لم بجانبه التغير والتأثر رغم ظهور أنماط من السلوكات والممارسات الجديدة التي فرضتها طبيعة الحياة العصرية ومتطلبات الحياة الإجتماعية المتغيرة فلقد سمحت التغيرات الحاصلة بفعل الحداثة والتقدم بظهور عادات وتقاليد وقيم ثقافية جديدة أثرت في عادات وتقاليد وممارسات سكان منطقة باتنةرغم بقاء العديد من السلوكات والممارسات (الحنة الملحكمون التصفاح، الدهان،القشقشة ،...) التي تبقى حاضرة في كل عرس وبيت تحرص عليها المرأة الشاوية وتنقلها للجيل بحمولتها القيمة والوجدانية كإرث ثقافي لا يستهان به يحكي تعاقب تاريخ هذا المجتمع الذي مرت عليه العديد من الحضارات .

مازالت ملامح الماضي حاضرة في إحتفالية الزواج من (لباس ، اكل، غناء،...) كل العادات والطقوس تتشابه في مناطق مدينة باتنة إلى جانب ما لحقها من تغير وتبدل الناجم عن الإتصال الثقافي إلا أن بعضها راسخ رسوخ الجبال يحضر دون منافس ليشبع المشاعر التي أوجدته وحافظت عليه.إنه طبق "الزيراوي" التقليدي-العصري الذي يرافق أفراح أهل باتنة ويزين موائدهم بالزبدة المحلية(الدهان) والعسل الحر والغرس إلى جانب ما حل عليه من عصرنه في تزيينه بالمكسرات(كاوكاو، لوز، جوز،..) حسب المقدرة، وإن هيمنة الزيراوي ترسم الإنتماءإلى مجتمع زراعي يعرف كيف يحتفل بمنتوجه الفلاحي (قمح، زبدة، عسل، تمر،...)

إن المجتمع قيد الدراسة يراهن على الصعري بالتقليدي، يبقيه ويسايره محتفظا بذلك الإرث الثقافي وتلك التقاليد التي توارثتها الأجيال وتصرعلى حضورها كعلامة للتميز والانتماء الثقافي والحضاري للمجتع الشاوي (باتنة) فهي باقية شاهدة على تمسك أهالي المنطقة الكبير بالأصالة وحرصهم على هذا الموروث الثقافي. وعليه فالزواج مناسبة هامة تظهر فيه كل ألوان العادات والطقوس التي تتلون بلون المجتمع، والتي تسهر عليها الأسر خاصة المرأة التي تعمل جاهدة على إظهار ما تحمله العادات والطقوس من أصالة عبر الكثير من المحطات (لباس، اكل، غناء، رقس،...) وغيرها من الممارسات الطقوسية التي تتعلق بهذه المناسبة الهامة.

لنا إن نتساءل في نهاية المطاف إلى أي مدى وفقنا في البحث والتحليل عن دورالتنوع السوسيوثقافي إنعكاسه على ممارسات المرأة الشاوية لعادات وطقوس الزواج في منطقة باتنة عاصمة الأوراس .

المراجـــــــع

قائمة المراجع :

المراجع باللغة العربية

1. ابراهيم عبد الحافظ، **الفنون الادبية الشعبية** ، دراسات في ديناميكيات التغير،مطبعة العمرانية القاهرة،ط20041.
2. أبو بكر منصور،من **العائلية إلى التعاقدي**،مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر،2004.
3. أبو زيد نصر،**دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة** ،المركز الثقافي للطباعة،الدار البيضاء،ط 22000.
4. إحسان محمد الحسن وآخرون، **علم الاجتماع والفلسفة**، طبعة السادسة، بغداد، 2001.
5. إحسان محمد الحسن، **العائلة والقرابة والزواج**، دراسة تحليلية في تغيير النظم العائليةوالقرابة والزواج في المجتمع العربي، دار الطليعة،بيروت، 1981.
6. احمد زايد، **الاسرة العين التى لا تنام" الاسرة العربية فى عالم متغير"**، مطبوعات مركز البحوث الراسات، القاهر،2011.
7. ادمون دوطي، **السحر والدين فى افريقيا الشمالية** ،تر فريد الزاهي،مطبعة بورقرارق الرباط،2008 .
8. الخطابي عز الدين: **سيسيولوجيا التقليد والحداثة فى المجتمع الغربى** ، منشورات عالم التربية الدار البيضاء، المغرب،2001 .
9. الزهرة إبراهيم، **الانثربولوجيا الثقافية**، النايا للنشروالتوزيع، مصر، 2009.
10. السويدي محمد، **مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحا ته** ، المؤسسة الوطنية للكتاب والطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1991.
11. السيد عبد العاطي وآخرون،**علم اجتماع الأسرة**، دارالمعرفة الجامعية، ط1،الإسكندرية،2000.

12. الفاروق زكي، **الخدمة الاجتماعية والتغير الاجتماعي**، عالم الكتب، القاهرة،1970.

13. الهادي الهدوي، **سوسيولوجي، االمراة والقيم** ، تساؤولات سوسيولوجية في قضايا المراة،افريقيا الشرق، 1987.

14. أمينة الفردان ، **الأنثى والموروث الثقافي القروي** 'دراسة اثنوغرافية في قرية بحرينية أنموذجا كرزكان، الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر ،البحرين، ط1، 2016.

15. بوتفنوشت مصطفى، ترجمة دمري أحمد، **العائلة الجزائرية التطور والخصائص الحداثة** ديوان المطبوعات الجامعُة ،الجزائر،1998 .

16. بيير بورديو،**الرمز والسلطة**، ترجمة عبدالسلام بن عبد العالي،دارتوبقال،للنشر الدار البيضاء ط3، 1990.

17. ثريا ناصر، **تاريخ أزياء العرب** ، عالم الكتاب، المصري، مصر، 1998.

18. جرمان تليون، **الحريموأبناء العم، تاريخ النساء في المجتمعات المتوسطية** ، ترجمة عز الدين الحطابي دار الساقي،بيروت، ط1،2000.

19. جمال معتوق، **علم اجتماع الجزائر من النشأة الى يومنا** هذا ط1 ،2006.

20. جميل عبد المجيد : **البلاغة و الاتصال** ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – د ط ، 2000.جي. سي. كوبر ، **الموسوعة المصورة للرموز التقليدية** ، ترجمة مصطفة محمود، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، 2014 .

21. جيمس فريزر، **الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين** ، ترجمة نايف الخوص،دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،ط1، 2014.

22. حسين عبد الحميد، أحمد رشوان، **التغير الاجتماعي والمجتمع** ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، .2008

23. حسنين محمد حسنين،طرق **وأدوات جمع المعلومات والبيانات عن المجتمع المحلي** ط1،دار مجدلاوي،عمان،2003.

24. حمود عودة،**أساليب الاتصال والتغير الاجتماعي**، ذات السلاسل للطباعة والنشر. 2003.

25. حميدوش رشيد، **مسالة الرباط الاجتماعي في الجزائر المعاصرة امتدادية أم قطيعة** "دراسة ميدانية مدينة الجزائر نموذجا" دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

26. خديجة صبار، **المرأة بين الميثولوجيا والحداثة**، افريقيا الشرق، بيروت ، لبنان. 1999

27. خلود السباعي، **الجسد الانثوية وهيوة الجندر**، ط1، جداول لنشر والتوزيع، لبنان،ط1، 2002.

28. خواجة، عبدالعزيز. **مبادئ في التنشئة الاجتماعية**: دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2005.

29. خيري محمد إسماعيل، **الأنثروبولوجيا العامة**، منشاة المعارف، الإسكندرية، 1971.

30. دافيد لوبروتون ، **سوسيولوجيا الجسد** ، ترجمة عياد ابلالوادريس المحمدي، روافد للنشر والتوزيع القاهرة، مصر، ط1، 2014.

31. دفيد لوبروتون، **انثربولوجيا الجسد**، تر:محمد عرب، المؤسسة الجامعية للدراساتوالنشر والتوزيع، بيروت،ط2، 1997.

32. دلال محسن استيتية **، التغير الاجتماعي والثقافي،** دار وائل للتربية والتوزيع، الأردن، ط 20041.

33. رحال بوبريك، **بركة النساء**، افريقيا الشرق ، الدار البيضاء، المغرب، 2010 .

34. رشيد حمدوش،**مسألة الرباط الاجتماعي في الجزائر المعاصرة** : امتدادية أم قطيعة. الجزائر، دار هومة، 2009.

35. سامية حسن الساعاتي، **علم اجتماع الاسرة، رؤية مفاهيمية لاهم قضايا هامة** ، دار الفكر العربي القاهرة،1999.

36. صوفية السحيري بن حتيرة، **الجسد والمجتمع"دراسة لبعض الاعتقادات والتصورات حول الجسد**،دار محمد علي للنشر، تونس، 2008، ص 18

37. عادل عبد المحسن شكارة، **نظريةهوبهارس في التنمية الاجتماعية**، مطبعة دار السلام،1985.

38. عاطف وصفي، **الأنثروبولوجيا الثقافية**، دار النهضة العربية بيروت لبنان 2007.

39. عامر مصباح،**علم الأنثربولوجيا**، دار الكتاب الحديث،القاهرة، 2010.

40. عبد الرؤوف الضبع، **علم اجتماع العائلي** ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ط 1الإسكندرية 2009.

41. عبد الصمد الديالمي، **المعرفة والجنس من الحداثة الى التراث** ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،المغرب،ط2، 2010.

42. عبد الغني مغرب **ي،الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون** ، تر : محمد الشريف بن دالي الحسين المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1986.

43. عبدالقادر القصير ،**الأسرةالمتغيرةفيمجتمعالمدنيةالعربية**،دار النهضةالعربية،بيروت، 1999

44. عبد الله محمد الغذامي، **ثقافة الوهم «مقاربة حول المرأة والجسد واللغة** "، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء،1988.

45. عدلي علي أبو طاحون، **حقوق المرأة ، دراسات دينية وسوسيولوجية** ،المكتبة الجامعية الإزارطية، الاسكندرية،2000.

46. عزام أبو الحمام المطور، **الفلكلور الموضوعات والأساليب المنهجية** ، دار اسالة للنشر والتوزيع الأردن، ط1 ،2007.

47. عصام محمد منصور، **المدخل إلى علم الاجتماع**، دار الخليج، الأردن،2010.

48. عطا الله فؤاد الخالدي، دلال سعد الدين العلمي **، الإرشاد الأسري والزواجي** ، دار الصفاء عمان،2008.

49. غريب سيد أحمد وآخرون، **علم الاجتماع الأسرة**، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة،2001.

50. غريب محمد أحمد، **علم اجتماع الاسرة**، دار المعرفة الجامعية الازاريطة، الاسطندرية،2001.

51. فايز أنور شكري، **القيم الأخلاقية بين الفلسفة والعلم**، دار المعرفة الجامعية،2002.

52. فلتن شريف- **الأسرة والقرابة-دراسات في الانثروبولوجيا الاجتماعية**،دار الوفاء لدنيا الطباعة – الاسكندرية – ط1.2006.

53. فار وق، أحمد مصطفى وآخرون ، **دراسات في التراث الشعبى** ، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ،2008.

54. فاطمة المرنيسي، **ماوراءالحجاب- الجنس كهندسة اجتماعية** ، تر: فاطمة الزهراء ازريول ط1، ، المركز الثقتفي العربي ، الدار البيضاء المغرب.2005 .

55. فريد بريك معتوق **، معجم العلوم الاجتماعية**، لبنان، أكاديمية،1998.

56. فوزية ذياب، **القيم والعادات الاجتماعية مع بحث ميدان لبعض العادات** ، دار النهضة العربية،بيروت،1998.

57. كامل عبد الملك **، ثقافة التنمية** ، دراسة في أثر الرواسب الثقافية والتنمية المستدامة، مكتبة الأسرة، مصر،2008.

58. مالك الشبل، **الجنس والحريم وروح السراري** ، تر عبد الله زارو، افريقيا الشرق، 2010 المغرب

59. مبارك بن محمد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث** ، ج ، 2مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر 2004.

60. مرسيا اليا، **المقدس والعادي** ، ترجمة عادل العوا ، دار التنوير للطباعة والنشر والنتوزيع، 2009،89

61. محمد أحمد بيومي، عفاف عبد العليم ناصر، **علم الاجتماع العائلي**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2003.

62. محمد امين العالم، **أنثروبولوجيا الجسد والحداثة** ،العدد،44، يوليو 1995.

63. محمد الجوهري،علياء شكري، **الدراسة العلمية للعادات والتقاليد الشعبية** (دورة الحياة) الجزء الثالث من دليل العمل الميداني، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية، 2007.

64. محمد الدقس، **التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق** ، دار المجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان الاردن،1982.

65. محمد العربي ولد خليفة، **المسالة الثقافية وقضايا اللسان والهوية** ، ديوان المطبوعات الجامعية، 2003.

66. محمد عبد الفتاح محمد، **الظواهر ومشكلات الأسرة والطفولة المعاصرة من منظور الخدمة الاجتماعية**، المكتب الجامعي الحديث، مصر،2009.

67. محمود عبد الفضيل، **التشكيلات الاجتماعية والتكوينات الطبقية في الوطن العربي** ، مراز الدراسات العربية، بيروت، ،2001.

68. محمد عبده محجوب **طرق البحث الانثروبولوجي** -النسق القرابي -دار المعرفة الجامعية الإسكندرية،1985.

69. محمد عاطف غيث،**علم الاجتماع الحضري، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية،1995.**

70. مرفت العشماوي، عثمان العشماوي، **دورة الحياة دراسة للعادات والتقاليد الشعبية** ، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر،القاهرة،2011.

71. مصطفى الخشاب، **دراسة المجتمع**، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة ،1967.

72. معن خليل،**علم اجتماع الأسرة**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان, 2000.

73. مليكة لبد بي،**الزواج والشباب الجزائري إلى أُن؟**، دار المعرفة، الجزائر،2005.

74. مهدي محمد القصاص، **علم اجتماع العائلي**، كلية الآداب جامعة المنصورة،2008.

75. مها محمد حسين، **العذرية والثقافة، دراسة في انثربولوجية الجسد** ،ط1، دال للنشر والتوزيع، دمشق،2010، ص175.

76. ناصر قاسمي، **سوسيولوجيا العائلة والتغير الاجتماعي**، دار الكتاب الحديث، الجزائر2013.

77. نوال السعداوي، **المرأة والجنس**، ط ،3بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ،1974.

78. نور الدين طوالبي، **الدين والطقوس والتغيرات**، تر: وجيه البعيني، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر منشورات عويدات بيروت باريس،ط1، 1988.

79. نور الدين الزاهي، **المقدس والمجتمع**، افريقيا السرق المغرب، 2011.

المعاجم باللغة العربية:

1. دينكن ميتشل، **معجم علم الاجتماع** ، ترجمة ومراجعة، إحسان محمد الحسن، ط 2، دارالطليعة للكباعة والنشر، بيروت،1981.
2. ستيفان شوفالييه، **كريستيان شوفيري**، معجم بورديو، ترجمة الزهرة إبراهيم، الناية للكراسات والنشر والتوزيع الجزائ، ط1، 2013.

المجلات والدوريات

1. ابتسام دريدي، التصفيح في تونس كسر جدار الصمت عن الحقيقة والمعتقدات"، **مجلة الشروق**العدد 02، 2008.
2. بعلي محمد، **رهانات الأسرة في تكوين نمط الممارسة الاتصالية الجيدة والصورة الاتصالية** ،العدد 3-4 جامعة وهران، فبراير، 2013.
3. حسني إبراهيم عبد العظيم، "الأبعاد الاجتماعية والرمزية للممارسات الجسدية"، تحليل سوسيولوجي لظاهرة ختان الإناث، **مجلة تنوير**، فكرية تربوية فصلية محكمة،العدد الثالث شتاء - ديسمبر/يناير/فبواير،2015.
4. حمداوي محمد، "وضعية المرأة والعنف داخل الاسرة في المجتمع الجزائري"، **مجلة انسانيات**، عدد10 المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية،2000.
5. حناء حمودة، "الماء كمنشط انثربولوجي لانتاج الطقوس بواحة سكورة"، جنوب المغرب، **مجلة إضافات** العددان 33-34 شتاء-ربيع 2016.
6. رحالي حجيلة،"التغير الاجتماعي في المجتمع الجزائري المفهوم والنموذج" العدد،**7مجلة كليةالآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية**، جامعةمحمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2010.

7. عبد الرحيم العطري، "مكر الألبسة"، **مجلة الدوحة**، العدد،66 قطر،افريل2013.
8. مباركة بلحسن، العذرية والرقابة الاجتماعية، **مجلة تدوين** ، مجلة محكمة، جامعة وهران العدد02 ديسمبر 2010.
9. مباركة بلحسن،الفتاة الحسانية وطقس الزفاف مقاربة انثروبولوجية، **مجلة اضافات** ،العدد 29-30 شتاء/ربيع 2010.
10. محمد امين العالم، أنثروبولوجيا الجسد والحداثة ،العدد،44، يوليو 1995،ص53.
11. محمد حمادي، البنية الرمزية للجسد ومظاهره الطقوسية والتعبيرية مقاربة انثربولولجية، **مجلة الواحات** للبحوث والدراسات العدد11 ، 2011، ص221.
12. محمد سعيدي،"العائلة عاداتها وتقاليدها بين الماضي والحاضر ظاهرة الاحتفالية بالأعياد نموذجا"،**مجلة إنسانيات**،وهران العدد 04 جانفيأبريل،1998
13. محمد شقيق ، "المرأة بين الاستعراء والتلفف في الحجاب" ، مقاربة انثربولوجية ونفسية، **مجلة أكاديمية**،المملكة المغربية، العدد،21 سنة2004، مطبعة المعارف ،الرباط،2004 .
14. ميسوم العتوم، "جسد المراة والدلالات الرمزية"، دراسة انثربولوجية بمدينة عنما،الأردن، **مجلة انسانيات** العدد 59 جانفي- مارس2013

رسائل واطروحات باللغة العربية

1. اسعد فايزة، العادات والتقاليد الاجتماعية في الوسط الحضري بين التقليد والحداثةمقاربة سوسيو-انثربولوجية لعادات الزواج والختان بمدينة وهران وندرومة نموذجا"، مذكرة دكتوراه علم الاجتماع جامعة وهران،2012.
2. زيان محمد، "العادات وتقاليد الزواج والمهر حسب عرف الولي سيدي معمر مدينة تنس دراسة سوسيو-انتثربولوجية". رسالة ماجستير علم الاجتماع، جامعة وهران 2005.
3. سولاف معطي، الشرف في المجتمع الجزائري، مقاربة سوسيو انثربولوجية حول واقع تمثلات الطالبة الجامعية لحياتها الجنسية، رسالة ماجستير علم الاجتماع ، جامعة هران، 2004

4. شادر ريمة، "المرأة الجزائرية ونموذج تنشئة الفتاة في إطار التغيّر الاجتماعي"، رسالة ماجيستر في علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2001.

5. عباس فريال، "مراسيم الزواج في مدينة قسنطينة «مقاربة أنثروبولوجية" رسالة دكتوراه علوم في علم الاجتماع جامعة منتوري قسنطينة بالمشاركة العلمية للمركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجياالاجتماعية والثقافية CRASC،2005.

6. غانم ابتسام، "التصور الاجتماعية للعذرية عند الطالبة الاجتماعية"، مذكرة ماجستيرعلم الاجتماع جامعة سكيكدة، 2009.

7. كرام هارون الأسرة النووية والبعد الاجتماعي لتواصلها القرابي في الوسط الحضري، رسالة لنيل شهادة الماجستير فيعلم الاجتماعي الحضري كلية العلوم الإنسانية الاجتماعية، جامعة الجزائر،2007

8. منكول فاطمة، "مونوغرافيا الزواج في المدن الكبرى "دراسة ميدانية لظاهرة الاحتفال في مدينة وهران"، رسالة ماجستير علم الاجتماع جامعة وهران 2014.

9. الفضيل رتيمي، التنشئة الاجتماعية وإشكالية العقلانية داخل المنظمة الصناعية .رسالة دكتوراه، قسم علم الاجتماع كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة، الجزائر ،2005.

ملتقيات وايام دراسية:

1. مراد مولاي الحاج، **مكانة التحقيق الميداني في الدراسات والانثربولوجية** ، وقائع الملتقى الوطني اي مستقبل للأنثروبولوجيا في الجزائر؟ تميمون 1999 منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعيةوهران2002 .

2. لغنزي محمد فوزي، **العادات والتقاليد بين الرمز والممارسة**، فعاليات الملتقى الوطني الثاني حول التراث الثقافي 18 ،مديرية الثقافة لولاية الوادي ماي، 2009

قائمة المراجع بالفرنسية:

1. ARNOLD VAN.(G**,**)**Les Rites de Passage**, Paris , 1909.
2. BALANDIER.(G): **Sens et puissance**- Ed. P.U.F/ Paris 1971.
3. BOURDIEU (P) ; **Esquisse d'une Théorie de la pratique précédé de trois études d'ethnologie kabyle** Ed Genève 1972.
4. CAZENEUVE (J) ، **Sociologie de rite**، PUF، paris, 1971
5. CHEHATA(H),**LE Droit De la famille algérienne**, Alger, o pu,1993,p47.
6. Le Compte M.D et Preissle .J, cités par Loraine Savoir-Zaje, **comment peut-on construire un échantillonnage, Scientifiquement**, Recherches Qualitative Hors-série N°5 , Quèbec , Association par la recherche qualitative 2007
7. MATHEA(G), **La femme Chaouia de l'Aurès**,Etude Sociologie Berber , ED/ Paul Geuthner1929.
8. MICHEL, Bouzon: Français Hearne**, La formation du couple, textes pour la sociologie de la famille**, la découverte collection grands repères classiques, Paris, 2006 CHEHATA ,(H);**LE Droit De la famille algérienne**, Alger, o pu,1993.
9. TOUALBI(R), **Les altitudes et les présentations du mariage chez la jeune fille Algérienne**, édition ENAL, Alger1984
10. ZERDOUMI (N**), Enfant d'hier** : Education de l'enfant en milieu traditionne Algérien, Alger, ENAL, 1982.

المجلات والدوريات باللغة الفرنسية

1. ADEL(F**), femme et mariage** in Octes de l'atelier (femme et développements) Alger 1994 ED CRASC oran1995
2. ADEL(F) , La nuit de noces ou la virilité piégée , Insaniyat , n°4 ,janvier – avril CrascOran, 1998
3. THERESE(R). **Aurès/Algèrie**.Ouled Abdrahman 1935-1936;Alger.Office Des Publication Universitaire 1985.

المعاجم بالغة الفرنسية

1. RAYMOND(B) et autre : **Dictionnaire de sociologie**, Larousse édition, paris, 2005

المـــــــــــلاحق

دليل المقابلـــة

السن : **مكان الإقامة:** **المستوى الدراسي:**

عادات الزواج :

1. ماذا يعني الزواج في مجتمعكم؟
2. حدثيني عن عادتكم وطقوسكم في الزواج؟
3. هل مازلتم تحافظون على مراسيم الزواج (الخطبة، الحنة، ليلة الدخلة، الحزام ...)
4. ما هي اهم الممارسات والعادات الخاصة بهذا الاحتفال في مجتمعكم؟
5. ما هي العادات التي تصرون على الاحتفاظ بها في كل مناسبة زواج؟
6. ما هي اهم الممارسات الطقوسية التي ترافق مراسيم الزواج؟
7. هل مازالت العائلات تحافظ على طقوس الزواج التقليدي؟
8. الى ماذا ترمز هذه الممارسات الطقوسية المرافقة للاحتفالات الزواج؟
9. ماهي العادات التي استمرت حتى اليوم وتمارسونها في اعراسكم؟
10. ما هو سر تعلقكم بها؟
11. ماهي العادات التي تميز عرشكم عن غيره من اعراش مدينة باتنة؟
12. ماهي الطقوس التي تصرون عليها وتعتبرونها جزء من هويتكم؟
13. ماذا يحدث لو تخلت العائلات عن العادات والتقاليد الخاصة بعرشكم؟
14. ما هي التغيرات التي مست عادات وطقوس الزواج؟
15. من المسؤول عن هده التغيرات في طقوس الزواج؟
16. هل عندكم رغبة في تغيير بعض العادات والطقوس؟
17. من هو المسؤول على بقاء كل هذه العادات والممارسات الطقوسية؟
18. هل مازال الإشهار والاحتفال بدم البكارة حاضرا في اعراسكم؟

طقس التصفاح

1. ماذا تقصدون بكلمة التصفاح؟

19.لماذا تصفحون بناتكم؟ و من يقوم بعملية التصفاح؟

20.متى تتم عملية التصفاح؟

21.ما هو الوقت الذي تمارس فيه؟

22.كيف تتم عملية التصفاح ؟

23.ماهو السن الذي تصفح فيه البنت؟

24.مالذي يدفع الأم الى تصفاح بناتها؟

25.هل يخبر الاب او يحضر عملية التصفاح؟

26.الى ماذا ترمز هده الممارسة؟

27.ماهي وظيفة التصفاح بالنسبة لكم؟

28.ماهي الوسائل والمواد المستخدمة في عملية التصفاح؟

29.صفي لي طريقة التصفاح بالتفصيل (اشرحي لي كيف تتم).

30.هل مازالت النساء تحافظن على تصفاح بناتهن؟

31.متى تقومون بفتح التصفاح للعروس؟

32.هل يشترط فتح التصفاح مكان وزمان وطقوس خاصة؟

33.هل يؤثرالتصفاح على نجاح ليلة الدخلة؟

34.اذا صادف وفشلت ليلة الدخلة ما هي الطريقة لإنجاحها؟

35.هل سبق وان قمتم بإعادة فتح التصفاح لفشل ليلة الدخلة؟

36.هل تخبرون اهل الزوج بان العروس مصفحة؟ ولماذا؟

37.هل تخبر العروس زوجها بانها مصفحة؟

38.من يقوم بعملية فتح التصفاح ؟ وما الوقت المناسب لدلك؟

39. جدول(01) معطيات المقابلات الميدانية.

رقم المقابلة	السن	المستوى التعليمي	الأصل الجغرافي	مكن الإقامة	المهنة
المقابلة 01	36	ثانوي	كيمل	باتنة	ممرضة
المقابلة 02	28	جامعي	باتنة	باتنة	معلمة
المقابلة03	34	متوسط	باتنة	باتنة	موظفة
المقابلة04	32	جامعي	اريس	اريس	خياطة
المقابلة 05	24	جامعي	تكوت	تكوت	موظفة
المقابلة 06	32	دكتوراه	تكوت	تكوت	استاذة
المقابلة 07	23	ثانوي	باتنة	باتنة	خياطة
المقابلة 08	26	جامعي	باتنة	باتنة	ماكثة بالبيت
المقابلة 09	22	ثانوي	كيمل	باتنة	طالبة
المقابلة 10	28	جامعي	كيمل	كيمل	معلمة
المقابلة 11	24	متوسط	تكوت	باتنة	ماكثة بالبيت
المقابلة12	23	ثانوي	اريس	اريس	موظفة
المقابلة13	26	جامعي	اريس	باتنة	معلمة
المقابلة14	20	ثانوي	باتنة	تكوت	طالبة
المقابلة15	32	ثانوي	باتنة	اريس	معلمة
المقابلة16	34	جامعي	كيمل	كيمل	استاذة

جدول رقم(02) معطيات الممارسات لطقس التصفاح.

الممارسة	السن	تاريخ المقابلة	مكان القابلة	نوع الثقاف/التصفاح	منطقة الإقامة
01	69	2015/04/17	المنزل	المنســج - السداية - الحمص	باتنة
02	77	2015/08/25	المنزل	المنســج - السداية - التمـــر	باتنة
03	83	2016/03/10	زواج	الفسخ – الفأس -التمـــر	اريس
04	79	2016/08/30	زواج	الشرلية - الكادنة	باتنة

جدول رقم(03)معطيات ميدانية مع الأسر

المبحوثة	السن	مكان الاقامة
01	52	باتنة
02	63	اريس
03	48	تكوت
04	68	اريس
05	48	اريس
6	39	كيمل

جدول رقم:(04) معدل العمر عند الزواج في الجزائر (O.N.S / Alger)

	1966	1970	1977	1987	1988	2008
نســـاء	18,3	19,3	20,9	23,7	27,6	29,3
رجـــال	23,8	24,4	25,3	27,7	31,3	33,

جدول رقم (05) معطيات اصغرسن زواج للإناث بمدينة باتنة (سجلات بلدية باتنة)

السنة	سنة الميلاد	سن الزواج	العدد الإجمالي
1999	1983	16	161
2000	1988	12	147
2001	1986	15	165
2002	1986	16	189
2003	1988	15	212
2004	1990	14	251
2005	1990	15	202
2006	1991	16	270
2007	1992	15	255
2008	1995	13	264
2009	1994	15	225
2010	1994	16	195
2011	1997	14	211
2012	1997	15	250
2013	1997	16	208
2014	1999	15	230

صورة رقم: (01) " صينية الخطبة" (أ- ب)

(أ)(ب)

صورة رقم: (02) " لبس خاتم الخطوبة بين العصري والتقليدي" (أ/ب)

(أ)(ب)

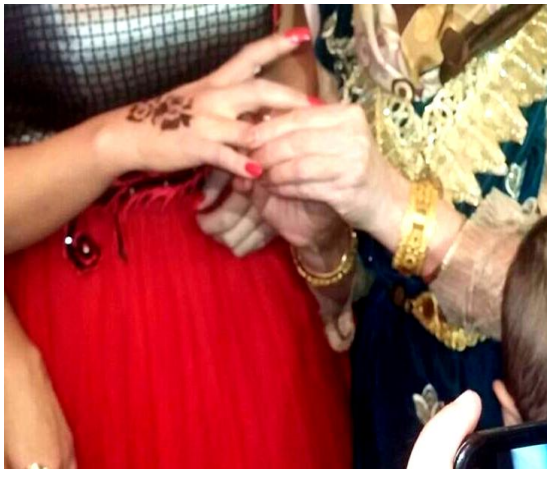

الصورة رقم:(03) "اشكال الغناء والرقص" (أ- ب)

(أ)(ب)

الصورة رقم:(04) "أدوات ووسائل المنسج او السداية" (أ- ب- ج)

(أ)(ب) (ج)

صورة رقم : (05) " استعمال صوف الزربية لنزع التصفاح " (أ- ب- ج)

(أ)(ب) (ج)

صورة رقم: (06) "استقبال العروس بالقشقشة والنبات الاخضرووضع الدهان في العتبة"(أ- ب- ج)

(أ)(ب) (ج)

الصورة رقم:(07) " وضع الحنة للعروس " (أ- ب- ج)

(أ)(ب) (ج)

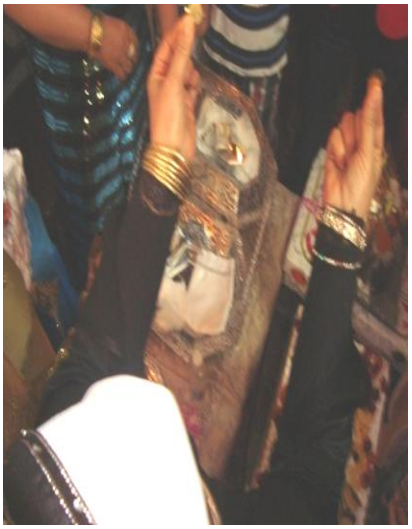

الصورة رقم: (08) " تزين العروس بالرديف والملحفة " (أ- ب- ج)

(أ)(ب) (ج)

صورة رقم : (09) " يوم الصباح وطقس الحزام " (أ- ب)

(أ)(ب)

صورة رقم: (10) "نقش الحنة على مناطق من الجسم بطريقة الوشم "(أ- ب- ج)

(أ)(ب) (ج)

(د)(ه) (و)

اخصائية في أمراض النساء والولادة
إكوغرافيـــة

ORDONNANCE

Certificat Medical

Je soussigné certifie avoir
examiné ce jour Mme

a Batna sous son assistance
et déclare que son état
est satisfaisant (suite)
Bonne evolution

CNAS : 2 94 544

بسم الله الرحمن الرحيم

الزواج شرعا و عرفا لدى عرش بني بوسليمان 2003م

الحمد لله رب العالمين و العاقبة للمتقين و لا عدوان إلا على الظالمين . و نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كتابه الكريم : ﴿ و لتكن منكم أمة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و أولئك هم ﴾ آل عمران 104 . و القائل أيضا ﴿ و المؤمنون و المؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون ء يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و يطيعون الله و رسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ التوبة 71 . أن محمدا عبده و رسوله و صفيه و وليه قال في حديث له : ﴿ من سن سنة حسنة فله أجرها و أجر من عمل بها لقيامة و من سن سنة سيئة فعليه وزرها و وزر من عمل بها إلى يوم القيامة ... ﴾ الحديث و القائل أيضا : ﴿ لا تنفروا ، يسروا و لا تعسروا ... ﴾ الحديث ، فصل اللهم عليه و على آله و صحبه و على جميع من اهتدى سار على دربه إلى يوم الدين ، أما بعد :

ية طيبة مباركة نرفعها إلى جميع آبائنا و أمهاتنا و إخواننا و أخواتنا و أبنائنا و بناتنا من عرش بني بوسليمان ، فسلا ته على الجميع ...

. قيمة أي مجتمع تكمن فيما يحمله من قيم و أفكار يعمل على تجسيدها حاضرا و مستقبلا ، و ذلك لن يتأتى له إ جهود و تعاون أفراده في إطار شبكة العلاقات الاجتماعية القائمة على أسس متينة من الشريعة الإسلامية الغراء نة و إجماع علماء الأمة و اجتهادهم و قياسهم . كما تقوم على أسس من الأعراف و العادات و التقاليد التي ا اصد الشريعة الإسلامية و روحها .

ة 1 :

التأكيد – دائما و أبدا – على ضرورة الاحتكام إلى أحكام الشريعة الإسلامية الغراء في الموضوع من خلال رص الكتاب و السنة الواضحة الشريحة القطعية الدلالة مع الحث على الالتزام بآداب و أخلاق الإسلام في ذلك

ة 2 :

التأكيد على الالتزام بعادات العرش و تقاليده و أعرافه المستحسنة التي لا تتنافى و أحكام الشريعة الإسلامية كذا تعاليم الإسلام و أخلاقه.

ة 3 : الخطبـــــــــة :

- نظرا لكونها اتفاقا بين الطرفين و وعدا بالزواج .

- و تعبيرا عن حسن النية و تنفيذا لأخلاقنا و آدابنا في الموضوع (فهادوا فحابوا) فقد تم الاتفاق بشأنها ع ما يلي:

أ – تقديم خاتم من ذهب (متوسط الثمن) من 5 000.00 دج إلى 7 000.00 دج.

ب – تقديم بعض الهدايا الخفيفة (حلويات مختلفة ، عطور ...).

ج – أن تكون قيمة ذلك كله (الخاتم و الهدايا) عشرة آلاف دينار جزائري (10 000.00 دج).

د – الخطيب أو وليه غير مطالبين بالزيارات و تقديم هدايا أخرى في المناسبات المختلفة و ذلك في الفترة التي تفصل الخطبة عن حفل الزفاف.

ة 4 : المهـــــر أو الصـــــداق :

و هو ركن من أركان الزواج الشرعية لقوله تعالى : ﴿ و آتوا النساء صدقاتهن نحلة ﴾ و لقوله صلى الله يه و سلم : ﴿ التمس و لو خاتما من حديد ﴾ . و قد قدر مبلغه بخمسين ألف دينار جزائري (50 000.00 دج)

ة 5 : الجهـــــــاز :

أ- و هو ما تجهز به العروس يوم زفافها لبيت الزوجية من ألبسة متنوعة و مختلفة و قد قدر مبلغه بقيمة : ثلاثين ألف دينار جزائري (30 000.00 دج).

ب- أن يقدم للعروس صبيحة العرس (يسلمه ولي الزوج و امرأتان).

ج- اللباس الذي كان يترك عادة لأهل الزوجة (أمها ، أختها ، خالتها ، ...الخ) فقد أجمع على إلغائه نهائيا كما كان الأمر سابقا (الوثيقة السابقة).

ة 6 : شـــــاة الحـــشمـــة :

اتفق على الإبقاء على هذه العادة الطيبة على أن تكون وفق ما يلي :

أ- أن لا تصحبها أية مواد غذائية أخرى مهما كان نوعها أو ثمنها.

ب- أن تكون متوسطة الثمن.

ج- أن تقدم في الوقت المناسب.

دة 7 : المشي على جناح البرنوس :

و هو أن تمشي العروس على جناح برنوس أحد أقاربها ، و قد اتفق على إبقاء هذه العادة و قدر مبلغها بقيمة لف دينار جزائري (1 000.00 دج).

ادة 8 : الحلاقة و الحمام :

عادة مستحدثة إن وجدت فتكاليفها تكون على حساب العروس.

13 : حفل الزفاف :

العريس أو وليه غير مطالب بإقامة حفل الزفاف بالشكل المعهود من حيث الإنفاق و مظاهر التبذير خفيف قدر الإمكان).

14 : الصبيحة :

و نعني بها صبيحة ليلة الدخول فقد أتفق بشأنها بالشكل التالي :

أ- إلغاء هذه العادة السيئة نهائيا حفاظا على أسرار الزوجين و على شرف و كرامة كل منهما.

ب- عدم تقديم أي مبلغ كان إلى أم العروس في كل الحالات...

15 : التشهير و الفضح :

و هو أن يشهر العريس بعروسه صبيحة ليلة الدخول أو بعد ذلك و قد أتفق في ذلك - و هو نادرا ما ت - على ما يلي :

أ- عدم جواز ذلك لا - **تلميحا و لا تصريحا** - ، شرعا ، عرفا و أخلاقا ... (فالمطلوب الستر ثم الستر) قال الله عز و جل : ﴿ **هن لباس لكم و أنتم لباس لهن...** ﴾ قرآن كريم.

ب- كل من يصدر منه ذلك يحمل تبلغ قيمته ثلاثون ألف دينار جزائري (**30.000.00 دج**).

16 : التصوير :

و هي عادة مستحدثة تجاوزت حدود الآداب و الأخلاق إذ يعمد الكثير إلى **تصوير الحفل بالكاميرا فيديو** ما يحدث من اختلاط مفضوح و كذا تصوير النساء اللواتي يحضرن الحفل و منهن المتزوجات و العازبات علما أ را ما تعرض تلك الأشرطة في **الأماكن العامة**...

ة 21 : الزواج خارج العرش :

زويج بنات و بنين عرش بني بوسليمان خارج العرش يكون وفق الاتفاق الذي يتم بين العائلتين المتصاهرتو

ة 22 :

يبدأ سريان مفعول هذه الوثيقة ابتداء من 2003/10/01م و تتم مراجعتها بعد عام تقريبا إن – شاء الله – وسم عيد الخريف.

ة 23 :

يكلف مسؤولو البلديتين و أعيان العرش و كل أهل الخير بالسهر على تنفيذ و تجسيد مضمون الوثيقة تسخير كل الملحقات الممكنة و عرضها في الوقت المناسب.

تم تحرير هذه الوثيقة بتكوت في 2003/09/18م

و الله و لي الإعانة و التوفيق

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

حظات :

1. تحفظ نسخة من هذه الوثيقة لدى البلديتين.
2. تعلق نسخة منها في لوح الإعلانات بمقر البلديتين.
3. تسلم نسخة منها إلى أئمة مساجد البلديتين لتبليغ مضمونها إلى المواطنين.
4. تسلم نسخ منها إلى أعيان قبائل العرش.

الزواج شرعا وعـــرفا لدى عرش بني بوسليمان -باتنـــة

إعـــداد مجموعـــة مـــن أعيـــان العـــرش

المكـــــان: قاعـــة الاجتماعات بمسجد بلدية: تكـــوت

دائـــرة : تكـــوت

الزمـــــان: 1437/08/21 هـ الموافـق لـ: 2016/05/28 .

المادة 01 : التأكيـــد - دائما وأبدا - على ضرورة الاحتكـام إلى أحكام الشريعة الإسلاميـــة الغـراء في الموضوع من خـــلال نصوص الكتاب والسنة الواضحة الصريحـة القطعـــية الدلالة مع الحث على الالتـــزام بآداب وأخـلاق الإسلام فـــي ذلك .

المادة 02 : التأكيـد على الالتـــزام بعـــادات العـرش وتقاليـــده وأعـرافـه المستحسنـة التي لا تتنافى ومقاصد الشريعة الإسلامية الغراء وكذا تعاليـــم الإسلام وأخلاقـه ومنظومة القيـــم للمجتمـع.

المادة 03 : الخطبـــــــــة

- نظـــرا لكونها اتفاقـــا بين الطرفيـــن ووعدا بالـــــزواج .
- وكونها تعبيرا عن حسن النية وتنفيـــذا لأخـلاقنا وآدابها في الموضـــوع **(تهـادوا تحابـوا)** كما جاء في الحديث فقد اقترح بشأنهـــا الحضور ما يلي:

أ - تقديـــــم خاتـــم من ذهـــب متوسط الثمـــــن.

ب-تقديم بعض الهدايا الخفيفـة **(الحلويات ، عطور ، ...)** وتم تقديـــر المبلـغ بثلاثين ألف دينـــار جزائري **(30.000.00 دج).**

ج- الخطيب ووليه غير مطالبين بالزيارة وتقديم هدايا أخـــرى في مناسبـــات مختلفة وذلك في الفتـــرة التي تفصل الخطبـــة عن حـــفـــل الزفـــــاف

ملاحظـــة : فـــي حـالة العـدول عن الخطبـة يعـاد خاتـم الخطوبـــة لولـي الخطيـــب ولا تعـــاد الهدايـــــــــــا .

المادة 04 : المهـــر أو الصداق (ادخـــال الذهـــب)

وهو ركن من أركان الزواج الشرعية لقوله تعالى «وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا » سورة النساء الآيـــة:04

ولقوله صلى الله عليه وسلم :«التمـــــس ولو خاتمـــــا من حديـــــد ... »

وقد حدد الحضور مبلغه بمائة وخمسين ألف دينار جزائري **(150.000.00دج).**

المادة 05 : الجهـــــــــاز

ا- وهو ما تجهز به العروس يوم زفافها لبيت الزوجية من البسة متنوعة ومختلفة وحلي. وقد اقترح المجتمعون بشانه مبلغ **سبعين الف دينار جزائري(70.000.00دج)**.

ب- أن يقدم للعروس ليلة عرسها يسلمه ولي الزوج وامرأتان.

ج- اللباس الذي كان يترك عادة لأهل الزوجة **(امها ،اختها ،خالتها ،عمتها،....)** أجمع الحضور على إلغائه نهائيا.

المادة 06 : شاة الحشمة

اقترح الحضور الإبقاء على هذه العادة الطيبة على أن تكون وفق ما يلي :

أ- أن تكون من أجود الأنواع ...

ب-ألا تصحبها أية مواد غذائية اخرى مهما كان نوعها او ثمنها

ج- أن تكون مقبولة شرعا وعرفا .

د- أن تقدم في الوقت المناسب.

ملاحظة : قدر المبلغ العام لتكاليف الزواج **بمائتين وعشرين ألف دينار** جزائري **(220.000.00دج)**

المادة 07 : المشي على جناح البرنوس

وهو أن تمشي العروس على جناح برنوس أحد محارمها او أقاربها،وقد اقترح الحضور الإبقاء على هذه العادة وتحديد مبلغها **بألفي دينار جزائري (2.000.00دج).**

المادة 08 : الحلاقة والحمام

عادة مستحدثة تصحبها جملة من المخالفات الشرعية والعرفية إن وجدت تكاليفها تكون على حساب العروس ...ويستحسن توجيه المجتمع إلى تجنب آثارها السلبية .

المادة 09 : فستان العروس مع الكرسي

عادة مستحدثة إن وجدت تكون على حساب العروس .

المادة 10 : موكب سيارات الأفراح

اقترح الحضور التقليل من عدد موكب السيارات قدر الإمكان **(من 10إلى 20)** وذلك لتجنب الآثار السلبية لمواكب السيارات في مثل هذه المناسبات ؛ إذ تشهد

ب-كل من يتجاوز ذلك ويقوم بالتصوير يحمل بمبلغ مالي قيمته **ثلاثين ألف** دينار جزائري **(30.000.00دج)** تنفق في سبـــل الخيرات.

المادة 14 : الـــــردود

أو ما يسمى عندا (هاوعيث) أو تعـــويض الهدايـــا... وقـــد تم الاتفـــاق على إلغائهـــا تماما.

المادة 15 : الحنـــــة وما يتبعهـــا

اقتـــرح الحضـــــور إلغـــــــــــاءها .

المادة 16 : حفـــــل الزفـــــاف

العريس أو وليه ليس مطالبا بإقامة حفل الزفاف بالشكل المعهود في السنـــوات الأخيرة من حيث الإنفاق ومظاهر التبذير ولذلك يوصي المجتمعـــون بتجنـــب المظاهـــــر السلبية التاليـــة :

أ- التبذيـــر في الأكـــلات (ضبطها وتحديدها في الوجبة) التي يجب كما يقتـــرح الأعيان أن تشتمـــل على ما يلي :

- طبق الزيـــراوي - الجـــاري - السلاطة - الكسكسي - الفاكهـــة.

ب-الإفراط في استعمال وسائل الغناء من مكبرات الصوت التي تحدث صخبا وهرجا مما يؤثر على سيرورة الحياة لدى المجتمع ولذلك يقترح الاعيان عدم استعمال مكبرات الصـــوت والالتزام بمنظومـــة القيم للمجتمع في ذلك (الغناء في أوقات محددة واستعمال الأغاني الهادفة لا الماجنة الصاخبة)..

ج- الإسراف والترف في استعمـــــال وسائل حديثة تثقـــل كاهـــل المجتمع ماديا **(الحلـــــويات ، المكسرات ، المشروبات ،علـــب ومنـــاديل مختلفـــة...)** .

ملاحظـة : الحديـــث «أولمـــــوا ولـــو بشـــــاة ».

المادة 17 : الصبيحـــــــــــة

ونعني بها صبيحـــة ليلـــــة الدخـــول ، فقد اقترح الحضور بشأنهـــا ما يلي :

أ- إلغاء هذه العادة السيئة نهائيا حفاظا على أسرار الزوجين وعلى شرف وكرامة كل منهمـــا ...

ب- عدم تقديـــــم أي مبلغ كان الى ام العـــــروس في كل الحـــــالات ...

ملاحظـة : يمكن دعـوة الأصهـــار بعد أسبوع أو أسبوعين ليس شرطا في صبيحة الزفاف...

المادة 18 : التشهيـــر والفضـــح

وهو أن يشهر العريس بعروسه صبيحة ليلة الدخـــول أو بعد ذلك وقـــد اقترح الحضور في حالة وقـــوع ذلك ما يلي :

أ- عدم جواز ذلك - لا تلميحا ولا تصريحا- شرعا وعرفا وأخلاقا...(فالمطلوب الستـــر ثم الستـــر) قال الله عزوجـــل:« هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ »

سورة البقرة الآية: 187

ب- تغريم كل مـــن يصدر منه ذلك بمبلـــغ خمسين ألف دينـــار جـــزائـــري (50.000.00دج) .

المادة 19 : التـــــــــراجـــع

في حالة التراجـــع بعـــد الخطبة يحمل الطـــرف المتراجـــع المسؤولـــية

التوضيـح : قبل العقد وبعد تسليم جزء من الصداق (المرأة ترد ما دفع إليهـــا والرجل يتحمـــــل مسؤولية تراجعـــه) .

المادة 20 : الزواج خـــــارج العـــــرش

يتـــم وفق الاتفـــــاق الذي يتـــم بين العائلتين المتصاهرتين (بالتـــراضي)

المادة 21 : مخالفـــة مضمـــــون الوثيقـــــة

كل من يخـــــالف مضمون الوثيقـــــة المتفق عليهـــــا يحـــــمل بمبلـــــغ خمسين ألف دينار جزائري (50.000.00دج).

المادة 22 : مصـــاريف الغـــــــرامـــــات

تدفع المبالغ المالية التي يحمل بها المخالفون للاتفاق إلى الجمعيات الخيـــرية في البلديات المعنيـــة لتنفـــق في المصلحة العامـــة ...